

أمية بن حرثان بن الأسكر حياته وما تبقى من شعره

م. محمد أحمد شهاب

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

أما قبل

كلما نبتعد عن التراث ترانا نعود إليه، لعبقه، ولسحره، تارةً لكتابه وأخرى لشعرائه، فنغدوا مندهشين بما قدم أولئك العمالقة كالجاحظ، وابن المعتز، وعبد القاهر، وملكه الضليل وعلامه القتيل، وجريده، وفرزدقه، وذو الرمة، وبيشار، ومسلم، وأبي تمام، والمتنبي وأبي العلاء، كل هؤلاء من المشهور فكان وسيكون حظهم كبير من الدرس والبحث، إلا أن ما بقي كثير ممن لم يصبه الحظ من الدرس والبحث وهم من اصطلاح على تسميتهم بالمغمور والمقل.

فكان حظنا هذه المرة - وكل مرة - مع شاعر مغمور ومقل في الوقت عينه يأتي وقد بلغ ما اشتغلنا عليه من جمع وتحقيق لشعراء هذه الطبقة ثلاثة عشر شاعراً. والشاعر هو أمية بن حرثان بن الأسكر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، له أيام ماثورة مذكورة وعند مجيء الإسلام اسلم هو وابن له يقال له كلاب، وكان قد كبر وخرف ولم تذكر المصادر شيئاً عن إسلامه سوى قصته المعروفة مع الخليفة عمر (رضي الله عنه).

أما في الجاهلية فقد وجدنا بعض الأخبار المتفرقة التي ذكرها من ترجم له ولكنها مقتضبة جداً.

أما في الإسلام فليس هناك ما يشفي غليل البحث من أخبار تتعلق بإسلامه وخبره، إلا أن الراجح أنه اسلم في يوم المريسيع عندما غزا الرسول (ﷺ) بني المصطلق.

وتبدأ قصته مع الخليفة الفاروق (رضي الله عنه)، عندما وجه الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه ابنه كلاب، وكان عابداً زاهداً، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي.

وقد حملت كتب التراث أخباراً تشي بأهمية شعر أمية في الاستشهاد في مواقف المناقرات، مما يدل على علو مكانة هذا الشعر ورسوخه في الأذهان وحفظه من قبل المستشعدين به.

فقد استشهد به الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في خطبته من على مسجد الكوفة، والتي نقلها الأصفهاني والذي نقل أيضاً تمثل ابن عباس ومعاوية (رضي الله عنهما) لشعر أمية عندما أرسل الأول رسالة للثاني، أما الاستشهاد الثالث فكان لعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) الذي نقله الأصفهاني أيضاً.

وتأسيساً على ما قيل احتفظ شعر أمية بجوانب مهمة عن الشعر في العصر الإسلامي، ولاسيما موقف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من سماعه لشعر أمية وقد رقى قلبه فأعاد إليه ولده، ومن جهة أخرى يأتي في سياق الأشعار التي بقيت محتفظة بخصائصها الجاهلية.

وقد بلغ مجموع الأبيات تسع وستين بيتاً احتوتها ثمانية عشر مقطوعة، تنوعت موضوعاتها ما بين منافرات ومدح وهجاء وفخر، وصاحب هذا التنوع بالموضوعات تنوعاً موسيقياً احتفلت به البحور الشعرية المتنوعة التي بني عليها الشعر.

أسمه ونسبه

أمية بن حرثان بن الأسكر - وقيل الأشكر^(١) - بن عبد الله بن - سريال الموت^(٢) - بن زهرة بن زينة بن جندع ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار^(٣).
وأمية شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، له أيام مأثورة مذكورة^(٤).

وعند مجيء الإسلام اسلم هو وابن له يقال له كلاب^(٥)، وكان قد كبر وخرف ولم تذكر المصادر شيئاً عن إسلامه سوى قصته المعروفة مع الخليفة عمر (رضي الله عنه).
أما في الجاهلية فقد وجدنا بعض الأخبار المتفرقة التي ذكرها من ترجم له ولكنها مقتضبة جداً، فقد ذكر ابن سلام أن لأمية شعراً قاله في الجاهلية والإسلام^(٦).

أمية في الجاهلية

تكاد تكون أخباره منقطعة سوى القليل فقد ذكرنا من ان أمية كان من فرسان قومه وسادتهم وقد بان هذا في شعره عندما قال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ غَضَابٌ حَبَّذَا غَضَبُ الْمَوَالِي
تَرَكْتُ مَصْرَفًا لِمَا التَّقِينَا صَرِيحًا تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي
وَلَوْلَا اللَّيْلُ لَمْ يَفْلِتْ ضَرَارٌ وَلَا رَأْسُ الْحِمَارِ أَبُو جُفَالٍ

فهنا تبرز قيادة أمية لقومه وشجاعته وفي ذلك اليوم، وعلى حد علمنا انه كان حاضراً في بعض الأيام المشهورة القريبة الواقعة من الإسلام كأيام عكاظ^(٧).

وقد نقل ابن حبيب في كتابه المنمق خبراً عن قرب تصالح بين القبائل المتنازعة في أيام عكاظ ورفض وهب بن معتب^(٨)، للصلح مما دفع أمية إلى عتابه^(٩):

المرء وهب وهب آل معتب مل الغواة وأنت لما تملل
تسعى توقدها وتجزل وقدها وإذا تعاطى الصلح قومك تأتلي

ولما ظفر بنو ليث بقوم أمية وكان بينهم حرب فحالف رحضة بن خزيمة بن خلاف بن حارثة بن غفار وقومه جميعاً بني اسلم بن افسى بن خزاعة فقال أمية - وهو سيد بني جذع بن ليث -^(١٠):

لَقَدْ طَبْتُ نَفْسًا عَنْ مَوَالِيكَ يَا رَحْضًا أَثَرْتُ أَذْنَابَ الشَّوَالِ وَالْحَمْضَا
تَعَلَّنَا بِالنَّصْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَكُلَّ رَيْبٍ أَنْتَ رَافِضُنَا رَفْضَا
فَلَوْلَا تَأْسِينَا وَحَدَّ رَمَاحُنَا لَقَدْ جَرَّ قَوْمٌ لَحْمَنَا تَرْبًا قَضَا

ويذهب الاصفهاني إلى خبر يكاد ينفرد به وهو إخراج بني بكر له عندما أصيبت أبله بالهيام، مما دفعه إلى مجاورة بني مزينة وقبولهم إجارته، وهو ما جعله يقول فيهم^(١١):

تَكْنَفُهَا الْهِيَامُ وَأُخْرِجُهَا فَمَا تَأْوِي إِلَى إِبْلِ صَحَاحٍ
فَكَانَ إِلَى مَزِينَةٍ مَنَّتَاهَا عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَنَاحٍ

أمية في الإسلام

كان أمية ممن أدرك الإسلام واسلم، ولكن ليس هناك ما يشفي غليل البحث من أخبار تتعلق بإسلامه وخبره، إلا أن الراجح انه اسلم في يوم المريسيع^(١٢) عندما غزا الرسول (ﷺ) بني المصطلق، وبناءً على ما قاله شاعر - طارق الخزاعي - يجيب أمية:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِقَائِلٌ إِلَى أَيِّ مَنْ يَظُنُّنِي أَعْذَرُ
أَعْنَفُ أَنْ كَانَتْ زَيْنَةُ أَهْلَكْتُ وَنَالَ بَنِي لَحْيَانَ شَرٌّ وَنَفَرُوا

وزينة هم بعض قوم بني جندع رهط أمية، وكان هذا في سنة خمس للهجرة، وعلى هذا فان أمية كان قد اسلم في هذه السنة مع ولديه - كلاب وأبي -.

ولما وجه عمر بن الخطاب، (رضي الله عنه)، الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه

ولم أقض اللبانة من كلاب
فتى الفتیان في عسر ويسر
فلا وإبيك ما باليت وجدي
وابقائي عليك إذا شئتونا
فلو فلق الفؤاد شديد وجتد
سأستعدي على الفاروق ربا
وأدعو الله مجتهداً عليه
إن الفاروق لم يردد كلاباً
إلى شيخين هامهما زواق

فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب له لبناً أعزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه مما دفع بالخليفة (ﷺ) إلى رد كلاب إلى أبيه ويأمره أن يلزم أبويه: فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهدى وقد ضعف بصره وانحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتي أن أرى كلاباً فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث إليه، بلبنها، ففعل فنأوله عمر الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب.

فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إنني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله، وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال لكلات: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

منزلة شعره

ابنه كلاب، وكان عابداً زاهداً، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي^(١٣).

وقد أورد الاصفهاني^(١٤) قصته مع الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ومنها اشتهر خبره ومفادها ان كلاباً بن أمية بن الأسكر هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزيبر بن العوام، فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغراه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طال غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلاباً
كتاب الله إن قبل الكتابا
أنادي به فيعرض في إباء
فلا وأبي كلاب ما أصابا
إذا شجعت حمامة بطن واد
إلى بيضاتها دعرا كلابا
أتاه مهاجران تكفاه
ففارق شيخه خطئا وخابا
تركت أباك مرعشة يداه
وأملك ما تسيف لها شرابا
تمسح مهره شفقاً عليه
وتجنبه أباعرها الصعابا
فإنك قد تركت أباك شيخاً
يطارق أينقا شزبا طرابا
إذا رتعن إرقالاً سراعاً
أثرن بكل رابية ترابا
طويلاً شوقه يبكيك فرداً
على حزن ولا يرجو الإيابا
فإنك والتماس الأجر بعدي
كباغي الماء يتبع السرابا

فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلاباً وطال مقامه فأهتر أمية وخلط جزعا عليه، ثم ما لبث أمية ان انشد شعراً لعمر بن الخطاب ليرد له كلاباً، عندما اتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله (ﷺ) وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذل قد عدلت بغير قدر
ولا تدريين عاذل ما ألقى
فأما كنت عاذلتني فردي
كلاباً إذ توجه للعراق

ونقل الاصفهاني^(١٦) أيضاً تمثل ابن عباس ومعاوية (رضي الله عنهما) لشعر أمية عندما ارسل الاول رسالة للثاني ((حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال: حدثنا زيد بن المعذل النمري، قال: حدثنا يحيى بن شعيب الخراز، قال: حدثنا أبو مخنف، قال: لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دس رجلاً من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه، فدل على القيني بالبصرة في بني سليم، فأخذ وقتل. وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية: أما بعد، فإنك ودسك أبا بني القين إلى البصرة تلتبس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً
أثارت عليها شفرة بكراعها
شمت بقوم هم صديقك أهلكوا
أصابهم يوم من الدهر أمعر
فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إلي بنحو مما كتبت به وأنبني بما لم أجن ظناً وسوء رأي، وإنك لم تصب مثلاً، ولكن مثلاً ومثلكم كما قال طارق الخزاعي:

فوالله ما أدري وإنني لصادق
إلى أي من يظنني أتعذر؟
أعنف أن كانت زينة أهلك
ونال بني لحيان شر ونفروا))

أما الاستشهاد الثالث فكان لعبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) الذي نقله الاصفهاني^(١٧) ((أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: افتعل عمرو بن الزبير كتاباً عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالاً، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمراً حتى يؤدي المال، فحبسه مروان، وبلغ الخبر عبد الله بن الزبير، فجاء إلى مروان وسأله عن الخبر، فحدثه به، فقال: ما لكم في ذمتي، فأطلق عمراً، وأدى

حملت كتب التراث اخباراً تشي باهمية شعر أمية في الاستشهاد في مواقف المنافرات، مما يدل على علو مكانة هذا الشعر ورسوخه في الالهام وحفظه من قبل المستشعدين به.

فقد استشهد به الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبته من على مسجد الكوفة، والتي نقلها الاصفهاني^(١٨) ((حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبد الله بن عدي بن الخيار: شهدت الحكمين، ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي (عليه السلام) حاجة، فدخلت عليه، فلما رأيته قال: مرحباً بك يا بن أم قتال، أزانراً جئت أم لحاجة؟ فقلت: كل جاء بي، جئت لحاجة، وأحببت أن أجد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به واحداً، فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متتكب قرناً له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. وجلس على المنبر، فاجتمع الناس، وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما ليس عند الناس، ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا، ثم نكت كنانته، فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم. من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك، دعها تترحل، فخفض علي - صلوات الله عليه - إليه بصره، وقال: ما يدريك ما علي مما لي! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر. والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر مرة، فما فذاك من واحد منهما حسبك ولا مالك، ثم رفع إلي بصره فقال: يا عبيد الله:

أصبحت قناراً لراعي الضأن يلعب بي
ماذا يريبك مني راعي الضان
فقلت: بأبي أنت وأمي، قد كنتُ والله أحب أن أسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك.

عبد الله المال عنه، وقال: والله إنني لأؤديه عنه وإنني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثل
قول أمية بن الأسكر الليثي:

فلولا تأسينا وحد رماحنا لقد جر قوم لحمننا تربا قضا))

وفاته

تشير اغلب الروايات إلى أن أمية بن الأسكر قد عمّر حتى خرف^(١٨) وما
يؤكد ذلك رواية الاصفهاني لخبر خرفه وكبره عندما سرد قصة راعي الضأن التي
سخر فيها الراعي من سقوط أمية على الأرض ورد أمية عليه بشعر^(١٩):

يا بني أمية إنني عنكما غان وما الغنى غير أنني مرعش فان
يا بني أمية إلا تحفظا كبري فإنما أنتما والتكل سيان
هل لكما في تراث تذهبان به إن التراث لهيان بن بيان
أصبحت هزء الراعي الضأن يسخر بي ماذا يريبك مني راعي الضأن

ولكن ليس لدينا تاريخ محدد لوفاته سوى أننا نذهب إلى تقصّيها من خلال
الحوادث التاريخية، فقد ذكر ابن الأثير من أن كلاباً ابن أمية ارتحل بعد وفاة أبيه إلى
الابلّة التي فتحت سنة ١٤ هـ على يد عتبة بن غزوان^(٢٠)، في خلافة عمر (رضي الله عنه)
الذي ألزم ابني أمية على عدم تركه حتى يموت وهذا يشي بان وفاة أمية كانت بعد
سنة ١٤ هـ وقبيل وفاة عمر بن الخطاب، ولا نبأ بالصواب إذا حددناها بسنة ٢٠ -
٢٢ هـ.

شعر

أمية بن حرثان بن الأسكر

(٥) الطويل (٣٢)

١. ولا بَابِنِ جَاعَ قَمْلُهُ عِنْدَ عَامِرٍ مُقْبِتاً عَلَيْهِ قَمْلُهُ يَتَسَرُّ الْمُقْبِتُ

(٦) الوافر (٣٣)

١. تَكْنَفُهَا الْهِيَامُ وَأَخْرَجُوهَا فَمَا تَأْوِي إِلَى إِبِلٍ صَحَاحٍ
٢. فَكَانَ إِلَى مَزِينَةٍ مَنْتَهَاها عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَنَاحٍ
٣. وَمَا يَكُنِ الْجَنَاحُ فَإِنْ فِيهَا خَلَائِقُ يَنْتَمِينَ إِلَى صِلَاحٍ
٤. وَيَوْمًا فِي بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ تَرَاوَعَى تَحْتَ قَعْقَعَةِ الرِّمَاحِ
٥. فَأَمَّا أَصْبَحْنَ شَيْخًا كَبِيرًا وَرَاءَ الدَّارِ يَثْقُلْنِي سِلَاحِي
٦. فَقَدْ آتَى الصَّرِيخُ إِذَا دَعَانِي عَلَى ذِي مَنَعَةٍ عَتَدَ وَقَاحٍ
٧. وَشَرَّ أَخِي مَوَاطِرَ خَذُولٍ عَلَى مَا كَانَ مَوْتَكِلَ وَلاَحٍ

(٧) الطويل (٣٤)

١. لَعَمْرُكَ إِنِّي وَالْخَزَاعِي طَارِقًا كَنَعَجَةٌ عَادَ حَتْفُهَا تَتَحَفَّرُ (٣٥)
٢. أَثَارَتِ عَلَيْهَا شَفْرَةُ بَكَرَاعِهَا فَظَلَّتْ بِهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ تَجْزُرُ (٣٦)
٣. شَمَتَ بِقَوْمٍ هُمْ صَدِيقُكَ أَهْلَكُوا أَصَابَهُمْ يَوْمَ مِنَ الدَّهْرِ أَعْسَرُ (٣٧)
٤. كَأَنَّكَ لَمْ تَنْبَأْ بِيَوْمِ ذَوَالَةِ وَيَوْمِ الرَّجِيعِ إِذْ تَنْحَرُ حَبْتَرُ
٥. فَهَلَا أَبَاكُمْ فِي هَذِيلٍ وَعَمَّكُمْ ثَأْرَتُمْ وَهُمْ أَعْدَى قُلُوبًا وَأَوْتَرُ
٦. وَيَوْمَ الْأَرَاكِ يَوْمَ أُرْدَفِ سَبِيكُم صَمِيمِ سِرَاةِ الدَّيْلِ عَبْدٍ وَيَعْمَرُ
٧. وَسَعْدُ بْنُ لَيْثٍ إِذْ تَسَلَّ نَسَاؤُكُمْ وَكَلْبُ بْنُ عَوْفٍ نَحْرُوكُمْ وَعَقْرُوا
٨. عَجِبْتَ لِشَيْخٍ مِنْ رِبِيعَةٍ مَهْتَرٍ أَمْرُ لَهُ يَوْمَ مِنَ الدَّهْرِ مَنَكْرُ

(١) الخفيف (٣١)

١. عَلِقَ الْقَلْبُ حُبَّهَا وَهَوَاهَا وَهِيَ بِكُرِّ غَرِيرَةٍ خَوْثَاءٍ

(٢) الطويل (٣٢)

١. قَدْ جَرَّتِ الْبِرْشَاءُ أَمْ سَرَاةٌ رَمَتْهُ بِهَا الْبِغْضَاءُ بَيْنَ الْحَوَاجِبِ
٢. وَقَدْ نِيلَ شَطْرَ اللَّيْلِ حَتَّى تَغْضَنْتِ مَشَاوِرَهُ كَالْقَنْفِذِ الْمُتَحَارِبِ
٣. إِذَا غَمَزَتْهُ الْكَفُّ قَالَ لَأَلَهُ وَاحْسَنَهُ لَوْ أَنَّهُ غَيْرُ شَائِبِ

(٣) الوافر (٣٣)

١. لَمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدَا كَلَابَا كِتَابَ اللَّهِ إِنْ قَبِلَ الْكِتَابَا (٣٤)
٢. أَنَادِيهِ فَيَعْرِضُ فِي إِبَاءٍ فَلَا وَأَبِي كَلَابَ مَا أَصَابَا (٣٥)
٣. إِذَا شَجَعَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَادٍ إِلَى بِيضَاتِهَا دَعَرَ كَلَابَا (٣٦)
٤. أَتَاهُ مَهَاجِرَانِ تَكْنَفَاهُ فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطْئًا وَخَابَا (٣٧)
٥. تَرَكْتَ أَبَاكَ مَرْعَشَةً يَدَاهُ وَأَمَّا مَا تَسِيغُ لَهَا شَرَابَا
٦. تَمَسَّحَ مَهْرُهُ شَفَقًا عَلَيْهِ وَتَجَنَّبَهُ أَبَاعِرُهَا الصَّعَابَا (٣٨)
٧. فَإِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ أَبَاكَ شَيْخًا يَطَارِقُ أَيْنَقَا شَزْبَا طَرَابَا (٣٩)
٨. إِذَا رُتِّعْنَ إِرْقَالًا سَرَاعًا أَثَرْنَ بِكُلِّ رَابِيَةٍ تَرَابَا (٤٠)
٩. طَوِيلًا شَوْقُهُ بِبَيْكِكَ فَرْدًا عَلَى حَزَنِ وَلَا يَرْجُو الْإِيَابَا
١٠. فَإِنَّكَ وَالتَّمَّاسُ الْأَجْرُ بَعْدِي كِبَاغِي الْمَاءِ يَتَّبِعُ السَّرَابَا

(٤) الطويل (٣١)

١. نَشَدْتُكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالٌ بَنُوهُ مِنْ لَوَيِّ بْنِ غَالِبٍ
٢. فَإِنَّكَ قَدْ جَرَيْتَنِي فَوَجَدْتَنِي أَعَيْنِكَ فِي الْجَلَى وَأَكْفِيكَ جَانِبِي
٣. وَإِنْ دَبَّ مِنْ قَوْمِي إِلَيْكَ عِدَاوَةٌ عَقَارِيهِمْ دَبَّتْ إِلَيْهِمْ عَقَارِي

(١٢) (٤٩) الطويل

١. إذا زاد أقواماً جهالةً غيرهم بهم ضعةً أرزي بجاهلنا الجهل

(١٣) (٥٠) الوافر

١. ألم تر أن ثعلبةً بن سعدٍ غضابٌ حبّذا غضبُ الموالي

٢. تركتُ مصرّفاً لما التقينا صريعاً تحت أطراف العوالي

٣. ولولا الليلُ لم يفلتُ ضرارٌ ولا رأس الحمار أبو جُفال

(١٤) (٥١) البسيط

١. قومي اللذو بعكاظٍ طيروا شرراً من روس قومك ضرباً بالمصاقيل

(١٥) (٥٢) الرجز

١. إذا لقيت راعيين في غنم أسديدين يحلفان بينهم

٢. بينهما أشلاء لحمٍ مقتسم فامض ولا يأخذك باللحم القرم

(١٦) (٥٣) البسيط

١. يا بني أمية إنني عنكما غان وما الغنى غير أني مرعش فان (٥٤)

٢. يا بني أمية إلا تحفظا كبري فإنما أنتما والتكل سيان

٣. هل لكما في تراث تذهبان به إن التراث لهيان بن بيان

٤. أصبحت هزءاً لراعي الضأن يسخر بي ماذا يريبك مني راعي الضأن (٥٥)

٥. أعجب لغيري إنني تابع سلفي أعمام مجد وأجدادي وإخواني (٥٦)

٦. وانعق بضأنك في أرض تطيف بها بين الأساف وأنتجها بجلذان (٥٧)

٧. ببلدة لا ينام الكائنان بها ولا يقر بها أصحاب ألوان

(٨) (٣٨) الطويل

١. لقد طببت نفساً عن مواليك يارحضا آثرت أذئاب الشوائل والحمضا

٢. تعللنا بالنصر في كل شتوة وكل ربيع أنت رافضنا رفضا

٣. فلولاً تأسينا وحد رماحنا لقد جر قوم لحمننا تريباً قضا

(٩) (٣٩) الوافر

١. أعاذل قد عدلت بغير قدر ولا تدرين عاذل ما ألاقى (٤٠)

٢. فإما كنت عاذلتني فردي كلاباً إذ توجه للعراق

٣. ولم أقض اللبابة من كلاب غداة غدو أذن بالفراق

٤. فتى الفتيان في عسر ويسر شديد الركن في يوم التلاقي

٥. فلا وابيك ما باليت وجدي ولا شفقي عليك ولا اشتياقي (٤١)

٦. وإبقائي عليك إذا شتونا وضمت تحت نحر واعتناقي (٤٢)

٧. فلو فلق الفؤاد شديد وجتد لهم سواد قلبي بانفلاق (٤٣)

٨. سأستعدي على الفاروق ربا له دفع الحجيج إلى بساق (٤٤)

٩. وأدعو الله مجتهداً عليه ببطن الأخشيين إلى دفاق (٤٥)

١٠. إن الفاروق لم يردد كلاباً إلى شيخين هامهما زواق (٤٦)

(١٠) (٤٧) الوافر

١. ومراقبةً نमित إلى ذراها تزل الطير كالرأس الحليق

(١١) (٤٨) الكامل

١. المرء وهب وهب آل معتب مل الغواة وأنت لما تملل

٢. تسعى توقدها وتجزل وقدها وإذا تعاطى الصلح قومك تأتلي

الهوامش والاحالات

- (١) اظنه تصحيفاً وقد وقع به ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب/١: ٢٥٦، والبكري في معجم ما استعجم/ ٣: ٢٢١، وابن الاثير في أسد الغابة/ ١: ٣٤٦، والصفدي في كتابيه نكت الهميان/ ١١٤، والوافي بالوفيات/ ٢: ١٧٥.
- (٢) اظنه لقباً وليس اسماً كما ذهبت بعض المصادر كالآغاني/ ٢١: ١٤، الإكمال/ ٢: ١٢٤.
- (٣) الآغاني/ ٢١: ١٤.
- (٤) م.ن/ ٢١: ١٤.
- (٥) المعمران والوصايا/ ٦٧.
- (٦) طبقات ابن سلام/ ١: ١٩١.
- (٧) ايام عكاظ:
- (٨) وهب بن معنوق:
- (٩) المنق/ ٢٠٢.
- (١٠) الآغاني/ ٢١: ١٤.
- (١١) الآغاني/ ٢١: ١٨.
- (١٢) يوم المريسيع: اسم ماء في ناحية قُديد إلى الساحل، سار النبي (ﷺ)، في سنة خمس للهجرة إلى بني المصطلق في خراعة لما بلغه أن الحارث بن ابي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعاً فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم. (معجم البلدان ٥: ١١٨).
- (١٣) المحاسن والمساوي/ ١٨٦.
- (١٤) الآغاني/ ٢١: ١٥.

(١٧) الوافر^(٥٨)

١. ألا سائل هوان يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا
٢. لدى شرب قد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أبينا

(١٨) البسيط^(٥٩)

١. هلا سألت بنا إن كنت جاهلة ففي السؤال من الأنباء شافيا
٢. تخبرك عنا معد إن هم صدقوا ومن قبائل نجران يمانيا
٣. وبالجياذ تجر الخيل عابسة كأن مذرور ملح في هوايا
٤. قوم إذا قذغ الأقوال طاف بهم ألقى العصي عصي الجهل باريا

ما نسب له وغيره

(١) الكامل^(٦٠)

١. أغضبت أن حلت كنانة مغزلاً منعت به مجد الحلال الأول
٢. نسأوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعز لم يتحول

- (٢٦) ورد في طبقات فحول الشعراء والمعمرين (إذا هَتَفْتُ ... وَجَّ ذَكَرًا كِلَابًا)، والروض الأنف (اذ يبيكي الحمام ... وَجَّ على بيضاتها بكيا كلابًا)، والمحاسن (إذا غنت ... وَجَّ)، والاكمل (إذا بكت ...).
- (٢٧) ورد في الإصابة (أتاه مهاجران فريخاه ... عباد الله قد عقا وخابا) وفي المحرر الوجيز (وإنَّ مُهاجِرِينَ تَكْنَفَاهُ عَدَاةٌ إِذْ لَقَدْ حَطَّنَا وَخَابَا).
- (٢٨) ورد في المعمرين (الصغابا)، وفي خزنة الأدب (تمسح مهده ...).
- (٢٩) ورد في المحاسن (فإن أباك حين تركت شيخ ... يطارد أيقناً شزياً جذابا).
- (٣٠) ورد في المعمرين وخزنة الأدب (فانك وابتغاء).
- (٣١) الابيات (١-٣) في العقد الفريد/ ٢: ١٢٩، والاوائل للعسكري/ ٢٣٨، والمصون/ ١٠٢-١٠٣، ومن غير نسبة في الصداقة والصديق/ ٢٣٧.
- (٣٢) تاج العروس/ مادة: جنع.
- (٣٣) الابيات (١-٧) في الأغاني/ ٢١: ١٨.
- (٣٤) الأبيات (١-٨) في الأغاني/ ٢١: ٢٧-٢٨، والأبيات (١-٣) في مقاتل الطالبين/ ١٧٦، والبيتان (١، ٢) في الإصابة/ ١: ٣٧٧.
- (٣٥) ورد في الإصابة (... كصيحة عاد) واطنها هي الاصوب لأن قوم عاد اخذتهم الصيحة كما في قوله تعالى: جَ جَّ س س ث ث ث ه ه ج [هود: ٦٧].
- (٣٦) ورد في مقاتل الطالبين (من آخر الليل تنحدر).
- (٣٧) ورد في مقاتل الطالبين (... الدهر أصفر) والإصابة (... الدهر أغبر).
- (٣٨) الأبيات (١-٣) في الأغاني/ ٢١: ٢٢.
- (٣٩) الأبيات (١-١٠) في الأغاني/ ٢١: ١٦، والوفاي بالوفيات/ ٢: ١٧٦، والأبيات (١، ٢، ٤-١٠) في معجم البلدان/ ١: ٤١٣، ونكت الهميان/ ١١٤، والأبيات (١، ٢، ٧، ٨، ١٠) في المعمرون والوصايا/ ٦٨، وجمهرة

- (١٥) م. ن/ ٢١: ١٩-٢٠.
- (١٦) م. ن/ ٢١: ٢٧-٢٨.
- (١٧) م. ن/ ٢١: ٢٢.
- (١٨) م. ن/ ٢١: ١٨، الإصابة/ ١: ٦٤، خزنة الأدب/ ٦: ١٤٤.
- (١٩) الأغاني/ ٢١: ١٩.
- (٢٠) الكامل في التاريخ/ ١: ٤١٢.
- (٢١) تهذيب اللغة/ مادة: رخو، ولسان العرب/ مادة: خوث.
- (٢٢) البرصان والعرجان/ ١١٢.
- (٢٣) الابيات (١-٧، ١٠) في الأغاني/ ٢١: ١٥-١٦، والأبيات (١-٦، ١٠) في المعمرون والوصايا/ ٦٨، وجمهرة اللغة/ ٢: ٦٧، وخزنة الأدب/ ٦: ١٤٥، والأبيات (١، ٢، ٣، ٥، ٧، ٨، ٩) في المحاسن والمساوي/ ٢٣١، والأبيات (١، ٢، ٤، ٥، ١٠) في الوفاي بالوفيات/ ٢: ١٧٦، والابيات (١، ٣، ٥) في طبقات فحول الشعراء/ ١: ١٩١، و(٢-٥) في الإصابة/ ١: ٣٧٨ مع اختلاف في تسلسل الابيات، و (٣-٥) في انساب الاشراف/ ٢: ١١٢ مع اختلاف في تسلسل الابيات، والبيت (١) في جمهرة انساب العرب/ ١٨٣، والبيت (٣) في مجاز القرآن/ ١: ١١٣، الروض الانف/ ١: ١٤٥، الاكمل/ ١: ٤٢٨، واسد الغابة/ ١: ٣٤٦، الانساب للسمعاني/ ٢: ٢٥٨، والبيت (٤) في المحرر الوجيز/ ١: ٢٧١.
- (٢٤) ورد في المعمرين (لو ذكر الكتابا)، وجمهرة اللغة وخزنة الأدب (لو قبل الكتابا)، والمحاسن (ان ذكر الكتابا).
- (٢٥) ورد في المعمرين (اناشده ويعرض)، والمحاسن (ويعرض لي حنين)، والإصابة (أنادييه فولاني قفاه).

تسلسل الأبيات، والبيتان (١، ٤) في نقد الشعر/ ٥٧، والبيت (٦) في العين/ ٤: ١١٥.

(٥٤) ورد في نقد الشعر (اني مشعرٌ فان).
(٥٥) ورد في طبقات فحول الشعراء (اصبحت فنا لراعي الضأن أعجبه) و معجم البلدان (اصبحت فرداً لراعي الضأن يلعب بي ...)، وفي نقد الشعر (لراعي الضأن أعجبه) و المحاسن والمساوي (أصبحت لهواً لراعي الضأن أعجبه).
(٥٦) ورد في طبقات فحول الشعراء (إن تَرَعَ ضأناً فَإِنِّي قَدْ رُزْتُهُمْ بِبَيْضِ الْوُجُوهِ، بني عَمِّ وَإِخْوَانِي) و المحاسن والمساوي (انعق بضأنك إني قد فقدتهم ببيض الوجوه بني عمي وإخواني) ومعجم البلدان (... أعمام مجد وإخوان وأخدان).
(٥٧) ورد في العين (انعق بضأنك في بقل تبخره من ذي الاباطح واحبسها بجلذان) و المحاسن والمساوي (انعق بضأنك في أرض بمخضرة من الأباطح واحبسها بجلدان)، و معجم البلدان (... بين الاصافر ...).

(٥٨) معجم ما استعجم / ٣: ٢٢١، وفيه أمية بن الاشكر، خزانة الأدب/ ٦: ١٤٤.
(٥٩) البيان والتبيين/ ٣: ٤٨.

(٦٠) جاء في سمط اللآلئ/ ١: ١٢ هو لأمية بن الأسكر الليثي قاله يخاطب وهب بن معتب الثقفي، وقيل إنه للشويعر ربيعة الليثي، ونرى انه لامية لأن له قصة مع وهب وقد اورد قطعة اخرى يعاتبه فيها:

المرء وهب وهب آل معتب مل الغواة وأنت لما تملل
تسعى توقدها وتجزل وقدها وإذا تعاطى الصلح قومك تأتلي

المصادر والمراجع

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة (د.ت).

اللغة/ ٣: ٢٧٤، والبيتان (١، ٨) في المحاسن والمساوي/ ٢٦٩، والبيتان (٨، ١٠) في طبقات فحول الشعراء/ ١: ١٩١، والعمدة/ ١: ١٣٢.

(٤٠) ورد في المعمرين وجمهرة اللغة (... بغير علم وما يدريك ويحك ما ألاقى)، وفي المحاسن والمساوي ورد الشطر الثاني (وهل تدري العوازل ما ألاقى)، و نكت الهميان (وما تدرين).

(٤١) ورد في نكت الهميان (ولا شغفي ...).

(٤٢) ورد في نكت الهميان ومعجم البلدان (وايقادي ... تحت نحري ...).

(٤٣) ورد في المعمرين وجمهرة اللغة (فلق الفؤاد حماط وجد ...).

(٤٤) ورد في طبقات فحول الشعراء (سأستأدي بصاق)، وفي المعمرين وجمهرة اللغة (سأستدعي ...)، وفي المحاسن (له حجج ... اتساق)، وفي الوافي بالوفيات (إلى سياق) ونكت الهميان (له عمد الحجيج ...).

(٤٥) ورد في نكت الهميان ومعجم البلدان (وادعوا الله محتسباً ...).

(٤٦) ورد في نكت الهميان (على شيخين ...).

(٤٧) البرصان والعرجان/ ٥٤٦.

(٤٨) المنمق في اخبار قريش/ ٢٠١.

(٤٩) نسب قريش/ ١٢٤.

(٥٠) البيان والتبيين/ ٣: ١٢.

(٥١) خزانة الأدب/ ٦: ١٤٥.

(٥٢) الاصنام/ ٦٦، معجم البلدان/ ٥: ٢٣٨.

(٥٣) الأبيات (١- ٧) في الأغاني/ ٢١: ١٩، والأبيات (٥، ٤، ٢، ١) في طبقات فحول الشعراء/ ١: ١٩٢، مع اختلاف في تسلسل الأبيات، والأبيات (٤- ٦) في المحاسن والمساوي/ ٢١٤، ومعجم البلدان/ ٢: ١٥١، مع اختلاف في

- ١٥- خزنة الأدب/ البغدادي (١٠٩٣)/ تقديم وفهرسة: محمد طريفي/ مط: دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٨.
- ١٦- الروض الانف/ السهيلي (ت ٥٨١هـ)/ المط: الجمالية - مصر - ١٣٣٢هـ.
- ١٧- سمط اللآلئ/ البكري (٤٨٧)/ تح: عبد العزيز الميمني/ مط: لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٤٧.
- ١٨- الصداقة والصدق، التوحيد (٤٠٤)، د. وت: الشربيني شريدة، مط: دار الحديث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧.
- ١٩- طبقات فحول الشعراء/ ابن سلام (٢٣١)/ تح: محمود محمد شاكر /مط: المدني - مصر - ١٩٨٣.
- ٢٠- العقد الفريد/ ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)/ طبعة: دار احياء التراث العربي - بيروت - تاريخ المقدمة - ١٩٨٩.
- ٢١- العمدة/ ابن رشيق (٤٥٦)/ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد/ مط: السعادة - مصر - ١٩٥٥.
- ٢٢- كتاب العين / الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٠)/ تح: ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي/ مط: مؤسسة دار الهجرة - ايران - ط ١ - ١٤٠٩.
- ٢٣- الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ تح: عبد الله القاضي/ مط: دار صادر - بيروت - (د.ت).
- ٢٤- لسان العرب /ابن منظور (٧١١)/ مط: دار صادر - ط ٣ - ٢٠٠٤.
- ٢٥- مجاز القرآن/ أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ)/ تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٤.
- ٢٦- المحاسن والمساوئ/ البيهقي (٣٢٠)/ مط: دار صادر - بيروت - (د.ت).

- ٢- الإصابة في تميز الصحابة، بابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، دار الفكر - بيروت - ١٩٧٨م.
- ٣- الاصنام، ابن الكلبي، مط: دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.
- ٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦)/ طبعة: عبده مهنا/ مط: دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٤ - ٢٠٠٢.
- ٥- الإكمال، ابن ماكولا، بعناية: عبد الرحمن اليماني، مط: حيدر آباد الدكن، ١٩٦٦_١٩٦٢.
- ٦- انساب الأشراف، البلاذري (ت ٢٧٩هـ)/ بيروت - ١٩٧٩.
- ٧- الأنساب، للسمعاني، تقديم: مرجليوث، بيروت، ١٩٧٦_١٩٨١.
- ٨- الأوائل/ العسكري (٣٩٥)/ تح: وليد قصاب ومحمد المصر/ مط: دار العلوم - الرياض - ١٩٨٠.
- ٩- البرصان والعرجان، الجاحظ (٢٥٥)، تح: عبد السلام هارون، مط: دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢.
- ١٠- البيان والتبيين/ الجاحظ (٢٥٥)/ تح: عبد السلام هارون/ مط: دار الجيل - بيروت - (د.ت).
- ١١- تاج العروس/ الزبيدي (١٢٠٥)/ مكتبة الحياة - بيروت - (د.ط) - (د.ت).
- ١٢- تهذيب اللغة/ الأزهر (٣٧٠)/ تح: عبد السلام هارون/ مط: المؤسسة المصرية - ط ١ - ١٩٦٤.
- ١٣- جمهرة انساب العرب/ ابن حزم (٤٥٦)/ تح: ليفي بروفنسال/ مط: دار المعارف - مصر - ١٩٤٨.
- ١٤- جمهرة اللغة/ ابن دريد (٣٢١)/ تح: رمزي منير بعلبكي/ مط: دار العلم - بيروت - ط ١ - ١٩٨٧.

المحرري وابن زيدون - دراسة موازنة -

م.م. نايف عبدالله محمود الجبوري

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله جاعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا وجاعل الإسلام ظاهراً ولو كره الكافرون، ومع الإسلام لغة الرسول الكريم وصلى الله على سيدنا (ﷺ) القائل وهو ضعيفٌ بمكة ((إن الله زوى - جمع - لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...)) رواه مسلم^(١)، ورضي الله عن الصحابة والتابعين الذين حملوا راية الإسلام إلى بلدٍ لم يكونوا بالغيه إلا بالإسلام ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد..

فمما تفخر به لغة الضاد على سائر اللغات كونها لغة خاتم الأنبياء والمرسلين ولغة آخر الكتب السماوية والم محفوظ إلى قيام الساعة، هذه اللغة التي رفعت الكثيرين فصاروا نجومًا على مرّ العصور، في حين وُضِعَ آخرون ممن رفعتهم الماديات ردىً لا يكاد يطول.

وممن ارتفع باللغة أعلامٌ كثيرون نأخذ منهم علّمين أحدهما مشرقى وهو أبو العلاء المعريّ والآخر من الأندلس وهو ابن زيدون وقد التقى هذان الشاعران في كثير من الأمور وافترقا في أخرى.

ومما دعاني للموازنة بينهما هو إعجابي الشديد بشاعريتهما البعيدة عن التكلف والتصنع وتمكّنهما من اللغة، بل إن قصيدة ابن زيدون ((أضحى التناي)) في

- ٢٧- المحرر الوجيز، لابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- ٢٨- المصون في الادب، للعسكري، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢.
- ٢٩- معجم البلدان/ ياقوت الحموي (٦٢٦)/ مط: دار صادر - (د.ت).
- ٣٠- معجم ما استعجم، البكري، تح: جمال طلبه، مط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- ٣١- المعمران والوصايا، ابو حاتم السجستاني، تح: عبد المنعم عامر، مط: البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١.
- ٣٢- مقاتل الطالبين، لابي الفرج الاصفهاني(٣٥٦)، تح: السيد أحمد صقر، مط: دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- ٣٣- المنق في اخبار قریش، لابن حبيب (٢٤٥)، تح: خورشيد أحمد فاروق، مط: حيدر آباد الدكن - الهند، ط١، ١٩٦٤.
- ٣٤- نقد الشعر، قدامة بن جعفر(٣٣٧)/ تح: كمال مصطفى كمال/ القاهرة - ط٣ - ١٩٧٨.
- ٣٥- نكت الهميان في نكت العميان، الصفدي، تح: احمد زكي بك، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- ٣٦- الوافي بالوفيات/ الصفدي (ت٧٦٤هـ)/ باعتناء: إحسان عباس، طبعة: دار صادر، ١٩٦٩م.
- ٣٧- نسب قریش، مصعب الزبيري (٢٣٦)، نشر: ليفي بروفنسال، مط: دار المعارف، مصر، ١٩٥٣.

ولادة بنت المستكفي الذي قال عنها المقري في كتابه نفح الطيب ((لم يقل مع طولها في النسيب أرقّ منها))^(٦) قد شغلتنني كثيراً فكنت أحاور نفسي عن معانيها الليالي الطوال.

ولم يدان حبّ هذه القصيدة في نفسي إلا قصيدة أبي العلاء التي ألجأ إليها كلما ضاقت بي الأرض فكأنني أسمع هاتفاً يزجر ويقول:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْنَمُ شَادٍ
وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعْيِ إِذَا قِيَسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكْتَ تَلْكُمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَى نَتَّ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَادِ
صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرَّحَى بَ فَايْنُ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادٍ
خَفَفَ الْوَطْءُ مَا أَظُنَّ أَدِيمَ الْـ أَرْضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ^(٧)

وبين علم وعلم لقاءً وافترق ونعجب كيف لمن بعدهما أن يجد لنفسه موضعاً في الأدب والشعر، فيالعظمة هذه اللغة ولولا ما قاله عنتره قبل قرون:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ^(٨)
وقد قيل بعده لظننا أن لا شعر بعد هؤلاء الأعلام.

وبعد:

اشتمل البحث على حياة الشاعرين وما أحيط بهما من ظروف معطياً للشاعر الأول أبي العلاء حرف (ع) أما الشاعر الثاني ابن زيدون فقد أعطيته رمز (ز).. تتناول البحث أيضاً دراسة فنية لقصيدتي الشاعرين من ناحية الأسلوب والألفاظ والموضوع والصورة والقافية وما أعطته من دلالة، واحتوى البحث على نقاط الالتقاء والاختلاف بين الشاعرين.

ثم ألحق هذا البحث بملحق وردت فيه القصيدتين كاملتين على نحو ما ذكرته في ديوانيهما.

المبحث الأول

حياة الشاعرين وما أحيط بهما من ظروف

ع- ولد أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان في معرة النعمان من أعمال حلب سنة ٣٦٣ هـ^(٩)، ينتهي نسبه إلى ((تتوخ)) وهي قبيلة قديمة ذات شرفٍ معزٍ منذ الجاهلية قبل الإسلام بدهورٍ طوال^(١٠). سليل بيت عريق بالعلم والقضاء لقرونٍ عدّة.

ز- ولد ابن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ^(١١). كان والده فقيهاً وقاضياً وكان معدوداً في عليّة القوم.

من هذا يتضح أنّ الشاعرين عاشا - تقريباً - في عصرٍ واحد وبيئةٍ متشابهةٍ من حيث كونهما أبناءً لعوائلٍ عرفت بالعلم والدين والأدب، بل أنّ أبويهما عملاً في القضاء والذي لا يولّى في الإسلام إلا لمن تجرّ في الفقه والعلم والفطنة والأدب.

ع- أصيب أبو العلاء بالجذري في سنته الرابعة مما أفقده بصره مع آثار وندب بقيت على الوجه طول عمره^(١٢)، مما أدى إلى أن يطبع شعره بطابع الحزن والأسى حتى أنه أسمى نفسه ((رهين المحبين)) وظهر ذلك جلياً في شعره.

ز- سُجن ابن زيدون وطال به الأمد في السجن مما ترك ذلك بصمة واضحة على شعره^(١٣) ومنها قصيدة ((أضحى التناهي)) التي قالها بعد هروبه من السجن وبعثها إلى ولادة بنت المستكفي.

ع- عاش أبو العلاء في ظروف سياسية واجتماعية يغلب عليها التقلب والتناحر بين الأمراء والولاة مما طبع الناس بمسحة البؤس والشقاء والقلق.

ز- عاش ابن زيدون بما يشبه جو الشرق إذ كثرت الخصومات في الأندلس، واستقلت أكثر المدن باسم إمارات مما أضعف السلطة المركزية هناك.

فينصحننا الشاعر بأن نخفف من وقع أقدامنا على أديمها لأنه كما يراها ويظنّها قد نشأت من الأجساد، بل ربما يكون قد أراد النهي عن التكبر مصداقاً لقوله تعالى ﴿...﴾^(١٠) فيقول:

وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ
سِرٌّ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويْدًا
رَبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا
ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاحُمِ الْأَضْدَادِ

• وتستمر القصيدة بنظرة فلسفية حزينة تتم عن فؤاد مكلوم ونفسٍ معذبةٍ آلمها طول الهمّ وعظم المصيبة، فخسارة الصديق من جهة تهيج آلام مصيبته الأولى (العمى) إذ استوى لديه الليل والنهار ومنه أخذ استواء البشير والناعي، والحياة والموت بل يقول ساخرًا إنّ الضدين ربما يكونا في لحدٍ واحدٍ بتطاول الزمان قائلاً:

وَشَبِيهَةٌ صَوْتُ النَّعْيِ إِذَا قِيءَ
سَسْ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ

• ينظر الشاعر إلى الحياة نظرةً قالٍ هاجر فيصفها بتعبٍ ولا غربة في هذا الوصف، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف قوله (ﷺ) ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة ماء))^(١١) فيخبرنا هنا بأنّ الحياة التي فقد فيها أهم حاسة كلها لا تساوي شيئاً فيقول:

تَعَبٌ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْدَ
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَزْدِيَادٍ

• نلاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر يتجه إلى نظرة صوفية واضحة في هجر الدنيا وتقليل من شأنها ولا أرى أنّ العمى وحده فعل ذلك لأنّ الكثير من العميان غير الشعراء أسوأ من غيرهم وبخاصة الشعراء منهم^(١٢) فيقول:

إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
أُمَّةٌ يَحْسَبُونَ لَهُمُ لِلنَّفَادِ
لِإِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَا
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
لِإِلَى دَارٍ شَقِيَّةٍ أَوْ رَشَادِ

ع- عزف أبو العلاء عن الزواج بعد أن أحبّ جاريةً له ماتت فتمتّى لو كان هو الميّت بدلاً عنها.

ز- عزف ابن زيدون عن الزواج بعد معاناته من حبّ ولادة والهيام بها مما طبع حياته كلّها بذلك.

ع- غلب الحزن والفلسفة على شعر أبي العلاء لعوامل عدّة منها ((فقدان البصر - فقدان الحبيب - فقدان الأم والإخوان فيما بعد))

ز- غلب الحزن على شعر ابن زيدون لعوامل عدّة منها ((فقدان الحرية [السجن] - فقدان الحبيب)).

المبحث الثاني

دراسة في قصيدة أبي العلاء

• في مريثته المشهورة ((غَيْرُ مُجْدٍ فِي مَلْتِي...)) التي قالها في الفقيه القاضي ابن حمزة التنوخي وهو من بني عمومته ورفاق صباه، ندرك لمح الومضات الكاشفة عن الجرح الغائر في أعماق وجدان الشاعر فجاءت قصيدته على إيقاعٍ حزينٍ غير متكلفٍ ابتدأها بأسلوب النفي، فذكر أنّ البكاء والتأوه والنواح بالنسبة للبشر وللطيور بترنيماتها غير مجدية النفع في إرجاع الفقيذ العزيز بعد أن أخذته يد المنون على حسب ملّة واعتقاده إذ يقول:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مَلْتِي وَاعْتِقَادِي
نَوُوحُ بَاكِ وَلَا تَرْنَمُ شَادِ

• في هذه القصيدة يشبّه لنا الشاعر صوت النعيّ بموت صاحبه ورفيق صباه بأنه كصوت البشير في كل نادٍ فكلاهما صوتٌ عالٍ ينبئُ بحدثٍ جديد فيقول

وَشَبِيهَةٌ صَوْتُ النَّعْيِ إِذَا قِيءَ
سَسْ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ

• ثم تأتي فلسفة الحياة والأرض في شعره وأنّ على الإنسان أن يتصبر في حقيقته ومآله وإلى أيّ مدى سيصل ؟ وما هو في النهاية إلا رفاة في أديم الأرض،

المبحث الثالث

دراسة في قصيدة ابن زيدون

• نونية ابن زيدون التي طالما تغنى بها العشّاق ورثها الصغار والكبار، جاءت على وزن الكامل الذي يعد (أهم البحور العربية لكثرة النظم فيه)^(٢٢) ويمتاز (بجرس واضح ينبعث من هذه الحركات الكثيرة المتلاحقة)^(٢٣)، فنراه يناسب قصيدة ابن زيدون التي تحتاج إلى مساحة من الزمن للتعبير عن معانيها، وقد وفق الشاعر في اختياره هذا البحر وزناً ينظم عليه قصيدته. وقافية مطلقة مردوفة وحرف الروي هو النون الذي هو شبيه بروي معلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:

أَلَا هُبَيِّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(٢٤)

ويكاد يكون ابن زيدون قد أخذ من عمرو بن كلثوم روي قصيدته إلا أن غرضي القصيدة مختلفان فقصيد ابن زيدون في الغزل وقصيدة عمرو بن كلثوم في الفخر والحماسة.

وهذه القصيدة مبنية بأسلوب جميل رقيق هادي ومختومة بالنون الذي طالما ذكر فضائله العلماء في الوقف حيث يعطي نبرة حزن مع جرس مصحوب بالحنين.

وتعدّ النون من حروف الدلاقة^(٢٥) ولها جرس لطيف ونغم موسيقي عذب في ترتيب القوافي^(٢٦) لذلك جاءت قصيدة ابن زيدون محملة بأعمق معاني الصدق الإنسانية مؤثرة في المتلقي أشد التأثير هذا فضلاً عن الخصائص الفنية الأخرى.

• نعود إلى القصيدة التي طالما تحدّث عنها النقاد مادحين كثيراً وأحياناً قادحين، ولكن تبقى في المحصلة أنّ القصيدة هي من عيون قصائد الغزل الوجداني، ومما يطلق عليه السهل الممتنع حيث لا يصعب لمن سمع الشطر الأول أن يكمل

• وإنّ الذي دفعني إلى اختيار هذه القصيدة إنموذجاً لشعره هو أنها تتسم بصدق العاطفة والتعبير وسلاسة الألفاظ وترابط المعاني ودقة الصورة المراد وصفها، فالشاعر كما يقول الجاحظ ((صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير))^(٢٧) والشاعر الناجح هو الذي يجعل من صورهِ أداةً فنية لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون^(٢٨). والابتعاد عن الألفاظ الغريبة إذ يختار من الألفاظ كل ما هو رقيق معبر وصادق ذلك بأن روح الشعر يكمن في تركيبه اللغوي، وهذا التركيب عملية يقتضيها العمل الشعري، إذ ((أن القصيدة في أبسط تصوّر لها لا تعدو أن تكون مجموعة من الألفاظ مرتبطة ومنسّقة على نحو معين، ولكنها حين تكون على هذا النحو تكون قد اكتسبت شخصية خاصة لها حيويتها ولها فعاليتها))^(٢٩).

• من خلال هذه القصيدة نرى أنّ الصورة فيها كأنها تجسيد متكامل لنظرة صوفية فلسفية لا تخلو من دعاء الأثير للميت تأثراً بقول العرب: ((سقتك الغوادي))^(٣٠) والغوادي هي المزن، وأقرّ ذلك الرسول الكريم (ﷺ) بوضعه سعة خضراء على قبر أحد الصحابة قائلاً عسى أن يخفف عنه الله ما دامت خضراوين^(٣١).

• أما قافية القصيدة فقد جاءت مطلقة مؤسسة للدلالة على عمق هذه الحادثة وأثرها في نفس الشاعر وعلى استمرارية هذا الأثر وعدم توقفه. وبالنسبة لحرف الروي الذي جاءت عليه القصيدة فكان حرف الدال الذي يعد أحد حروف القلقة المجهورة^(٣٢) ويمتاز بشدته، وفيه نغم موسيقي يريح المتلقي لحسن إيقاعه^(٣٣). وهو اختيار موفق لما في الدال من صوت مدوّ وأثر كبير، أراد الشاعر من خلاله أن يبقى صدى كلمات قصيدته ومعانيها مدوية في الآذان وعالقة في القلوب مستعينا ببحر الخفيف الذي يتناسب مع غرض الرثاء كونه أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع^(٣٤) وكونه أيضاً (وزن وسط بين الفخامة والدقة)^(٣٥).

- من ناحية الألفاظ استخدم ابن زيدون ألفاظاً ذات جرس رثان هادئ لتعبّر بصدق عن موضوع القصيدة ولكنها في الوقت نفسه جزيلة متينة لا تختلف في لغتها عن قصائد الذين سبقوه من الشعراء، بل لو قارن أحدها بين قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة ابن زيدون من حيث الألفاظ لما وجد كثير اختلاف إلا فيما يخص المعنى المختلف من المراد بالقصيدتين، فهذه - كما أسلفنا - قصيدة غزلية وجدانية وتلك قصيدة حماسية مليئة بالفخر والاعتداد بالنفس والقبيلة.
- لقد عاب الكثير من النقاد على ابن زيدون تكرار المعاني في الأبيات باختلاف الألفاظ.

المبحث الرابع

أ- نقاط الالتقاء عند الشعارين

ب- نقاط الاختلاف

أ- نقاط الالتقاء لدى الشعارين:

- لا بد لنا أن نشير هنا إلى أن أبا العلاء المعري (أحمد بن عبدالله) وابن زيدون (أحمد بن عبدالله) اشتركا في كثير من الصفات، منها:
- أولاً: الإسم (أحمد بن عبد الله).
- ثانياً: العصر، فالمعري ولادته ٣٦٣هـ ووفاته ٤٤٩هـ، أما ابن زيدون فكانت ولادته ٣٩٤هـ ووفاته ٤٦٣هـ.

ثالثاً: الاشتراك بالمعاناة والإحساس بالظلم سواء من الناس أو الحياة.

رابعاً: كونهما سليلي عائلة علم حتى أن أبوهما وجدّهما كانا قاضيين.

خامساً: التمكن من اللغة واستخدام الألفاظ أحسن استخدام لتؤدي الغرض المطلوب فلا تكاد تحسّ بفرق الطبيعة بينهما حيث أن الأول عاش في واقع صحراوي

- الشرط الثاني من خلال الطباق والجناس الكثيرون اللذين زادا القصيدة روعة على روعة فنلاحظ الألفاظ (المتضادة) [التنائي/ التداخي، طيب اللقياء/ التجافي، الضحك/ الإيكاء، انحلّ/ معقوداً، اثبتّ/ موصولاً، التفزق/ التلاق، سوداً/ بيضاً، الأيام/ الليالي، ... إلخ] والجناس مثل ذلك.
- من هنا نلاحظ أن أبيات القصيدة تكرر بصورة أراد أن يجسدها الشاعر من جميع النواحي وبمختلف الألفاظ، صورة مقارنة بين ما كان من طيب الودّ وصافي الهوى وربيع الزمان إلى القطيعة والهجر بل الضغينة والحقد بسبب قول الواشين فيعدها مزلت ومزلت ليصورها أحسن تصوير وكأنه يرى مشهداً مجسماً صور من جميع الجهات فيقول:

أضحى التناي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقينا تَجَافِينَا
ألا وقد حان صُبْحُ البين صَبَحْنَا حين فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ المُلبسينا بِانْتِزَاحِهِمْ حزنًا مع الدهر لا يَبْلَى وَيَبْلِينَا

- ليس الحبيب وحده سبب شكوى الشاعر إذا بل الزمان وهو كناية عن كل ما يحيط به من أمور في الحياة وعلى رأسها ما لا يستطيع أن يسمي، وهذه الشكوى نراها تتكرر في الأوقات التي يظن فيها الناس أن الأمر وُسْدٌ إلى غير أهله، وهذا حال شاعرنا بعد السجن وما رافقه من تباعد الأخلاء وانفضاض مجالس الأئس السالف فيقول في ذلك:

أن الزمان الذي مازال يُضْحِكُنَا أنساً بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
غِيظَ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ فقال الدهر آمينا

ملحق رقم - ١ -

- قصيدة أبي العلاء المعري - (٢٧) (١)

قالها في الفقيه القاضي أبي حمزة التتوخي وهو من بني عمومته ورفاق

صباه:

وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِيَا
أَبْكَتْ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَى
صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلُّا الرُّحَى
خَفَّفِ الْوُطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الدَّ
وَقَبِيحَ بَنَى وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ
سِرْ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويْدَا
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ عَمَّنْ أَحْسَا
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارِ
تَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعَا
إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَفْدَةٌ يُسْتَرِيحُ الدَّ
أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عَذِّ
إِيَّاهُ لِلَّهِ دَرَكُنْ فَأَنْتُنَّ
مَا نَسِيْتُنَّ هَالِكَا فِي الْأَوَانِ الدَّ

تجسد خاصة في سفره إلى بغداد (أحس هذا رغم عماه لأنه يحيط به من كل جانب). أما الثاني فعلى الرغم من كون الأندلس جنة الله على الأرض إلا أن ذلك لم يطبع الشاعر بالتلف واللين مما كان يجب في مثل هذا الحال.

سادساً: يشترك الشاعران بصدق العاطفة والقدرة على تجسيد هذا الصدق بأبيات شعرية، ولو أخذنا النصين السابقين لوجدنا فيها كثرة استخدام الطباق والجناس لإظهار التضاد لأن الضد بالضد يبين.

سابعاً: لعل من المفيد أن نذكر أن التشابه في اللغة والأسلوب والظروف المحيطة انسحب إلى التشابه في تفاصيل الحياة الخاصة، حيث أن الاثنين عزا عن الزواج بسبب حب بئيس إذ ماتت حبيبة الأول منهما وأما حبيبة الثاني فقد هجرته.

ب- نقاط الاختلاف:

إن فقدان البصر لدى أبي العلاء جعله ينصرف في كثير من قصائده (ومنها القصيدة السالفة) إلى الفلسفة الممزوجة بشيء من التصوف، ومحاولة ذم التشبث بالحياة ما دام المآل إلى التراب. بينما تمسك ابن زيدون بالحياة كثيراً حتى أن قصيدته تظهر ذلك جلياً من خلال كثرة البكاء على السعادة المفقودة والإكثار من مجالس الأُنس ثم إنه تقلد مناصب الوزارة مرّات، بل إن حبه لولادة بنت المسكتقي - رغم مسحة الصدق الظاهرة - يعدّ عاملاً مساعداً نحو الصعود الاجتماعي والوظيفي، وهذا دليل يؤكد صدق ما قلناه.

قد أقرَّ الطبيبُ عنك بعجزٍ
وانتهى اليأسُ منك واستشعرَ الوجعُ
هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمَنِّ
أنتَ مِن أُسْرَةٍ مَضَوْا غَيْرَ مَعْرُوفٍ
لا يُعَيِّرُكُمْ الصَّعِيدُ وَكَوْنُوا
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خُلُطُ اللَّيَالِي
كُنْتُ خَلَّ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ الـ
ورأيتَ الوفاءَ للصَّاحِبِ الأَوْ
وخلعتُ الشَّبابَ غَضًّا فَيَا لَيْدٍ
فأذهبَا خيرَ ذاهِبَيْنِ حَقِيقَيْنِ
ومراثٍ لَو أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ
زُحُلٌ أَشْرَفُ الكَوَاكِبِ دَاراً
ولنارِ المَرِيخِ مِن حَدَثَانِ الدَّهْرِ
والثَّرِيَا رَهِيئَةً بِإِفْتِرَاقِ الشَّمْسِ
فليكنَ لِلْمَحْسَنِ الأَجَلُ المَمْدُودِ
وليطبَّ عَنْ أَخِيهِ نَفْساً وَأَبْنَا
وَإِذَا البَحْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرِ
كُلَّ يَبْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَتِي الوَرْدُ
والفَتَى ظَاعِنٌ وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السَّنَنِ
بأن أَمُرُ الإِلَهِ وَخَتْلَفَ النَّاسُ
والَّذِي حَارَتِ البرِّيَّةُ فِيهِ
واللَّيْبُ اللَّيْبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَرُ

وتَقَضَّى تَرَدَّدُ العُودِ
دُ بَأْنَ لَا مَعَادَ حَتَّى المَعَادِ
رِيضٍ وَيَحْ لِأَغْيَنِ الهُجَادِ
رِيْنٌ مِنْ عَيْشَةٍ بِذَاتِ ضِمَادِ
فِيهِ مِثْلُ السَّيُوفِ فِي الأَعْمَادِ
رِمٌ أَقْدَامُكُمْ بِرِمِ الهَوَادِي
بَيْنَ وَأَقْفَتِ رَأْيُهُ فِي المُرَادِ
وَلِ مِنْ شِيْمَةِ الكَرِيمِ الجَوَادِ
تَكَ أَبْلِيَّتُهُ مَعَ الأَنْدَادِ
مِنْ بِسْطِيَا رَوَائِحِ وَغُودِ
لِمَحْوُنِ السَّطُورِ فِي الإِنْشَادِ
مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعَادِ
رِ مُطْفِئٍ وَإِنْ عَلَتْ فِي اتِّقَادِ
شَمْلٍ حَتَّى تُعَدَّ فِي الأَفْرَادِ
دُودٌ رَغْمًا لَا تُفِ الحُسَادِ
عَ أَخِيهِ جَرَانِحِ الأَكْبَادِ
وَ فَلَإِي بِإِذْخَارِ الثَّمَادِ
قَاءً وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ العِمَادِ
سَدْرٌ ضَرْبِ الأَطْنَابِ والأَوْتَادِ
سُ قِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادِ
حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ
رُ بِكُؤُنِ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

بَيْدَ أَنِّي لَا أَرْتَضِي مَا فَعَلْتُ
فَتَسَلَّتْنِ وَأَسْتَعِزْنَ جَمِيعاً
ثُمَّ غَرَّدْنَ فِي المَاتِمِ وَأَنْدَبُ
قَصَدَ الدهرُ مِنْ أَبِي حَمْرَةَ الأَوْ
وفقيهاً أَفْكَارُهُ شِدْنٌ لِلنَّعْ
فالعِرَاقِي بَغْدَه لِلْحِجَازِي
وخطيباً لَوْ قَامَ بَيْنَ وَخُوشِ
رَاقِباً لِلْحَدِيثِ لَمْ يُخَوِّجِ المَعْدُ
أَنْفَقَ العُمَرُ نَاسِكاً يَطْلُبُ العُدُ
مُسْتَقِي الكَفِّ مِنْ قَلِيْبِ رُجَاجِ
ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمُسُ الذَّهَبِ الأَخْدُ
وَدَّعَا أَيُّهَا الحَقِيَّانِ ذَاكَ الشَّ
وَغِبْلَاهُ بِالدَّمْعِ إِنْ كَانَ طَهْرًا
وَإِحْبَوَاهُ الأَكْفَانِ مِنْ وَرَقِ المُنْصَدِ
وَاتْلُوا النُّعْشَ بِالقِرَاءَةِ وَالتَّنْصَدِ
أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادُ
طَالَمَا أَخْرَجَ الحَزِينُ جَوَى الحُزْنِ
مِثْلُ مَا فَاتَتْ الصَّلَاةُ سَلِيمَا
وَهُوَ مَنْ سَخَّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
خَافَ غَدْرَ الأَنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرَّيْبِ
وَتَوَخَّى لَهُ النَّجَاةَ وَقَدْ أُنْجِدُ
فَرَمَتْهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الكُرْ
كَيْفَ أَصْنَحْتُ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي

مِنْ وَأَطَوَأفُكُنَّ فِي الأَجْيَادِ
مِنْ قَمِيصِ الدَّجَى ثِيَابَ جِدَادِ
مِنْ بِشَجْوٍ مَعَ العَوَانِي الخِرَادِ
وَابِ مَوْلَى حَجَى وَخَدْنِ اقْتِصَادِ
مَنْ مَا لَمْ يَشِدْهُ شَعْرُ زِيَادِ
ي قَلِيلُ الخِلَافِ سَهْلُ القِيَادِ
عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرِّ النَّقَّادِ
رُوفَ مَنْ صِدْقِهِ إِلَى الأَسْنَادِ
مَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَاتِّقَادِ
بِغُرُوبِ اليَرَارِجِ مَاءِ مِدَادِ
مَرَّ زُهْدًا فِي العَسَجِدِ المُسْتَقَادِ
شَخْصَ إِنْ الوَدَاعِ أَيْسَرُ زَادِ
وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الحَشَى والفُؤَادِ
حَفِ كِبَرًا عَنْ أَنْفَسِ الأَبْرَادِ
بِيحَ لَا بِالنَّحِيْبِ وَالتَّغْدَادِ
لَا يُؤَدِّي إِلَى غَنَاءِ اجْتِهَادِ
نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِالسَّدَادِ
نَ فَأَنْحَى عَلَى رِقَابِ الجِيَادِ
نُ بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ
حَ سَلِيلًا تَغْدُوهُ دَرَّ العِهَادِ
لَقَنَّ أَنَّ الحِمَامَ بِالمِرْصَادِ
سَيِّ أُمُّ اللُّهُيْمِ أُخْتُ النَّادِ
يَا جَدِيرًا مَنِي بِحُسْنِ افْتِقَادِ

ياساري البرق غاد القصر وإسقى به
وإسأل هنالك هل عنى تذكرنا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا
فهل أرى الدهر يقضينا مساعفة
ربيب ملك كأن الله أنشأه
أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه
إذا تأود أدته رفاهية
كانت له الشمس ظنراً في أكلته
كأنما أثبتت في صحن وجنته
ما ضر أن لم تكن أكفاه شرفاً
يا روضة طالما أجت لواظنا
ويا حياة تملينا بزهرتها
ويا نعيماً خطرنا من غضارته
لسنا نسميك إجلالاً وتكرمة
إذا انفردت وما شورك في صفة
يا جنّة الخلد أبذلنا بسدرتها
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء بكم
سِران في خاطر الظلماء يكتننا

من كان صرف الهوى والود يسقينا
إلفاً تذكره أمسى يعنينا
من لو على البعد حيا كان يحينا
منه وإن لم يكن غباً تقاضينا
مسكاً وقدر إنشاء الورى طينا
من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا
توم العقود وأدمته البرى لينا
بل ما تجلى لها إلا أحيينا
زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا
وفي المودة كاف من تكافينا
ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا
منى ضرورياً ولذات أفانينا
في وشي نعى سحبا ذيله حينا
وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبيينا
والكوثر العذب زقوماً وغسلينا
والسعد قد غص من أجفان واشينا
في موقف الحشر نلقاكم وتلقونا
حتى يكاد لسان الصبح يفشيننا

ملحق رقم - ٢ -

- قصيدة ابن زيدون - (٢٨)

أضحى الثنائي بديلاً من تدانينا
ألا وقد حان صبح البين صبحنا
من مبلغ الملبسينا بانتراحهم
أن الزمان الذي مازال يضحكنا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
فأنحل ما كان معقوداً بأنفسنا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا
يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم
لم نعتد بعدكم إلا الوفاء لكم
ما حقنا أن تقرروا عين ذي حسد
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
نكاد حين تشاجبكم ضمائرنا
حالت لفقركم أيامنا فعدت
إذ جانب العيش طلق من تألفنا
وإذ هصرنا فنون الوصل دانية
ليسق عهدكم عهد السور فما
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً

وناب عن طيب لقيانا تجافينا
حين فقام بنا للحين ناعينا
حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
أنساً بقربهم قد عاد يبكينا
بأن نغص فقال الدهر آمينا
وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
هل نال حظاً من الغنى أعادينا
رأياً ولم نتقلد غيره ديننا
بنا ولا أن تسروا كاشحاً فينا
وقد يسنا فما لليأس يغرينا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
ومريع النهو صاف من تصافينا
قطافها فجئنا منه ما شينا
كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
أن طالما غير النأي المحيننا
منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نَهت
عنه النهى وتركتنا الصبر ناسينا
إنّا قرأنا الأسى يوم النوى سُوراً
مكتوبةً وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدِ بمنهله
شرباً وإن كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
سالمين عنه ولم نهجره قاليها
ولا اختياراً تجنّبناه عن كُتب
لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك إذا حُتّ مشعشة
فينا الشمول وعُتانا مُغنيها
لا أكوس الراح تبدي من شمانلنا
سيما إرتياح ولا الأوتار تلهينا
دومي على العهد ما دُمنّا مُحافظةً
فالحُر من دان إنصافاً كما ديننا
فما استعَضنا خليلاً منك يحبسنا
ولا استقدنا حبيباً عنك يثنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعِه
بدر الدجى لم يكن حاشاك يُصبينا
أبكي وفاء وإن لم تبدُلي صلةً
فالطيف يُقنعنا والذكر يكفينا
وفي الجواب متاع إن شفعت به
بيض الأيادي التي ما زلت تولينا
عليك منا سلام الله ما بقيت
صباية بك نخفيها فتخفينا

الهوامش:

- (١) صحيح مسلم ٢٢١٥/٤
 - (٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ١٩٤/٣.
 - (٣) شروح سقط الزند، لأبي العلاء المعري ٩٧١/٣.
 - (٤) ديوان عنتره: ٨٠
 - (٥) ينظر: أبو العلاء، بنت الشاطئ /٧، الفن ومذاهبه في الشعر العربي - د. شوقي ضيف / ٣٧٧.
 - (٦) ينظر: أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر / ٦٥.
 - (٧) ينظر: ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق / ١٣٣.
 - (٨) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٩٨/١.
 - (٩) ينظر: الذخيرة، ابن بسام ٢٨٩/١.
 - (١٠) سورة الإسراء / ٣٧.
 - (١١) سنن الترمذي ٢٦٠/٤.
 - (١٢) إشارة إلى الشاعر العباسي بشار بن برد وغيره من العميان.
 - (١٣) الحيوان: ٣ / ١٣٢
 - (١٤) الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير: ٣٧.
 - (١٥) الأدب وفنونه، للدكتور عز الدين إسماعيل: ٨٥.
 - (١٦) وهو بداية عجز البيت الشعري:
- ألمّا بمغنٍ ثمّ قولاً لقبره سقتك الغوادي مزبعا ثمّ مزبعا

وهو للشاعر الحسين بن مطير الأسدي يرثي معن بن زائدة، ينظر: ديوان الحسين بن مطير الأسدي (ت ١٦٩هـ): جمع وتحقيق: حسين عطوان - دار الجبل - بيروت - د.ت.

- (١٧) ينظر: صحيح البخاري/ رقم الحديث ٢٠٩
- (١٨) ينظر: علم الأصوات العام، بسام بركة: ١١٥.
- (١٩) ينظر: موسيقى الشعر، د.إبراهيم أنيس: ٢٤٨.
- (٢٠) ينظر: معالم العروض والقافية، د.عمر الأسعد: ٢١ - ٢٢.
- (٢١) شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الرازي: ٢٥٩.
- (٢٢) شرح تحفة الخليل: ١١٢.
- (٢٣) المصدر نفسه: ١١٧.
- (٢٤) عمرو بن كلثوم، تحقيق د.إميل بديع يعقوب، ٦٤ - ٩١.
- (٢٥) ينظر: معجم الصوتيات، أ.د. رشيد عبدالرحمن العبيدي: ٢٠٥.
- (٢٦) ينظر: دير الملاك، د. محسن اطيّمش: ١٠١.
- (٢٧) شروح سقط الزند، لأبي العلاء المعري ٩٧١/٣ - ١٠٠٥.
- (٢٨) ديوان ابن زيدون ورسائله ١٤١ - ١٤٨.

المصادر:

❖ القرآن الكريم.

- ١- أباطيل وأسمار، الأستاذ محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
- ٢- أبو العلاء المعري، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار مصر للطباعة، ١٩٦٠.
- ٣- الأدب وفنونه، الدكتور عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت).
- ٤- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، مطبعة الإيمان، ط ١، بغداد، ١٩٧١.
- ٥- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٨.
- ٦- دير الملاك، الدكتور محسن اطيّمش، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦.
- ٧- ديوان ابن زيدون ورسائله، دراسة وتهذيب عبدالله سنده، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٨- ديوان الحسين بن مطير الأسدي (ت ١٦٩هـ): جمع وتحقيق: حسين عطوان - دار الجبل - بيروت - د.ت.
- ٩- ديوان عنترة، ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٠.
- ١٠- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام (ت ٥٤١هـ)، القاهرة، ١٩٤٥.
- ١١- سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ١٢- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الرازي، ط ١ مؤسسة الرسالة، بغداد، عام ١٣٩٥هـ.

- ١٣- شروح سقط الزند، للتبريزي (ت ٢٠٥) والبطلانيوسي (ت ٥٢١) والخوارزمي (ت ٦١٧)، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.
- ١٤- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
- ١٥- صحيح البخاري، عبدالله بن محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ١٦- الصورة الفنية في المثل القرآني، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.
- ١٧- علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ١٨- عمرو بن كلثوم، تحقيق د.إميل بديع يعقوب، دار الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
- ١٩- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٦٩.
- ٢٠- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦)، القاهرة، ١٩٣٨.
- ٢١- معجم الصوتيات، الأستاذ الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٧.
- ٢٢- ملامح الشعر الأندلسي، الدكتور عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٧٣.
- ٢٣- موسيقى الشعر، الدكتور إبراهيم أنيس، دار الطباعة الحديثة، ط٥، القاهرة، مصر، ١٩٨١.
- ٢٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني (ت ١٠٤١)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

ABSTRACT

This Research has been chosen because of my interest in the two poets i.e. **Ibn Zaydoon** and **Abu al-ala'a Al-ma'arri** . It includes the poets lives and the circumstances they pass through . It tackles the artistic aspects in two representative poems of each poet . The last section includes the points of similarity and difference between the two poets . Two appendixes have been attached to show the two analyzed poems . The importance of this study lies in that it sheds light on aspects of the Eastern and Andalusia cultures and their effect on the poet's life and ideas .

الاحتلال البريطاني الثاني للعراق عام ١٩٤١

أ.د. عبد الرحيم ذوالنون زويد

جامعة الانبار / كلية الآداب

مُتَكَلِّمًا

خضع العراق في النصف الأول من القرن العشرين لاحتلالين بريطانيين،
الاول عند قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ والثاني خلال الحرب العالمية
الثانية عام ١٩٤١.

والاحتلال الثاني عبر عن أهمية العراق بالنسبة لبريطانيا خلال الحرب
الثانية، وأعطى دليل بان معاهدة ١٩٣٠ قد خرقت من قبل بريطانيا.

قسمت الدراسة إلى مبحثين الأول "تطور العلاقات العراقية البريطانية ما بين
١٩٣٩-١٩٤١ والثاني الاحتلال البريطاني للعراق. اعتمد الباحث على بعض الوثائق
غير المنشورة مع مصادر ومذكرات سياسيين عاصروا أحداث الانتفاضة.

ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

تطور العلاقات العراقية - البريطانية ١٩٣٩-١٩٤١.

أولاً: موقف الحكومة العراقية من الحرب العالمية الثانية.

عند الكلام عن العلاقات العراقية البريطانية يعني الإشارة الى معاهدة ١٩٣٠
التي وقعت بين الجانبين في ٣٠ حزيران ١٩٣٠. وقد عدّ كل من الملك فيصل ونوري
السعيد رئيس الوزراء المعاهدة خطوة نحو الاستقلال. بينما عدها الوطنيون صكا
انتدابياً لأنها صاغت الاستقلال من مواد الانتداب^(١).

ودخلت المعاهدة حيز التطبيق بعد اعلان الحرب العالمية الثانية في ايلول
١٩٣٩ والعراق بعيد عن ساحة الحرب، والجيش العراقي ليس لديه خطط للحرب، اما
بريطانيا فقد وضعت في حسابها الحفاظ على العراق باي وسيلة، ولأجل ذلك اتصل
السفير البريطاني بازل نوتين Bazal Notein يوم ٣ ايلول بوزيرة الخارجية علي
جودت طلباً منه معرفة موقف العراق من الحرب^(٢).

وفي يوم ٥ ايلول ١٩٣٩ اجتمع مجلس الوزراء برئاسة نوري السعيد وصدر
قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا. في الوقت الذي كان فيه السفير يأمل
اعلان الحرب على المانيا وهذه كانت رغبة نوري السعيد. لكن الجيش حال دون
ذلك^(٣). ان هذا الموقف العراقي ازعج بريطانيا التي مارست ضغطاً على الحكومة
العراقية لإعلان الحرب على المانيا.

وعلى كل حال فان نوري السعيد قد فشل في جر العراق الى الحرب. لذلك
قدم استقالته في ٢٨ اذار ١٩٤٠. وتم تكليف رشيد عالي الكيلاني الوزارة التي شكلها
في ٣١ اذار ١٩٤٠. ولتطورات الموقف العسكري لصالح المانيا بسقوط باريس يوم
١٠ حزيران ١٩٤٠. ودخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا. طلب السفير البريطاني
من الحكومة العراقية قطع علاقاته الدبلوماسية مع ايطاليا، لكن مجلس الوزراء العراقي

اصدر قرار التريث لان الموقف الحربي لصالح المانيا، اضافة على قوة الشعور المعادي لبريطانيا في العراق^(٤).

هذا الموقف العراقي دفع بريطانيا الى فرض عقوبات اقتصادية على العراق وحذرت الخارجية البريطانية العراق من تترده في قطع العلاقات مع ايطاليا^(٥). اما رشيد عالي فقد اكد على التزامه بمعاهدة ١٩٣٠ وان مصلحة العراق تتطلب الوقوف على الحياد^(٦).

اثارت سياسة الحياد بريطانيا وزاد انزعاجها عندما علمت بوجود اتصالات سرية بين العراق ودول المحور. لهذا بدأت بريطانيا تلوح باستخدام القوة ضد العراق لتحقيق ماتصوبوا اليه. واتخذت من الحرب ذريعة لها.

وبدأت الخطوة الاولى عندما طلب السفير البريطاني من الحكومة العراقية يوم ١٢ حزيران ١٩٤٠ انزال قوات بريطانية في البصرة للتوجه الى حيفا فوافقت الحكومة على انزال القوات بموجب معاهدة ١٩٣٠^(٧).

وفي برقيتها للسفارة البريطانية ببغداد في ٥ تموز ١٩٤٠ اوضحت الخارجية البريطانية ان نوايا بريطانيا من ارسال قواتها الى العراق ليست للمرور^(٨) وانما للبقاء لتكوين قاعدة عسكرية لها^(٩).

ومن الجدير بالملاحظة ان بريطانيا مارست اضافة الى الضغط السياسي الضغط الاقتصادي، فامتعت من شراء التمر العراقي كما جمدت حصة العراق من العملة الصعبة ورفضت تزويد العراق بالاسلحة^(١٠) ليس هذا فحسب بل عملت على اسقاط وزارة رشيد عالي يؤيدها في ذلك الوصي عبد الاله ونوري السعيد وزير الخارجية. وعند اجتماع مجلس النواب يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ تعرضت الوزارة الى معارضة منظمة تطالب باستقالة الوزارة الا ان رشيد عالي وبتأييد من الجيش

طلب بحل المجلس وكتب الادارة الملكية لعرضها على الوصي الذي رفض توقيعها^(١١).

ولإخراج حكومة رشيد عالي هرب الوصي الى الديوانية - مقر قيادة الفرقة الثالثة بعدها قدم رشيد عالي استقالة وزارته يوم ٣١ كانون الثاني ١٩٤١^(١٢).

ثانياً: انقلاب نيسان ١٩٤١.

شكل طه الهاشمي الوزارة التي لاقت ارتياح البرلمان وقادة الجيش. واعلن الهاشمي ان سياسة حكومته الخارجية لا تختلف عن الوزارات السابقة^(١٣). ولهذا لم تتحسن العلاقات العراقية البريطانية. لان حكومة الهاشمي لم تقطع العلاقات مع ايطاليا في الوقت الذي كان فيه الموقف العسكري البريطاني سيء في منطقة البلقان. لاجل ذلك طلب السفير البريطاني من حكومته اتخاذ اجراءات عاجلة ضد حكومة الهاشمي^(١٤).

وفي لقاء توفيق السويدي وزير الخارجية مع انتوني ايدن A. Eden وزير الخارجية البريطاني في القاهرة يوم ٦ اذار ١٩٤١. قدم السويدي جملة مقترحات هي:-

- ١- تجهيز الجيش العراقي باسلحة حديثة.
- ٢- قبول ضباط عراقيين في كليات ومؤسسات بريطانية عسكرية.
- ٣- مد العراق ببعض القروض اللازمة لتخفيف الازمة الاقتصادية.
- ٤- اتباع بريطانيا سياسة ملائمة مع العراق تهدي الرأي العام وتقنعه بانها دولة حليفة للعراق.

ورد ايدن بان بريطانيا لاتزود الاسلحة الا لمن يتعاون معها في الحرب وان الجيش العراقي بعيدا عن التعاون^(١٥). وعن تلك المقابلة اوضح السفير البريطاني في القاهرة مايلز لامبسون M. Lampson ان ايدن اوضح للسويدي ان العلاقات مع

العراق غير مرضية بسبب وجود السفارة الإيطالية. وإن العراق لم يتصرف كصديق. لذلك من المستحيل تزويد العراق بالعملة الصعبة. ورد السويدي أن مسألة قطع العلاقات حساسة وأنها أكثر صعوبة إذا ما شعر الجيش بأن قطع العلاقات كان يطلب من بريطانيا وإن المسألة بحاجة إلى وقت لكي يحاول اقتناع الجيش بوجهة نظره^(١٦).

لقد مارس السفير البريطاني وعبد الله ضغطاً على الهاشمي لحمله على قطع العلاقات مع إيطاليا. لذلك اجتمع الهاشمي بقيادة الجيش ليعلمهم ما تريده بريطانيا لكن العسكريون رفضوا ذلك. ولهذا أصدر الهاشمي بصفته وزيراً للدفاع يوم ٢٦ آذار ١٩٤١ قراراً بنقل العقيد كامل شبيب من قيادة الفرقة الأولى في بغداد إلى الديوانية، لكن كامل شبيب رفض تنفيذ القرار^(١٧).

واستغل رشيد عالي الفرصة فاجتمع بالعقلاء الأربعة وبحضور يونس السباعي وابلغهم بأن الهاشمي قد خانهم. لذا قرر العسكريون التخلص من الهاشمي قبل أن يشتت شملهم. لذلك اجتمعوا بحضور رشيد عالي مساء الأول من نيسان في معسكر الرشيد وقرروا إعلان حالة الطوارئ في المعسكر للقيام بعمل عسكري ضد وزارة الهاشمي^(١٨).

وأكد السفير البريطاني الجديد في بغداد كورنو اليس Cornw Llis على أن العسكريين سيطروا على بغداد دون أي مقاومة وأجبروا طه الهاشمي على توقيع كتاب الاستقالة وكان في نيته إجبار الوصي على الاستقالة أو التخلص منه^(١٩).

وبعد الاستقالة اتصل الهاشمي هاتفياً بالوصي ليخبره بالانقلاب العسكري وتقديمه الاستقالة تحت التهديد وحمل فهمي سعيد وأمين زكي كتاب الاستقالة إلى الوصي، إلا أن متصرف بغداد جلال خالد أخبرهما بهروب الوصي إلى جهة مجهولة^(٢٠). هي السفارة الأمريكية التي لجأ إليها بعد خروجه من القصر ليلاً متنكراً،

وفي الصباح نقله السفير الأمريكي بسيارة السفارة إلى قاعدة الحبانية، حيث التقى فيها بالسفير البريطاني الجديد كورنو اليس الذي طمأنه وأيده بالذهاب إلى البصرة بعد تزويده بالتوجيهات والأموال اللازمة^(٢١).

وعلى هذا الأساس، توجه عبد الله يوم ٢ نيسان إلى البصرة والسفير البريطاني إلى بغداد، وحال وصوله التقى توفيق السويدي وزير الخارجية بحكومة الهاشمي وحرضه على مقاومة الحركة العسكرية^(٢٢). وعندما نشرت الصحف يوم ٣ نيسان استقالة طه الهاشمي استلم رشيد عالي الحكومة باسم حكومة الدفاع الوطني. وشكل مجلس الدفاع الوطني برئاسته^(٢٣). وفي البصرة أخفق عبد الله في تأليف معارضة لحكومة الدفاع الوطني. لذلك لجأ إلى الدارعة البريطانية في شط العرب التي أقلته إلى فلسطين^(٢٤).

لقد عدت بريطانيا عودة الكيلاني إلى الحكم تهديداً لمصالحها في العراق، لاجل ذلك أخذت تخطط للقضاء على حكومة رشيد عالي باستخدام القوة العسكرية لأن رشيد عالي ربما سيدفع العراق نحو المعسكر المعادي لبريطانيا وبدأت الأخيرة تبحث عن حجة للتدخل في شؤون العراق فوجدت من مرور القوات البريطانية عبر العراق بموجب معاهدة ١٩٣٠ غايتها^(٢٥). وفعلت بدأت القوات المحمولة جواً في الوصول إلى البصرة يوم ١٧ نيسان. أما القوة البحرية فقد وصلت يوم ١٨ نيسان وعسكرت في موقعين وزودت بتعليمات عسكرية^(٢٦).

وفي ١٩ نيسان أرسلت الحكومة العراقية مذكرة إلى السفارة البريطانية تضمنت موافقة العراق على انزال القوات بهدف المرور بموجب الاتفاقية^(٢٧). لقد أثارت المذكرة ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية الذي هدد باستخدام القوة كما أرسل تعليماته إلى السفارة البريطانية جاء فيها أن القوات التي وصلت العراق سوف تبقى في البصرة قوة ضاربة عند الحاجة^(٢٨). والاهم من ذلك أن السفارة البريطانية

طلبت من الحكومة العراقية يوم ٢٨ نيسان موافقتها على انزال قوات بريطانية اخرى يوم ٢٩ نيسان. وللد على طلب السفارة عقد اجتماع في وزارة الخارجية ضم رشيد عالي والسفير البريطاني، ابدى فيه الاول عدم موافقة العراق على الانزال الا بعد انسحاب القوات التي انزلت في البصرة ورد السفير قائلاً " ان القوات ستنزل البصرة وان أي مقاومة ستكون لها نتائج خطيرة" (٢٩).

ويموجب هذه التطورات اجتمع مجلس الوزراء واصدر ما يلي :

١- موافقة مجلس الوزراء على قرار مجلس الدفاع الأعلى بعد السماح بإنزال القوة البريطانية ما لم تتسحب القوة السابقة.

٢- إبلاغ وزارة الدفاع باتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة (٣٠).

ومن ناحيتها ارسلت وزارة الخارجية العراقية مذكرة الى السفارة البريطانية طالبت فيها نقل القوة الموجودة في البصرة، لكن السفارة لم تعر اهمية للمذكرة العراقية فانزلت لواء مدرع يوم ٢٩ نيسان (٣١).

وقد سبق ذلك اجتماع مجلس الدفاع الاعلى يوم ٢٨ نيسان ناقش اقتراحاً قدمه العقيد فهمي سعيد ودعى فيه الى احتلال قاعدة الحبانية خلال (٢٤) ساعة، ولاقى الاقتراح تأييد العسكريين. وبعد نقاش طويل اصدر المجلس قرار خول فيه السلطات العسكرية القيام باجراء الترتيبات العسكرية اللازمة بهذا الشأن (٣٢).

وعلى هذا الاساس ارسلت قوات عسكرية الى الفلوجة والرمادي، لكن قائد القوة العسكرية العقيد فهمي سعيد سيطر على التلال المحيطة لقاعدة الحبانية كاجراء عسكري مضاد للوجود البريطاني في البصرة. وكانت القوة مؤلفة من سرية دبابات وكتيبة مدفعية الية وبطارتين مقاومة طائرات وعدد من المشاة قدر عددهم بـ (١٠٠٠٠) جندي (٣٣).

ثالثاً: انتفاضة العراق ١٩٤١.

عند وصول القوات العراقية الى الحبانية صباح يوم ٣٠ نيسان اصدر فهمي سعيد انذارا الى قائد القاعدة الجوية منع بموجبه تحليق الطائرات البريطانية وهدد باسقاطها. بالمقابل رفض امر القاعدة المارشال سمارت Smart الانذار وطالب بانسحاب القوات العراقية (٣٤).

هذه التطورات في الموقف العسكري في العراق اوضحها السفير البريطاني في برقيته يوم ٣٠ نيسان للخارجية البريطانية قائلاً " اذا قام العراقيون بهجمات ناجحة على الحبانية فاني وافق على ان يعامل القائد العام في البصرة القوات العراقية كقوات معادية واذا فشلت الهجمات على الحبانية وانسحب الجيش العراقي نكون وقتها قادرين على اعادة عبد الاله للعرش" (٣٥). ونبه السفير الى ضرورة بدأ الهجوم على القطاعات العراقية لهذا اعطت الحكومة البريطانية الصلاحيات لسفيرها في بغداد باتخاذ التدابير اللازمة ،و منها الهجوم الجوي الذي نفذته سمارت يوم ٢ ايار ١٩٤١ دون سابق انذار (٣٦).

وفي يوم العدوان اجتمع مجلس الوزراء واصدر عدة قرارات منها :

١- نشر بيان من قبل رئيس الوزراء يوضح فيه العدوان البريطاني.

٢- اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا.

٣- اقامة علاقات سياسية مع الاتحاد السوفيتي (٣٧).

وهكذا قامت الحرب التي بدأتها بريطانيا كما يقول صلاح الدين الصباغ لانهم يريدون توجيه سياسة العراق وفق مصالحهم الاستعمارية. فكان لابد للجيش من الدفاع عن شرفه ووطنه (٣٨). وقد استمرت المعارك حول الحبانية مدة اسبوع انسحبت بعدها القوات العراقية نحو الفلوجة. لان القوات العراقية قاتلت دون غطاء جوي (٣٩).

وفي البصرة استولى القائد فريزر Frezer على منطقة الفاو يوم ٧ ايار وادى الاحتلال الى فقدان الامن. وشكلت يوم ١٧ ايار لجنة الامن في البصرة من صالح

باشا اعيان و محمد صالح الرديني ومصطفى سلمان و عبد الرزاق الامير والحاج محمد المعتوق مهمتها المحافظة على ادارة مدينة البصرة. واستمرت اللجنة في عملها الى يوم ٢٤ ايار عندما وصل جميل المدفعي الى البصرة مندوبا من عبد الله لادارة اعمالها^(٤٠).

ومن التطورات المهمة خلال العدوان البريطاني اعادة العراق لعلاقاته الدبلوماسية مع المانيا. كما ان هتلر Hitler قد قرر اسناد العراق بسرعة ومده بالاسلحة الموجودة في سوريا ولبنان^(٤١) وفي نفس الوقت ارسل العراق ناجي السويدي الى الرياض للاجتماع بابن سعود. وعند اللقاء نصح ابن سعود السويدي بالتفاهم مع بريطانيا قائلا " يا ولدي ان مجاورة الاسد الشعبان خير من مجاورة النسر الجوعان " وازاف ان مصلحة العرب تكمن في التعاون مع بريطانيا^(٤٢).

ولاجل القضاء على انتفاضة العراق قررت بريطانيا ارسال قوة من فلسطين لدعم قواتها في العراق استنادا للبرقية التي ارسلها تشرشل الى الجنرال ويفل Weevli يوم ٤ ايار قائلا " ليس في الامكان تجنب التدخل في العراق لانه على بريطانيا ان تجعل البصرة قاعدة اساسية بغية المحافظة على نفط ايران " وايدت رئاسة الاركمان خطة تشرشل فارسلت برقية الى ويفل يوم ٦ ايار التسوية عن طريق المفاوضات لايمكن التسليم بها^(٤٣) وفي ١١ ايار ابرقت وزارة الحرب البريطانية الى ويفل قائلة " انه من اللازم الاستمرار في حرب القوات العراقية بشدة وعلى التوالي كلما امكن ذلك وبجميع الوسائل قبل وصول المساعدات الالمانية، والتي سيؤثر وصولها بلا شك على الموقف العراقي الذي ازداد تصلبا^(٤٤).

وقد استجاب ويفل لما اراده تشرشل وكتب اليه قائلا " اذا سارت الامور سيرا حسناً في الصحراء الغربية فساحاول تحريك قوات اضافية من هناك الى فلسطين للزحف على العراق وسنحاول تصفية القضية العراقية المتعبة بسرعة^(٤٥).

وهكذا تدخلت بريطانيا عسكريا للقضاء على انتفاضة العراق حسب الخطة المقررة وهي ارسال قوة بريطانية من فلسطين بقيادة الجنرال كلارك Clerk الى الحباينة على ان تسبقها قوة بقيادة كنجستون Kingstone^(٤٦).

وشارك الجيش الاردني بوحدين بقيادة كلوب Glubb القوات القادمة من فلسطين. لكن احداها تمردت عند محطة النفط في H.3 ورفضت الاشتراك في الحملة وهددت باطلاق النار على ضباطها البريطانيين^(٤٧). واعترف رشيد عالي بان العراق خسر المعركة لتدخل كلوب بقواته، لانه طعن الجيش العراقي من الخلف^(٤٨).

وتطوعت للقتال مع القوات البريطانية العصابات الصهيونية في فلسطين متمثلة بالمنظمة الارهابية ((منظمة الارجون زفاي ليومي)) المنظمة العسكرية القومية بقيادة دافيد رازيل الذي قتل على يد القوات العراقية في الحباينة^(٤٩).

كان الهدف الاول للقوات البريطانية مدينة الرطبة التي دخلتها ليلة ١٠-١١ ايار بعد قصفها بالطيران. اضطر بعدها فوزي القاوقجي - قائد المقاومة الشعبية - وقواته بالانسحاب من الرطبة وبذلك فقد الامل في تأسيس قاعدة عسكرية تمنع تقدم القوات البريطانية الى الحباينة الى وصلتها يوم ١٨ ايار ١٩٤١^(٥٠).

ومن قاعدة الحباينة تقدمت القوات البريطانية باتجاه الفلوجة التي احتلتها يوم ١٩ ايار، وفي الفلوجة انقسمت القوات البريطانية الى قسمين، القسم الرئيسي بقيادة كلارك الذي اتجه الى بغداد مع الطريق العام. اما القسم الاخر فكان بقيادة كلوب الذي اتجه الى بغداد من ناحية الشمال - طريق سامراء بغداد - كي يقطع طريق الامدادات العسكرية القادمة الى بغداد من الموصل، وبالفعل دمرت هذه القوة خط سكة الحديد قرب سامراء واحتلال منطقة المشاهدة^(٥١).

اما الطريق الرئيسي الى بغداد فقد اغرق بمياه الفيضانات مما اعاق تقدم القوات البريطانية التي توقفت يوم ٢٩ ايار في منطقة خان ضاري. وفي ٣٠ ايار

تقدمت القوات بصعوبة وتوقفت قرب قناة الشاش^(٥٢) وفي نفس الوقت ابلغ كلاك ان رشيد عالي والقادة العسكريين غادروا بغداد يوم ٢٩ ايار ، وطلبت وزارة الدفاع من مجلس الوزراء تشكيل لجنة باسم ((لجنة الامن الداخلي في العاصمة ضد الطوارئ)) برئاسة ارشد العمري امين العاصمة. ووافق الكيلاني على الاقتراح^(٥٣).

المبحث الثاني

الاحتلال البريطاني للعراق

أولاً: الهدنة بين العراق وبريطانيا

اعلنت لجنة الامن الداخلي المؤلفة برئاسة ارشد العمري وعضوية حسام الدين جمعة مدير الشرطة العام، وخالد الزهاوي متصرف بغداد، والزعيم الركن حميد نصرت ممثل وزارة الدفاع تحملها مسؤولية الحكم والاتصال ببعض السياسيين والعسكريين. واتفق الجميع على انتهاء القتال وعقد هدنة مع الجيش البريطاني تحفظ للجيش العراقي كرامته وللعراق استقلاله^(٥٤). كما اجرت اللجنة اتصالات بالهيئات الدبلوماسية في بغداد ودعتها للحضور الى امانة العاصمة. وقد لبي الدعوة الوزراء المفوضون لامريكا وتركيا ومصر والسعودية. وايد الجميع الفكرة ووعدوا بالتوسط لتحقيق مطالب العراق المشروعة^(٥٥).

وفي ٣٠ ايار قابلت اللجنة السفير البريطاني وعرضت عليه طلب الهدنة ووقف القتال. فوافق السفير الذي ابصر الى القيادة العليا البريطانية بخصوص ذلك. و اشار السفير في رسالة له للقائد العسكري في البصرة ان اللجنة اوصت بان تكون شروط الهدنة مشرفة، والا فان الجيش العراقي سيستمر في القتال ولن يلقي سلاحه، واضاف نحن لانريد حرب شوارع في بغداد^(٥٦).

واقترح الجنرال ويفل Weevil للسفير البريطاني ان يقدم الاخير والجنرال كلارك شروط الهدنة وفق الاسس الاتية :-

- ١- يعود عبد الاله الى بغداد ويؤلف حكومة صديقة.
- ٢- ان لا يطلب من الجيش العراقي لقاء سلاحه بشرط ان يؤكد ولاءه لعبد الاله.
- ٣- يجب استئناف المواصلات مع البصرة.
- ٤- يكون من حق القوات البريطانية ان ترابط في النقاط الاستراتيجية في العراق.
- ٥- احصاء احتياطات وقود الطيران في العراق واستلامها.
- ٦- الطلب الى الجيش العراقي بعدم تخريب منشآت النفط في كركوك وخانقين.
- ٧- يرحل اعضاء البعثة الايطالية، والقبض على جميع الالمان والايطاليين الموجودين في العراق.

٨- اعادة رفع العلم البريطاني في السفارة البريطانية باحتفال رسمي^(٥٧).
وقد ابرق السفير البريطاني شروط الهدنة الى لندن. كما سلمها امين العاصمة ومعاون رئيس اركان الجيش اللذان اخذهما الى وزارة الدفاع لمناقشتها من قبل كبار ضباط الجيش مع اعضاء لجنة الامن الداخلي. وفي يوم ٣١ ايار ذهب الى السفارة البريطانية ارشد العمري وبعض ضباط الجيش لمناقشة شروط الهدنة مع السفير البريطاني، لتغيير بعض النصوص لتبدو الهدنة كما لو كانت اتفاق متبادل.
وبعد المناقشة وقع الضباط الثلاثة (اللواء اسماعيل نامق والزعيم الركن حميد نصرت والعقيد الركن نور الدين محمود) الهدنة نيابة عن الجيش يوم ٣١ ايار ١٩٤١^(٥٨) والتي اكدت على ما يلي:-

- ١- توقف في الحال جميع الاعمال العدائية.
- ٢- يسمح للجيش العراقي الاحتفاظ بجميع اسلحته. والعودة في الحال الى المراكز التي كان يربط فيها.
- ٣- يطلق على الفور جميع اسرى الحرب البريطانيين من الجنود والطيارين والمدنيين.
- ٤- يعتقل جميع الموظفين المعادين من المان وايطاليين.

- ٥- يخلي الجيش العراقي مدينة الرمادي وما جاورها على ان يتم الاخلاء في الساعة الثانية عشر ظهر اول حزيران.
- ٦- تمنح على الفور جميع التسهيلات للسلطات العسكرية البريطانية (سكك الحديد والطرق البرية والنهرية).
- ٧- يمكن تسليم اسرى الحرب العراقيين الذين اسرتهم القوات البريطانية الى الضباط الذين ينتخبهم الوصي^(٥٩).
- وفي يوم ١ حزيران ١٩٤١. اعلن عن عودة عبد الاله يرافقه نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت، في نفس الوقت الذي دخلت فيه القوات البريطانية بغداد. خرج اليهود لاستقبال عبد الاله والقوات البريطانية للتعبير عن فرحهم لما جرى لرشيد عالي والقادة العسكريين. ليس هذا فحسب، بل كانوا يستهزئون من القوات العراقية المنسحبة مما ادى الى حدوث اشتباكات بين الجنود واليهود استمرت ليومي ١، ٢ حزيران بدأت في الكرخ وامتدت في اليوم التالي الى الرصافة نتج عنها اعمال سلب وقتل. ولم تتوقف الاحداث الا يوم ٣ حزيران وهو اليوم الذي كلف فيه جميل المدفعي تشكيل الحكومة الجديدة^(٦٠).

ثانياً: مظاهر الاحتلال البريطاني

أولاً انتشار القوات البريطانية والأجنبية

بعد فشل انتفاضة ١٩٤١ خضع العراق لاحتلال عسكري بريطاني، ووصف تقرير للشرطة العراقية صدر في ١٧ حزيران ١٩٤١ الحالة مشيراً الى ان العراق لا يتمتع باستقلاله وحرية كالسابق، وان تدخل بريطانيا في اموره قد ازاد. كما عملت بريطانيا على تجميد دور العراق السياسي والعسكري في المنطقة العربية. فضلاً الى حصول بريطانيا على امتيازات واسعة في العراق اكثر مما نصت عليه المعاهدة^(٦١).

- فقد ابلاغ الجنرال ويفل السفير البريطاني يوم ٣ حزيران ١٩٤١. ان يطلب من الحكومة العراقية اتخاذ الاجراءات التالية:-
- ١- اتخاذ الاجراءات الضرورية المشتركة للدفاع.
- ٢- تكون بريطانيا مطلقة الحرية خلال الحرب بان تضع قواتها البرية والجوية في أي نقطة في العراق.
- ٣- تتخذ الحكومة العراقية خلال الحرب التدابير الفعالة لمراقبة الاجانب وتقييم رقابة على المخابرات.
- ٤- تمارس بريطانيا بالتعاون مع السلطات العراقية سيطرة عسكرية تامة على ميناء البصرة والقاعدة العسكرية وشط العرب^(٦٢).
- وقد ناقش مجلس الوزراء طلب السفارة البريطانية السابق، واصدر قراراً علق عليه كورنواليس في رسالته الى ايدن Eden وزير الخارجية قال فيه " لقد ترتب على القرار الخاص بقواتنا نتائج طيبة حتى الان، وتركت قواتنا في كل مكان دون اعتراض، وان اخبار التحركات العسكرية تبلغ الى وزير الدفاع العراقي عن طريق ضباط البعثة الاستشارية الذين يعملون كحلقة اتصال بين رئاسة القوات البريطانية ووزارة الدفاع العراقية^(٦٣).
- وكانت البصرة مركز التحشد البريطاني الرئيسي لانها اصبحت قاعدة عسكرية مهمة. وازدادت اهميتها في نظر البريطانيين والامريكان لانهم شعروا ان الحرب تتجه شرقاً. ولهذا احتلت بريطانيا العراق ، ولم تكن حكومة رشيد عالي الا حجة للتدخل بالقوة لانها فكرت باحتلاله منذ عام ١٩٤٠. لكن ظروفها العسكرية في مصر لم تسمح لها واشارت جريدة هيرالدتريون ان احتلال بريطانيا للعراق ذو اهمية كبيرة على الرغم من فقدان بريطانيا جزيرة كريت^(٦٤).

وقد انتشرت القوات البريطانية في بعض المدن العراقية كالموصل وكركوك والفلوجة وحديثة والرطبة. وكان منظر القوات البريطانية والهندية وهي تجوب شوارع بغداد اشارة على السكان. لذلك اقترحت الشرطة ان يكون مرور القوات البريطانية ليلاً^(٦٥).

ودخلت العراق اضافة الى القوات البريطانية قوات استرالية وكندية ونيوزلندية فوصلت الموصل قادمة من حلب يوم ٢٠ اب ١٩٤١^(٦٦). وعززت بريطانيا قواتها في العراق بعد الهجوم البريطاني على ايران يوم ٢٥ اب ١٩٤١ بوحدة جوية حيث انشئت لها مطارات جديدة في شمال العراق. كما انشئت معسكرات جديدة وعبدت طرق استراتيجية وادخلت تحسينات على سكك الحديد، كما وسع ميناء البصرة بانشاء ارسفة جديدة^(٦٧).

وعلى اثر الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفيتي في ٢٢/٦/١٩٤١ استعد البريطانيون لتقوية دفاعاتهم في شمال العراق. واعتبروا الموصل وكركوك وبغداد من ضمن المثلث الذي يجب الدفاع عنه. كذلك شكلت القيادة المشتركة للعراق وايران Peiforce التابعة بشكل مباشر لقيادة الدائرة الحربية وعين الجنرال ولسن Willson قائداً لها^(٦٨).

وبعد قرار اعلان العراق الحرب على المحور ليلة ١٦ كانون الثاني ١٩٤٣ منح مجلس الوزراء الحصانات والامتيازات التي تتمتع بها القوات البريطانية لكل من القوات الأمريكية والبولندية المتواجدة في العراق^(٦٩). والتي كانت تثير الشعب العراقي الذي شاركته قوته اضافة الى تصرفات القوات البولندية. واقترح السفير البريطاني البدء بنشر دعاية نيابة عن البولنديين تكذب الاشاعة القائلة ان القوات البولندية تضم في صفوفها عناصر يهودية يجري تدريبها لغرض استخدامها في فلسطين^(٧٠). وحقيقة

الامر ان ما قيل عن القوات البولندية ليس باشاعة، فهذا منحيم بيغن رئيس وزراء العدو الصهيوني في السبعينيات كان ضمن القوة البولندية^(٧١).

ثانياً: مكاتب الارشاد

أسست السلطات البريطانية مكاتب للارشاد والثقافة تديرها دائرة العلاقات العامة في السفارة البريطانية ،و لها فروع في المدن العراقية، وكانت مهمة هذه المكاتب التشهير بدول المحور وبالساسة العراقيين المعارضين لبريطانيا خلال انتفاضة ١٩٤١. وبذلت من اجل ذلك الاموال بسخاء في نشر المجلات والجرائد وتوزيعها مجاناً في المقاهي والنوادي. كما استعملت السينما المتجولة في بغداد والمدن العراقية للدعاية وعرض افلام عن انتصارات الحلفاء^(٧٢).

وأقامت دائرة العلاقات حفلات ترفيهية في بغداد. واسست معاهد ثقافية لتدريس اللغة انكليزية في بغداد والموصل والبصرة، هدفها دعم النفوذ البريطاني واقامة علاقات مع بعض فئات المجتمع العراقي من ذوي النفوس الضعيفة والتي عرضت خدماتها للبريطانيين واعترف السفير البريطاني في رسالته الى خارجيته قائلاً " وبعد فترة طويلة من خطر الاقتراب من السفارة البريطانية يأتي لزيارتي بعض رؤوساء العشائر وغيرهم من انحاء العراق "^(٧٣).

وفي مدة الاحتلال رافق العمل الدعائي لبريطانيا عودة المستشاريين البريطانيين الى الوزارات العراقية، واسندت لهم وظائف مهمة باعتبارهم مستشاريين او ضباط ارتباط في مراكز الالوية مهمتهم الاتصال بالعشائر والاقطاعين وحل مشاكلهم واثارتهم حسب الظروف^(٧٤).

ثالثاً: جمعية اخوان الحرية

لم يمض عام على اندلاع الحرب العالمية الثانية حيث باشرت المخابرات البريطانية بتأسيس جمعية اخوان الحرية في بعض الاقطار العربية لبث الدعاية

للحلفاء في الحرب واتخذت من لندن مركزاً لها. اما التمويل والاشراف فهو من مهمة وزارة الاعلام البريطانية^(٧٥).

وكانت البداية لهذا النشاط في عدن، عندما اسست اول مجموعة تحمل اسم "اصدقاء الحرية" في صيف ١٩٤٠ وفق مبدأ "السعادة في العطاء اكثر من السعادة في الاستلام" وفي خريف ١٩٤٠ اسست فريا ستارك Fry-Stark فروعاً للجمعية في القاهرة ومدن مصرية اخرى وفق خطة نفذها الميجر سكيف Mager Scaife مراقب عام الجمعية في البلاد العربية^(٧٦).

اما العراق فلم تؤسس فيه تشكيلات للجمعية في الوقت الذي شكلت في عدن ومصر لعوامل يمكن اجمالها بما يلي:

- ١- سوء الوضع العسكري للحلفاء بعد سقوط باريس في ١٠ حزيران ١٩٤٠.
- ٢- دخول ايطاليا الحرب بجانب المانيا يوم ١١ حزيران ١٩٤٠.
- ٣- النشاط القومي في العراق كان في اوج قوته ممثلاً بنادي المثني والقادة الاربعة اضافة الى وجود وزارة وطنية بقيادة رشيد عالي الكيلاني.
- ٤- دور الشعب العراقي في الوقوف بوجه بريطانيا، وهذا ما اكده السفير البريطاني بقوله "ان شعب هذه البلاد صعب المراس لدى التعامل معه من شعوب اخرى كشعب مصر او شعب بلاد شرق البحر المتوسط" كما ان فريا ستارك مؤسسة الجمعية في العراق اعترفت بمذكرتها المؤرخة في ١٣ تموز ١٩٤٤ عن صعوبة العمل في العراق اذ تقول "لم يكن لي شك ولو للحظة في امكانية الاقتناع. ولكن المشكلة كانت في البداية مع الاقتناع الحقيقي" وازافت قائلة "بانها الفت بعض البذور في ارض شوكية" وان عملها في العراق صعب مما هو في مصر. لذلك فانها تحتاج الى شجاعة اكثر لكي تخلق حالات ترابط بين العراق وبريطانيا، لان

العداء لبريطانيا لايمكن تجاهله. وادعت ستارك ان الدعاية النازية قد انغمست في نفوس العراقيين، وان اذاعة برلين تسمع في كل المقاهي^(٧٧).

وقد افتتحت الجمعية نادي اخوان الحرية في بغداد يوم ١٨ نيسان ١٩٤٤ وحضر حفل الافتتاح رئيس الوزراء نوري السعيد والسفير البريطاني وعدد من الوزراء والنواب والقائد العام للقوات البريطانية في العراق وابران^(٧٨).

ومن الجدير بالذكر ان الحركة الوطنية العراقية عارضت جمعية اخوان الحرية، لانها مركزاً للجانوسية البريطانية بينما ايد الحزب الشيوعي كل نشاط بريطاني في العراق. واصدر تعليماته الى الاعضاء البارزين الى المشاركة الفعلية في نشاط اخوان الحرية. واستجابوا لذلك وبرز من انظم اليهم عزيز شريف وناظم الزهاوي وشريف الشيخ^(٧٩).

رابعاً: سياسية إضعاف الجيش

كان الجيش العراقي مفخرة العراق والامة العربية. لكن هذا الجيش تعرض الى تصفية تكاد تكون كاملة بعد اخفاق انتفاضة ١٩٤١ على يد بريطانيا وعملائها بعد تجريده من القيادة الكفوءة وروح القتال^(٨٠). لقد عارض نوري السعيد فكرة حل الجيش خوفاً من نقمة الجيش والشعب عليه، لكنه تعهد باضعافه عن طريق تقليل ملاكه والغاء التجنيد الاجباري. هذا ما عبر عنه السفير البريطاني قائلاً "عكف نوري السعيد على اصلاح الجيش بنفسه فترأخى التجنيد خارج المدن وتم تصفية الجيش من الضباط الغير مرغوب فيهم"^(٨١). وبالمقابل اعيد للجيش العراقي اواخر عام ١٩٤١ الضباط الاستشاريين الذين سيطروا سيطرة تامة على الجيش العراقي^(٨٢). ومع كل هذا لم تبد الخارجية البريطانية وسفارتها ارتياحاً لما يقوم به نوري السعيد وعلل ذلك موريس بيترسون Maurice Peterson في الخارجية البريطانية قائلاً "ان كل مجموعة من الضباط تبدو وكأنها مصابة بعدوى كراهية كل ما هو بريطاني" واقترح

بيترسون الحل وهو " تسريح الجيش العراقي فوراً او عند اول بادرة مواتية لنا ونسمح للعراقيين ببعض الافراد كقوة لمواجهة القبائل" (٨٣).

وعلى كل حال فقد اقترحت الخارجية البريطانية تخفيض الجيش العراقي ليصبح عدد افراده ما بين ١٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠ ضابط وجندي. وطلبت الخارجية البريطانية بعد هذا التخفيض ان يتمركز الجيش العراقي في الاماكن التي لا يستطيع منها النيل من القوات البريطانية (٨٤).

لم يؤيد السفير البريطاني في بغداد فكرة تخفيض القوات العراقية بهذا الشكل ففي رسالته السرية الى الخارجية البريطانية بتاريخ ٨ ايار ١٩٤٢ قال كورنواليس " اني لا ادافع عن الجيش العراقي، وان تخفيض الجيش نكسة مفاجئة للسياسة الحالية والتي اخشى ان تكون لها ردود فعل على علاقتنا مع العراق، لان الشعب العراقي ينظر الى جيشه كونه مظهراً من مظاهر الاستقلال الوطني" (٨٥).

يبدو مما تقدم ان فكرة بريطانيا بتنفيذ هذه السياسة تجاه الجيش العراقي لها علاقة بالحركة الصهيونية التي خططت مع بريطانيا لاقامة كيائها على ارض فلسطين. وهذا يتطلب اضعاف الجيش العراقي لانه يشكل خطراً حقيقياً على الحركة الصهيونية وما حرب ١٩٤٨ الا دليل على ذلك.

خامساً: مقاومة الحركة الوطنية

بعد تكليف جميل المدفعي تأليف الوزارة يوم ٣ حزيران ١٩٤١ اصدر عدداً من المراسيم والاحكام العرفية على ايقاف الاعمال التي نفذتها حكومة الدفاع الوطني ووزارة رشيد عالي الكيلاني (٨٦). واول خطوة اتخذتها الوزارة طرد المدرسين الفلسطينيين والسوريين العاملين في العراق لان بريطانيا عدت ما حدث في ايار ١٩٤١ سببه هؤلاء المدرسين. ومع كل ذلك فان السفير البريطاني لم يرض على وزارة المدفعي من خلال تقريره الى الخارجية البريطانية " اثبت المدفعي وزملاؤه الوزراء

على عجزهم في معالجة الموقف الداخلي. ودعا الى اجراءات حاسمة ضد الوطنيين الذين ساهم دعاة المحور (٨٧). وتدخل البلاط في شؤون الوزارة، وبذلك التقى عبد الاله مع بريطانيا في الضغط على المدفعي باتباع سياسة العنف والانتقام، التي لم يحبها المدفعي (٨٨). ولهذا قدم المدفعي استقالة وزارته التي قبلت يوم ١٠/٧/١٩٤١، وكلف نوري السعيد يوم ٩/١٠/١٩٤١ بتأليف الوزارة التي اعتبرها السفير البريطاني وزارة نموذجية، وانها ستقدم خدمات اكثر لبريطانيا، وان الوضع في العراق انقلب كما يقول السفير لصالحنا، واذا ما تهيأت لنا الاوضاع المادية والسياسية ضمن الميسور الاستيلاء على البلاد (٨٩).

وعلى هذا الاساس اتبع نوري السعيد سياسة القوة على الذين ايدوا او اشتركوا مع رشيد عالي والذين لم يحاسبوا خلال وزارة المدفعي. فاعتقل الكثير من قادة الحركة الوطنية والذين ارسلوا الى معتقل الفاو. وعلق السفير على هذه الاجراءات بقوله " ان نوري السعيد اكفاً من سلفه فقد حشد اعداد كثيرة من الذين ينفثون سمومهم عداوة لبريطانيا في معتقل الفاو" (٩٠) وكثرة المعتقلين افتتحت الحكومة معسكرين للاعتقال احدهما في السلما والآخر في العمارة (٩١).

ومع كل ما قدمه نوري السعيد فان الخارجية البريطانية اشارت في رسالة لها لسفارتها في بغداد الى ان الوزارة لم تعمل ما فيه الكفاية. واقترحت الخارجية على السفارة ارسال مجموعة من الشرطة البريطانية الى بغداد من ذوي الخبرة في شؤون الشرق برئاسة الكسندر كين - بويد Alexander Keown Boyed. بعد الاستغناء عن وظيفته في القاهرة. للتعرف على العناصر المعادية لبريطانيا. لكن السفير البريطاني لم يؤيد الاقتراح لان كين - بويد لا يستطيع التأثير على الجانب العراقي لجهله بالاوضاع والشخصيات المحلية (٩٢).

اضافة لما تقدم، اجرت وزارة نوري السعيد محاكمة رشيد عالي ووزارته والعقلاء الاربعة في اواخر شهر تشرين الثاني ١٩٤١. وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٢ طلبت الحكومة العراقية من السفارة البريطانية استلام المنجزين في رودسيا والذين جرت محاكمتهم امام المجلس العرفي الذي اصدر يوم ٤ ايار ١٩٤٢ حكم الاعدام شنقا على العقيد فهمي سعيد والعقيد محمود سلمان ويونس السبعائي، وفي اليوم التالي نفذ حكم الاعدام بهم^(٩٣).

الخاتمة:

مما تقدم يسجل الباحث عدة استنتاجات وهي:

- ١- الاحتلال البريطاني الثاني اكده تقرير رسمي عراقي، كما اكده السفير البريطاني كورنو اليس.
- ٢- هناك اعتراف صريح من قبل السفير البريطاني و فريا ستارك على صعوبة العمل في العراق، كما ان بريطانيا فشلت في كسب ود العراقيين.
- ٣- بالرغم من تحمس بريطانيا في اعلان العراق الحرب على المانيا عام ١٩٣٩، لم يستمر هذا الحماس بعد الاحتلال البريطاني في حزيران ١٩٤١. وعلى هذا الاساس لم تطلب السفارة البريطانية في بغداد من العراق اعلان الحرب على المحور، لان ما سعت له بريطانيا قد تحقق وهو الاحتلال.
- ٤- اصبح العراق مسرحاً لقوات متعددة الجنسيات مع نشاط الحركة الصهيونية في العراق.
- ٥- الاحتلال البريطاني للعراق خدم الحركة الصهيونية على اقامة كيانها على ارض فلسطين عام ١٩٤٨.

المصادر:

- (١) إسماعيل احمد ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، بيروت ١٩٧٢ ص ١٢.
- (٢) علي جودت: ذكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨، بيروت ١٩٦٧ ص ٢٣٥.
- (٣) طه الهاشمي: مذكرات طه الهاشمي، بيروت ١٩٦٣ ص ٣١٥، وينظر مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة اخر ساعة ١٩٥٧.
- عارض مجلسي النواب والأعيان قرار مجلس الوزراء. لان نوري السعيد لم يعط الوقت الكافي للسياسة لمعرفة نتائج القرار. ينظر نجدة فتحي صفوت. العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، بيروت ١٩٦٩ ص ١٤٩.
- (٤) ناجي شوكت: سيره وذكريات ثمانون عاماً، بيروت ١٩٧٥ ص ٣٨٩، رشيد عالي: المصدر السابق.
- (٥) عبد الرحيم ذوالنون زويد: العراق في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥.
- رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٢.
- (٦) رشيد عالي: المصدر السابق.
- (٧) الكتاب الأبيض: اعداد وتقديم نجم الدين السهروردي، بغداد ١٩٦٦ ص ٣٤.
- (٨) زويد: المصدر السابق ص ٦٦.
- (٩) صلاح الدين الصباغ: فرسان العروبة في العراق، دمشق ١٩٥٦ ص ١١٤.
- (١٠) نفس المصدر ص ١٣٩.
- (١١) مديرية الرعاية العامة: خطاب الوصي عبد الله عن العرش، بغداد ١٩٤١ ص ١٣.
- (١٢) جعفر عباس حميدي: التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣ النجف ١٩٧٦ ص ٣٣.
- (١٣) محاضر جلسات مجلس النواب الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٠ ص ١٧٦.

- (١٤) زويد: المصدر السابق ص ٩٦.
- (١٥) توفيق السويدي: مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والمنطقة العربية، بيروت ١٩٦٩ ص ٣٣٦-٣٣٨.
- (١٦) زويد: المصدر السابق ص ١٠١.
- (١٧) عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية ج ٥، ط ٤، بيروت ١٩٧٤، ص ٢٢١.
- (١٨) نفس المصدر ص ٢٢٦.
- (١٩) زويد: المصدر السابق ص ١٠١.
- (٢٠) عبد الرزاق الحسني: الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحريرية صيدا ١٩٧١ ص ١٠٦.
- (٢١) ياغي: العدد السابق ص ٩٤-٩٥.
- (٢٢) السويدي: المصدر السابق ص ٣٤٩.
- (٢٣) يقول السفير البريطاني: ان حكومة الدفاع الوطني هي حكومة العفاء الاربعة. ينظر زويد: المصدر السابق ص ١٠٤.
- (٢٤) بعد وصول خبر هروب عبد الله الى فلسطين. استدعى الكيلاني البرلمان للاجتماع يوم ١٠ نيسان وصوت الاعضاء بابعاد عبد الله وانتخاب الشريف شرف وليه للعهد. ينظر .
- (٢٥) الحسني: تاريخ الوزارات ج ٥ ص ٢٦٤.
- (٢٦) زويد: المصدر السابق ص ١١٥.
- (٢٧) ينظر الى الاسس في الكتاب الابيض ص ٢٣.
- (٢٨) زويد: المصدر السابق ص ١١٧.
- (٢٩) نفس المصدر ص ١١٩.

- (٣٠) الكتاب الابيض: المصدر السابق ص ١١٩.
- (٣١) ستيفن همسلي لونكر: العراق ١٩٥٠-١٩٥٠، تاريخ سياسي، اجتماعي، اقتصادي، ترجمة سليم طه التكريتي ج ٢، بغداد ١٩٨٨ ص ٤٧٢.
- (٣٢) محمود الدرة: الحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١، بيروت ١٩٦٩ ص ٢٠٩.
- (٣٣) الحسني: الادارة الخفية ص ١٥٠.
- (٣٤) ياغي: المصدر السابق ص ١٥٦.
- (٣٥) زويد: المصدر السابق ص ١٢٥.
- (٣٦) ياغي: المصدر السابق ص ١٥٧.
- تلقي سمارت برقية من تشرشل قال فيها (اضربهم بشدة وبسرعة) ينظر
مذكرات كيلرن Clearn مجلة اخر ساعة العدد ٢٠٠٥ بتاريخ ٢٨/٣/١٩٧٣.
- (٣٧) الحسني: تاريخ الوزارات ج ٥ ص ٢٧٥-٢٧٦.
- (٣٨) الصباغ: المصدر السابق ص ٢٥٥.
- (٣٩) ياغي: المصدر السابق ص ١٦٠.
- (٤٠) الحسني: الاسرار الخفية ص ١٩٢-١٩٣.
- (٤١) لوكانز هيرزويش: المانيا الهتلرية والمشرق العربي. ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة ١٩٧١ ص ٢٠٢.
- (٤٢) للمزيد عن ذلك ينظر: د. عبد الرحيم ذوالنون: موقف المملكة العربية السعودية من ثورة مايس ١٩٤١، مجلة المؤرخ العربي.
- (43) Charchill, W.: The Second World War, vol 1 London, 1950 , P230.
- (٤٤) زويد: المصدر السابق ص ١٣٠.
- (45) Charchill .vr., Op. Cit , p232.

- (٤٦) ياغي: المصدر السابق ص ١٧٣.
- (٤٧) القوات الاردنية: ارسلت بامر من الامير عبد الله الذي اعلن على ضرورة ضرب الثورة في العراق باسرع مايمكن: ينظر مذكرات الملك عبد الله. القدس ١٩٤٧ ص ٣٠٣-٣٠٧.
- (٤٨) الكيلاني: المصدر السابق .
- (٤٩) مناحم بيجين: التمرد، قصة الارجون، تقديم اللواء حسن البدوي، القاهرة ١٩٧٨ ص ٦٧.
- (٥٠) فوزي الفاروقي: فلسطين في مذكرات فوزي الفاروقي، اعداد خيرية قاسمية ج ٢، بيروت ١٩٧٥ ص ٩٠.
- (٥١) لونكر: المصدر السابق ص ٤٧٥.
- (52) Khadduri M.: Independent Iraq, A study in Iraqi Politics 1932-1958. London 1960 p.226.
- (٥٣) حميدي: المصدر السابق ص ٦١-٦٢.
- (٥٤) المصدر نفسه ص ٦٤.
- (٥٥) الحسني: الاسرار الخفية ص ٢٤٨.
- (٥٦) ياغي: المصدر السابق ص ١٧٩-١٨٠.
- (٥٧) زويد: المصدر السابق ص ١٤٨.
- (٥٨) ياغي: المصدر السابق ص ١٨٠.
- (٥٩) زويد: المصدر السابق ص ١٤٩.
- (٦٠) المصدر نفسه ص ١٦٨.
- (٦١) ياغي: المصدر السابق ص ١١٠.
- (٦٢) حميدي: المصدر السابق ص ٨٣-٨٤.

- (٦٣) زويد: المصدر السابق ص ١١٦.
- (٦٤) لونكر: المصدر السابق ص ٤٨٤.
- (٦٥) زويد: المصدر السابق ص ١٧٢.
- (٦٦) حميدي: المصدر السابق ص ١٠١.
- (٦٧) لونكر: المصدر السابق ص ٤٨٦.
- (٦٨) المصدر نفسه ص ٤٨٦.
- (٦٩) دار الكتب والوثائق: وثائق البلاط الملكي. رقم الملف ج / ٣/٢. قرار مجلس الوزراء في ١٣/٣/١٩٤٣.
- (٧٠) زويد: المصدر السابق ص ٢١٧.
- (٧١) لونكر: المصدر السابق ص.
- (٧٢) ياغي: تطور الحركة الوطنية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣. بغداد ١٩٧٩ ص ٨.
- (٧٣) زويد: المصدر السابق ص ١١٩.
- (٧٤) محمد توفيق حسين: عندما يثور العراق، بيروت ١٩٥٩ ص ١٢٩-١٣٠.
- (75) F.O.371. E2515 / 1090193. from forgin office to Baghdad. 22/5/1944.
- (76) F.O.371. J2149/226/16 In defence of Propagande by Frey Stark 3/7/1944
- استمر نشاط الجمعية في مصر الى عام ١٩٥٢، عندما اوقف نشاطها بعد اتهمها من قبل السلطات المصرية بحريق كنيسة في السويس يوم ١٩٥٢/١/٤. ينظر محمد عشاوي، تاريخ الفكر السياسي المصري ١٩٤٥-١٩٥٢، اطروحة دكتوراه جامعة القاهرة / كلية الاداب ١٩٧٧ (الاصل) ص ٨.
- (77) F.O.371 J2199:iloid.
- (٧٨) نادي اخوان الحرية في العراق: مطبعة الاهالي، بغداد ١٩٤٤ ص ٣.
- (٧٩) احمد فوزي: غرب ام غروب، بيروت ١٩٦٩ ص ١٢٣.

- (٨٠) الدرة: المصدر السابق ص ٤٢٠.
- (٨١) زويد: المصدر السابق ص ١٩٠.
- سرح من الجيش العراقي ٢٨٧٩ ضابطاً منهم ١٤١٩ لم يكملوا الخدمة، والباقيون من القادة الذين يؤلفون العمود الفقري للجيش العراقي ، ينظر الدرة: المصدر السابق ص ٤٢٠.
- (٨٢) المصدر نفسه ص ٤٢٠.
- (٨٣) زويد: المصدر السابق ص ١٩٢.
- (٨٤) المصدر نفسه ١٩١.
- (٨٥) المصدر نفسه ١٩٢.
- (٨٦) الحسني: الاسرار الخفية ص ٢٨٩.
- (٨٧) زويد: المصدر السابق ص ١٦١.
- (٨٨) خليل كنه: العراق امسه وغده، بيروت ١٩٦٦ ص ٩٨.
- (٨٩) زويد: المصدر السابق ص ١٨١.
- (٩٠) المصدر نفسه ص ١٩٢.
- (٩١) لونكر: المصدر السابق ص ٤٩٢.
- (٩٢) زويد: المصدر السابق ص ١٨٥.
- (٩٣) في يوم ١٦/٨/١٩٤٤ نفذ حكم الاعدام على العقيد كامل شبيب. اما صلاح الدين الصباغ فنفذ حكم الاعدام فيه يوم ١٦/١٠/١٩٤٥ ينظر الحسني: الاسرار الخفية ص ٨٩٨، لونكر: المصدر السابق ص ٥٠٧.

جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير مؤسسات الدولة الإدارية

أ.م.د. عبد الجبار محسن عباس
جامعة تكريت / كلية التربية / سامراء

ملخص البحث

تناول هذا البحث جهود الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م) في تنظيم وتطوير مؤسسات الدولة الإدارية وما أضافه إليها من جديد، وذلك في بحثين، تناول الأول، جهود الخليفة في تطوير وتنظيم دواوين الدولة المختلفة والثاني تناول، جهوده في تطوير وتنظيم مؤسسة الحجابة.

وتبين أن الخليفة نجح في تحقيق حركة تنظيم وتطوير شاملة وعميقة لجميع دواوين الدولة ومؤسساتها الإدارية، فتعددت الدواوين وتطورت وازداد التخصص فيها فازدهرت دواوين: الجند، والخراج، والرسائل والكتابة، والخاتم والبريد، والطرز، ثم الحجابة، فزادت الأمور استقراراً والأعمال تسلسلاً، فأصبحت هذه المؤسسات أداة فعالة في إدارة شؤون الدولة، فتحقق نظاماً إدارياً شاملاً اتخذ العباسيون فيما بعد أساساً لإدارة دولتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُتَلَمِّمًا

شهد عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م) حركة تنظيم وتطوير واسعة النطاق للمؤسسات الإدارية، تمكن من إنجازها في فترة خلافته، فقد ظهرت معظم هذه المؤسسات الإدارية نتيجة حاجة ماسة للتنظيم الإداري، إذ كان عصر الخليفة عبد الملك بن مروان من أخصب فترات التاريخ العربي الإسلامي تطوراً وتنظيماً وإبداعاً لنظم إدارية جديدة، فإن أغلب هذه النظم قد نمت وتوسعت على عهده، وازداد التخصص فيها، فزادت الأمور استقراراً، والأعمال تسلسلاً والعمال رغبة ورهبة، حتى أصبحت هذه المؤسسات أداة فعالة في إدارة شؤون الدولة، لذلك عُدَّ الخليفة عبد الملك بن مروان المؤسس الحقيقي للنظام الإداري في الدولة الأموية، وللدلالة على حسن هذا النظام فقد إتخذ العباسيون أساساً لإدارتهم.

إن هذا البحث سيؤشر ويبرز أصالة ماأضافه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى المؤسسات الإدارية الموجودة في عصره أو التي أوجدها، فتناول ذلك في بحثين، تناول الأول منهما جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير الدواوين المختلفة، كديوان الجند، الخراج، الرسائل والكتابة، الخاتم، البريد، الطراز، أما البحث الثاني فقد تناول نظام الحجابة وتطويرها على يد الخليفة، ثم أختتم البحث بأهم النتائج، وإعتمد البحث على عدد مهم من أمهات المصادر الأولية المعتمدة.

المبحث الأول

جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير الدواوين

١- ديوان الجند:-

أسس ديوان الجند واستقر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٣ م) نتيجة الحاجة الماسة إليه في سنة (٢٠ هـ / ٦٤١ م) في أرجح الروايات^(١). وصار الديوان يعني السجل الذي يحوي أسماء المقاتلين وأهليهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم^(٢)، ثم تطورت مهام هذا الديوان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فصار يعني فضلاً عن ذلك، سجلات الحسابات العامة للدولة^(٣).

لقد تطور ديوان الجند في العصر الأموي بسبب توسع حركة الفتوح العربية وإتساع رقعة الدولة، وأصبح مؤسسة كبيرة حظيت باهتمام الخلفاء والولاة. وكان من مهام هذا الديوان العناية بكل ما يتعلق بالشؤون العسكرية، وشهد عصر الخليفة عبد الملك بن مروان حركة تنظيم واسعة لديوان الجند، لاسيما في العراق إذ كان في مقدمة المهام التي كُلف بها الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، هي إعادة تنظيم هذا الديوان وتنظيم العطاء فيه على أساس المقدرة والكفاءة، وذلك إثر اضطراب أمر العراق بعد تمردات الخوارج وغيرهم، فأقال جميع العرفاء^(٤) السابقين، واختار من القبائل رجالاً جدداً رآهم لائقين للعمل عرفاء ومناكب^(٥) مسؤولين معهم، ليكونوا حلقة وصل بين الناس والدولة، وصار من جملة الأمور التي يجب أن تتوفر فيمن يختاره لهذه الوظيفة هي، قراءة القرآن، ومعرفة اللغة العربية، والشعر، والحساب، والفرائض، ومغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٦)، وبعدها أمر الحجاج بإعطاء الناس عطاءهم والتوجه لجبهات القتال، وتوعد المتخلفين منهم بالموت^(٧)، ولم يقبل من بعض الجنود إعفائهم من الخروج للقتال مقابل ترك العطاء^(٨).

أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أهمية عطاء الجند ومدى تأثيره على المواقف السياسية والعسكرية، ففي سنة (٦٩ هـ / ٦٨٨ م) خرج الخليفة عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير في العراق فتخلف بعض أهل الشام عن الخروج معه، فأخذ خمس أموالهم من عطاء سنة (٧٠ هـ / ٦٨٩ م)^(٩)، على الرغم من حبه الشديد لهم^(١٠)، أي أن العطاء أُعطي فعلاً للذين يلتحقون بالخدمة العسكرية، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان أحياناً يضطر وتحت ضغط الظروف إلى زيادة العطاء أو إدخال أناس آخرين في الديوان، كما فعل حين تمرد الجراجمة^(١١) في لبنان، إذ أعلن لهم قائدة سحيم بن المهاجر على لسان الخليفة ((من أتانا من العبيد فهو حر وبثبت في الديوان فانفض إليه خلق كثير))^(١٢)، كما استخدم الخليفة سلاح زيادة العطاء أيضاً ضد عبد الله بن الزبير، حينما نادى الحجاج جنده قائلاً: ((يا أهل الشام قاتلوا على أعطيات عبد الملك))^(١٣).

كما استخدم الخليفة عبد الملك العطاء وسيلة للقضاء على الفتنة، فقد كتب يوماً إلى الحجاج، أن يصف له الفتنة، فوصفها له ... فكتب إليه الخليفة عبد الملك: ((فإن أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة))^(١٤)، وصار عطاء الجند يصرف بكامله إنشاء الأزمات أو الاستعداد للقتال^(١٥)، كما كان الخليفة عبد الملك يُكرم من أسدى خدمة عسكرية للدولة أو أظهر بطولة وشجاعة في جبهات القتال، مثل تكريمه لموسى بن نصير لجهوده ونجاحاته العسكرية في أفريقية^(١٦).

ولذلك فقد إزدادت أعداد الجند المسجلين في الديوان كثيراً فمثلاً في سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) كان في العراق وحده (ستون ألف) من أصحاب العطاء بلغت رواتبهم وأسرهم (ستون مليون) درهم سنوياً^(١٧)، في حين كان عدد من يتسلم العطاء في دمشق وحدها سنة (٨٣ هـ / ٧٠٠ م) نحواً (خمسة وأربعين ألفاً)^(١٨) وعددهم في حمص كان

(عشرين ألفاً)^(١٦). وكان عطاء جند العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي هو (ثلاثمائة) درهم سنوياً^(١٧)، وهذا يعني تطوراً واضحاً في أعداد الجند المسجلين في الديوان، وهذا بحد ذاته تطور مهم لهذا الديوان واتساع مهامه ودوره.

وكان غالبية الجند الأموي في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان هم من العرب لأن سياسة الخليفة كانت تسير باتجاه تعريب كل مؤسسات الدولة حتى أضحت الدولة عربية لحماً ودماً.

أما من ناحية إدارة هذا الديوان، فكان يختار له الخليفة الأكفأ حتى لو لم يكن عربياً، فكان أشهر من تولاه هو (سرجون بن منصور) وهو من أهل الذمة، تولى ديواني الجند والخراج في دمشق^(١٨)، ثم عزله الخليفة وعين بدله ((سليمان بن سعد الخشني))^(١٩) وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها^(٢٠).

٢- ديوان الخراج:-

كان لديوان الخراج أهمية كبرى في الدولة العربية الإسلامية، لأنه يتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر في كل ما يتعلق به إذ تعتمد الدولة في وارداتها ومصروفاتها على هذا الديوان وما يجبيه من أموال.

وحينما حرر المسلمون الأراضي العربية، أبقوا دواوين الخراج المحلية على ما هي عليه من حيث موظفيها ولغاتها ونظمها المحلية حتى تم تعريبها على يد الخليفة عبد الملك بن مروان^(٩).

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان إزداد صاحب الخراج إستقلالية في أموره المالية عن أمير الولاية، الذي تركزت مهامه في الأمور السياسية والإدارية، وذلك بسبب فصل الجباية عن إدارة الولاية.

وأشهر من تولى إدارة ديوان الخراج المركزي في دمشق للخليفة عبد الملك، هو سرجون بن منصور، وهو من أهل الذمة^(٢١)، ثم عزله وولى بدله ((أبو ثابت،

سليمان بن سعد الخشني))^(٢٢)، وهو أول مسلم عربي ولي دواوين خراج الشام للخليفة عبد الملك، وهو الذي تولى تعريبها بطلب من الخليفة نفسه.

وكان أشهر من تولى ديوان خراج العراق هو (زادان فروخ)^(٩)، ثم جاء بعده (صالح بن عبد الرحمن)^(٩)، وهو الذي تم تعريب دواوين العراق في عهده^(٢٣).

ولابد أنه كان يساعد صاحب الخراج عدد غير قليل من الكتاب والموظفين إذا كان بديوان خراج مصر حوالي (أربعة وأربعين) موظفاً^(٢٤).

ويبدو أن متولي ديوان الخراج في عهد الخليفة عبد الملك كان يُعد من أصحاب الثروات والمال والجاه، فكان يحصل على أموال طائلة من عمله هذا، مثل متولي ديوان خراج مصر (اثنياس)، وهو من أهل الذمة، إذ كان واسع السلطان عظيم النفوذ^(٢٥)، فيذكر أنه كان يأخذ من عمله (ستون ألف) دينار سنوياً، فضلاً عن دينار واحد يأخذه عن كل جندي، وكان يملك (أربعة آلاف) عبد، وكثيراً من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة، (وأربعمئة) حانوت في الرها^(٢٦). وعلى الرغم من أن هذه الأرقام فيها مبالغة واضحة، ألا إنها تعطينا فكرة عن مكانة متولي دواوين الخراج المالية وأهميته الاقتصادية وأثره على بيت المال، لذلك كان تعريب دواوين الخراج خطوة أولى باتجاه إعادة تنظيم دواوين الدولة وإدارتها المالية والسيطرة عليها.

٣- ديوان الرسائل:-

جعل الرسول محمد (ﷺ) له مجموعة من الكتاب يكتبون له أحواله الدينية والدينية^(٢٧)، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون^(٢٨). ومهمة هذا الديوان هي تحرير رسائل الخليفة وأوامره الداخلية والخارجية.

وفي العصر الأموي، توسعت الدولة كثيراً وكثرت أعمالها وإزدادت الحاجة إلى المراسلات المنتظمة، فأسس ديوان منتظم للرسائل، اتخذ شكله المميز في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، فأصبح ديواناً متكاملًا يعرف بديوان الرسائل، مما يؤكد

قولنا هذا أن الجهشيارى لا يسميه ديواناً إلا عند حديثه عن الخليفة عبد الملك بن مروان^(٢٩).

وهذا يعني أن ديوان الرسائل في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان قد توسع ونظم وتعددت اختصاصاته، وكثر عدد العاملين فيه، إذ صار فيه كتاب أساسيون يقومون فيه بالكتابة والإنشاء وآخرون يساعدونهم يقومون بالتلخيص والتبويض، وصار لهذا الديوان ملفات توضع فيها أصول المراسلات ونسخها، وتتظم في سجلات خاصة تسمى أصابير وتوضع عليها بطاقات تدل على محتوياتها ليسهل معرفتها وإستعمالها^(٣٠). وبذلك صار هناك ديوان منظم للرسائل، وصار كاتب الرسائل يمثل يد الخليفة ومستودع أسرار، لذلك لم يختار الخليفة عبد الملك بن مروان لتولي هذا الديوان إلا ((من أهل نسبه ومن عظماء قبيله))^(٣١)، حتى صار متولي هذا الديوان لا يقل أهمية عن الوزير في العصر العباسي^(٣٢)، وقد ازدادت أهمية هذا الديوان بشكل واضح وتطور بشكل كبير، ولا سيما إنشاء ولاية الحجاج للعراق بسبب المستجدات السياسية ووجود المتمردين والخارجين على الدولة، مما تطلب متابعة أخبارهم فكان الخليفة عبد الملك يكتب للحجاج بشأنهم، مما كان باعثاً مهماً لإزدهار ديوان الرسائل والكتابة، إذا كانت هذه الرسائل تصدر من الديوان بشكل مستمر إلى من يهمل الأمر لمعالجة أوضاع تلك الاضطرابات^(٣٣) السياسية في محاولة منه أن يكسب قادة هذه التمردات أو يحيدهم كما راسل أصحاب مصعب بن الزبير، وابن الأشتر^(٣٤). ويلاحظ كثرة التواقيع^(٣٥) في مراسلات الخليفة عبد الملك بن مروان مع الحجاج بن يوسف الثقفي والتي تؤكد تنظيم ديوان الرسائل وتطوره، كما توضح من جهة أخرى جانب من سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان الإدارية. والسرعة في حسم القضايا السياسية والعسكرية.

وبسبب أهمية وخطورة عمل كاتب الرسائل فإن الخليفة عبد الملك بن مروان، لم يول هذا الديوان إلا من هو موضع ثقة وأمانة وإخلاص، وممن يجمعون بين فن

كتابة الرسائل وبين الخبرة الإدارية، وإجادة أسلوب المخاطبة، ومن أشهر من ولاهم الخليفة عبد الملك ديوان الرسائل ((قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو)) إذ بلغ من علو مكانته أنه كان يطلع على الكتب الواردة إلى الخليفة قبل أن يعرضها على الخليفة نفسه^(٣٦)، حتى أن الذهبي يسميه وزير الخليفة عبد الملك^(٣٦)، كما كتب له أبو الزعيزعة مولاه^(٣٧)، ثم ولي بعده أبو زرعة (روح بن زنباع الجذامي) الذي كان على جانب كبير من العلم والأمانة والدهاء إذ قال فيه الخليفة عبد الملك: ((ما أعطي أحد ما أعطي أبو زرعة، أعطي فقه الحجاز، ودهاء أهل العراق، وطاعة أهل الشام))^(٣٨). وممن ولي هذا الديوان أيضاً ((ربيعة الجرشي)) الذي إستشاره الخليفة عبد الملك بشأن تولية ابنه الوليد العهد من بعده^(٣٩)، مما يدل بشكل واضح على مكانة كاتب الرسائل الكبيرة في عهد الخليفة عبد الملك، وبعد وفاة قبيصة بن ذؤيب عين الخليفة عبد الملك مكانه ((عمرو بن الحارث الفهمي)) وهو من الموالي^(٤٠).

وكانت من نتائج سياسة التعريب التي إنتهجها الخليفة عبد الملك بن مروان، أن إزداد عدد الكتاب من العرب ومواليهم، وكذلك صار هناك تخصص في الكتاب إذ ظهر خمسة أنواع من هؤلاء نتيجة إتساع الدولة وتعدد مصالحها، وهم: كاتب رسائل، وكاتب خراج، وكاتب جند، وكاتب شرطة، وكاتب قاضي^(٤١). ويلاحظ على كتاب الرسائل والخاتم للخليفة عبد الملك بن مروان، أن أغلبهم من العرب أو مواليهم، لأنهم يجيدون الكتابة باللغة العربية، كما أنهم موضع ثقة الخليفة، وكلها تصب في سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان التي استهدفت صبغ الدولة بصبغة عربية، ولا يوجد من هؤلاء الكتاب من هو من أهل الذمة.

٤- ديوان الخاتم:-

عرف العرب قبل الإسلام وبعده الختم على الرسائل والصكوك^(٤٢). واتخذ الرسول محمد (ﷺ) خاتماً من فضة ونقش عليه ((محمد رسول الله)) في ثلاثة أسطر فختم به حتى توفي (ﷺ)^(٤٣)، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون وكان الخاتم في ذلك العصر يعني التوقيع بالختم ليس إلا.

أما في العصر الأموي فقد تم إنشاء ديوان منظم مستقل من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان^(٤٤)، وصار هذا الديوان عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها إما بالعلامة أو بالحزم^(٤٥)، حتى صار ديواناً معتبراً من أكابر الدواوين^(٤٦).

وتطور هذا الديوان في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان فصار ديواناً منظماً كبيراً، إذ أنشأت في هذه الفترة داراً لمحفوظات الدولة في دمشق^(٤٧). ويبدو أن هذا الديوان لم يقتصر على العاصمة دمشق بل وجد في باقي ولايات الدولة المختلفة، ولا سيما بعد التنظيم الإداري الواسع للخليفة عبد الملك بن مروان، وكثرة المراسلات وأهميتها السياسية ولا سيما في العراق والمشرق الإسلامي.

ولأهمية هذا الديوان وسرية عمله، كان الخليفة عبد الملك لا يوليه إلا لأوثق الناس وأثرهم عنده، لذلك فقد قلده فضلاً عن ديوان الرسائل إلى أوثق مقريه وهو قبيصة بن ذؤيب، الذي صار له كالوزير ولم يكن يحجب عنه في ليل أو نهار^(٤٨)، وظل في منصبه حتى وفاته، ثم ولاه إلى ((عمرو بن حارث الفهمي)) مولى بني عامر بن لؤي^(٤٩)، حتى وفاته فولاه إلى ((جناح)) مولى الخليفة^(٥٠). وكان نقش خاتم الخليفة عبد الملك ((أمنت بالله مخلصاً))^(٥١).

ومن الملاحظ على هذا الديوان أن أغلب من تولاه كانوا من مختلف القبائل العربية، أو من مواليهم أو من موالي الخليفة نفسه، كما يلاحظ بعض موالي هؤلاء كانوا قد تقلدوا ديوان الخاتم مع ديوان الرسائل والكتابة لأنهم كانوا أهلاً لذلك وموضع ثقة الخليفة وتقديره، فضلاً عن ارتباط عمل هذين الديوانين بشكل كبير.

٥- ديوان البريد:-

عرفت الأمم والشعوب ومنهم العرب نظام البريد، كما اهتم به الخلفاء الراشدون أيضاً وإستفادوا منه.

وفي العصر الأموي، وفي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، توسعت الدولة، وكثرت مشاكلها السياسية، فإزدادت الحاجة إلى البريد المنظم لسرعة الاتصال ونقل الأخبار، فنظم البريد وطوره وكانت له الريادة في ذلك^(٥٢).

وحينما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، أخذ يتطلع إلى سماع أخبار ولاته ورعيته^(٥٣)، فبث العيون إلى الأقاليم^(٥٤)، من أجل حسن سير إدارة الدولة، وبناءها، لذلك اعتنى بشكل ملحوظ بالبريد بوصفه وسيلة مهمة من وسائل ضبط هذه الإدارة وانتظام أمورها، فطوّره ونظمه وأرسى قواعده^(٥٥)، فلم يعد عمله تقليدياً متمثلاً بنقل الأخبار وإنما صار وسيلة مهمة في العمليات العسكرية، ونقل الأشخاص المهمين، والمواد المختلفة، وصارت حركاته ورحلاته منتظمة وسريعة وفعالة، كما أصبح صاحب البريد عيناً للخليفة في نقل أخبار الأقاليم والعمال وشكاوى الناس من عمالهم وموظفي الدولة هناك^(٥٦).

ومن الأعمال الرائدة في تنظيم البريد وطرقه، ما قام به الخليفة عبد الملك بن مروان، ببناء الأميال^(٥٧) في الطرقات كعلامات دلالة للطرق وتحديد مسافاتها، ومما يؤكد ذلك ما وصل إلينا من نقوش معاصرة للخليفة عبد الملك كشفت بالقرب من بيت المقدس تشير إلى أوامره بعمل هذه الأميال، كما تبين النقوش المعاصرة للخليفة، عمارة أربعة طرق تخرج من بيت المقدس ومن دمشق، كذلك عُثر على بعض الحجارة التي وضعت على طرق البريد في فلسطين^(٥٨)، وعُثر على حجر آخر قرب تقيس^(٥٩)، وأغلب الظن أنها تعود إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً^(٥٩).

ونتيجة هذه الجهود وهذا التنظيم صار يخترق الدولة وأقاليمها طرق عديدة على طولها محطات للبريد^(٦٠). أي إن الخليفة عبد الملك بن مروان قد حسن طرق المواصلات ونظمها وصارت منظمة ومعلومة، ومما يدل على ذلك هو سرعة وصول الأخبار إلى مقر الخلافة بالشام.

وصار للبريد أهمية كبيرة في الظروف العسكرية، فقد إستفاد منه الخليفة عبد الملك بن مروان في إرسال الجند والإمدادات والأوامر إلى قادة جيشه في جبهات القتال، وفي نقل أخبار المعارك والمواقف العسكرية وتحركات الأعداء، فكان للبريد دور كبير - على سبيل المثال - في قتال الخوارج والقضاء على حركات التمرد في العراق والمشرق الإسلامي، كحركة ابن الأشعث^(١١)، وصار الخليفة على إتصال مستمر مع قادة جيشه في جبهات القتال إذ كان البريد لا ينقطع بينهما، فكانت الأخبار تصل إليه بسرعة كبيرة وبشكل يومي تقريباً^(١٢)، وصار صاحب البريد نفسه يرافق الحملات العسكرية، فيكون مكانه في ميمنة القلب من الجيش^(١٣).

وتقديراً من الخليفة عبد الملك بن مروان في أهمية وخطورة عمل صاحب البريد، فقد أمر حاجبه أن لا يحجب صاحب البريد هذا في أي ساعة جاء من ليل أو نهار قائلاً له: ((وليتك ماخلف بابي إلا أربعة ...، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أقسد على القوم تدبير سنتهم^(١٤) حبسهم البريد ساعة))^(١٥)، وبذلك فقد انتظم البريد وأصبح الخليفة يطلع بشكل يومي على تفاصيل الموقف العسكري أو السياسي فيقول الطبري^(١٥): ((وهو [الحجاج] في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر محمد بن الأشعث] أي كوره نزل ومن أي كوره يرحل وأي الناس إليه أسرع)). أن وصول الكتب والرسائل بهذه السرعة يدل بشكل واضح على التنظيم الرائع للبريد وإزدياد أهميته ودوره في حسم المواقف العسكرية المهمة.

واستخدم الخليفة عبد الملك بن مروان أحياناً البريد في حمل الأشخاص المهمين كالولاء، والكتاب والشعراء^(١٦).

ومن وسائل الاتصال والمخابرة الجديدة التي استحدثت في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، لإيصال الأخبار بين العراق والمشرق الإسلامي بسرعة، هو بناء المناظر أو المنائر، التي توضع على المرتفعات العالية، لنقل الإشارات بوساطتها عن

طريق إشعال النار أو الدخان، فيصل الخبر بسرعة عن طريق إنتقاله من منظره لأخرى، وقد وصف ذلك ياقوت بقوله: ((... وكان إذا دخن أهل قزوین دخنت المناظر إن كان نهراً، وإن كان ليلاً إشعلوا نيراناً فتجرد الخيل إليهم فكانت المناظر متصلة بين قزوین وواسط))^(١٧).

وبذلك يمكن القول أن الخليفة عبد الملك بن مروان جعل ديوان البريد مؤسسة إدارية منتظمة ومستقلة ومتكاملة.

٦- ديوان الطراز:-

الطراز في الأصل يعني التطريز، تم تطور مفهومه ليعني الثياب المزينة بالأشرطة الكتابية، ولاسيما ملابس الخليفة أو الأمير ورجال الحاشية، وأخيراً صار يطلق على المكان والمصنع الذي تصنع فيه مثل هذه المنسوجات^(١٨).

تسمى المصانع التي تصنع هذه المنسوجات بـ((دور الطراز))، وكان القائم على إدارتها يسمى ((صاحب الطراز))، ويتضمن عمله، النظر في آلات الطراز والحياسة والأصباغ ومتابعة أعمالهم وتوزيع رواتبهم وأرزاقهم، والنظر في شراء ما يحتاجونه من الآلات وتسجيلها وتجديد ما استهلك منها^(١٩). ولابد أن لصاحب الطراز هذا أعوان آخرون ومساعدون يساعدونه في انجاز أعماله ويجيدون لغة الطراز.

وكانت دور الطراز في العصر الأموي على نوعين: طراز الخاصة، وطراز العامة، فطراز الخاصة هو الذي ينتج المنسوجات التي تخص الخليفة وجيشه والأمراء وكبار الموظفين والحاشية، وإما طراز العامة، فهو الذي يمد عامة الناس بما يحتاجونه من منسوجات^(٢٠).

يؤكد ابن خلدون أن الطراز كان معروفاً لدى الشعوب والدول قبل الإسلام^(٢١)، ثم جاءت الدولة العربية الإسلامية فبقي الحال على ما هو عليه من ناحية اللغة والإدارة والإنتاج ألا إن الخلفاء الأمويين وأمراؤهم زاد اهتمامهم بارتداء

الملابس الفاخرة، وإزدادت الحاجة للاهتمام بالطراز وتطويره، فأنشأت عدد من دور الطراز، ولاسيما في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، فنظمت صناعة الطراز بشكل واسع وأصبح أساساً لما حدث من نهضة في صناعة النسيج ولاسيما زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م) وأخيه الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٣ - ٧٤٢ م)، وفي مصر بشكل خاص، وكثيراً ماكانت هذه المنسوجات تستعمل كملايس أو للخلع التي كان يخلعها الخليفة على كبار رجال دولته^(٧٢).

ومن الإضافات المهمة والانجازات الكبرى للخليفة عبد الملك بن مروان في هذا المجال هو تنظيمه وتعريبه لدور الطراز وإدارتها، فكانت دور الطراز تكتب باللغات الأجنبية المحلية في كل إقليم، واستمرت كذلك حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فكتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان، عامل مصر: ((بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر))^(٧٣)، وأن يكتب بدلها شهادة التوحيد (قل هو الله أحد)^(٧٤)، وعمم الخليفة ذلك إلى أقاليم دولته بإبطال الطراز الأجنبي وإبداله بالطراز العربي ومعاقبة من يخالف ذلك.

وبذلك يكون الخليفة عبد الملك بن مروان أول من عرب الطراز في الدولة العربية الإسلامية وسيطر على إدارتها وعمالها وإنتاجها، لذلك فربما يكون الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أنشأ ديوان الطراز، وبذلك بدا عصر جديد لدور الطراز في الدولة كلها، إذ صار يكتب باللغة العربية على جميع ماتنتجه هذه الدور، وصارت توضع شارة الخليفة، وهي اسمه أو لقبه أو نحو ذلك على ملايس الجند ورجال الدولة وكان لهذا العمل نتائج دينية وسياسية وقومية بعيدة المدى في تاريخنا العربي الإسلامي.

المبحث الثاني

جهود الخليفة عبد الملك بن مروان في تطوير الحجابة:

الحجابة: لغة تعني الستر. وحجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً، وحجبه بمعنى ستره، وقد احتجب وتحجب إذا أكتن من وراء حجاب ... والحاجب الباب، وخطته الحجابة^(٧٥).

والحاجب في الإصطلاح يعني: هو موظف يقف بباب الخليفة أو الوالي، يعلمه بأسماء من يريدون مقابلته وينظم دخولهم إلى مجلسه بحسب أهمية مراكزهم^(٧٦).

لم يكن الخلفاء الراشدون يحجبون أنفسهم عن الناس^(٧٧)، ألا إن الظروف في العصر الأموي تبدلت كثيراً مما استدعى إيجاد نظام الحجابة وتطويرها^(٧٨)، فنظم الخليفة معاوية الحجابة وأرسى قواعدها^(٧٩).

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة طوّر نظام الحجابة وأضاف إليها الكثير لذلك إستقرت بشكل واضح في عصره^(٨٠)، فرتب الداخلين عليه وأوقات دخولهم، وحدد طبيعة عمل الحاجب، فإزداد أهمية، وأدى وظيفة مهمة ودوراً كبيراً في العديد من الأحداث السياسية، وتظهر لنا أهمية الحاجب والحجابة في نظر الخليفة من محاورته لحاجبه قائلاً له: ((إنك عين أنظر بها وجنة أستلئم بها، وقد وليتك ما وراء بابي، فماذا تراك صانعاً برعيتي؟ قال: أنظر إليهم بعينك، وأحملهم على قدر منازلهم عندك، وأضعهم في ابائهم عن بابك، ولزوم خدمتك مواضع إستحقاقهم، وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك، وأحسن إبلاغهم عنك وإبلاغك عنهم. قال: لقد وفيت بما عليك ولكن إن صدقت ذلك بفعلك))^(٨١). وهنا يبدو واضحاً علو مكانة الحاجب وخطورة عمله، فقد أصبح الحاجب كالنائب عن الخليفة في عمله، إذ إن الخليفة رتب دخول الناس عليه، ففضل أهل البيوتات أولاً، فإذا تساوت الأنساب فضل أهل السن، فإذا تساوت فضل أهل الأدب والعلم^(٨٢).

ومع ذلك فقد إستثنى الخليفة عبد الملك بن مروان بعض أصناف الناس من الدخول عليه في أي وقت جاءوا تقديرًا منه لخطورة عمل هؤلاء مع الأخذ بنظر الاعتبار عامل الأمن، فقال لحاجبه: ((وليتك ماخلف بابي إلا أربعة: المؤذن فإنه داع إلى الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فإنه لو وجد خيرًا لنام، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعة، والطعام، إذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب واخل بين الناس وبين الدخول))^(٨٣).

وكذلك أمر الخليفة عبد الملك بن مروان حاجبه أن لا يحجب ((قبيصة بن ذؤيب)) وكان يتولى ديوان الرسائل والخاتم في أي ساعة جاء من ليل أو نهار، لأنه كان أثر الناس عنده^(٨٤).

وبذلك يمكن القول أن الحاجب لم يعد فقط ((يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقفه))^(٨٥)، بل أصبح عين الخليفة ولسانه وعقله ويده، فهو الذي يدرس طلبات الراغبين بالدخول، ويسمح لهم، ويرتب ذلك على قدر منازلهم، وبعد معرفة أسمائهم ولايستأذن بالكنى، ولا يسمح بدخول أشخاص بقضايا ليست من إختصاص الخليفة، وربما يوصي بقضاء حوائجهم^(٨٦)، وصار للحاجب دور سياسي مهم، فكان لأبي الزعيزعة حاجب الخليفة عبد الملك ومولاه دور كبير في قتل عمرو بن سعيد بن الأشدق والتخلص منه^(٨٧). لهذه الأسباب كلها فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان لا يختار لوظيفة الحاجب إلا من أقرب الناس إليه أو من خاصة مواليه المخلصين لخطورة عمله وقربه من الخليفة^(٨٨).

ومما يؤكد عناية الخليفة المتميزة بشؤون الرعية وتنظيم إدارة الدولة ومنها الحجابية، أنها لم تقتصر على حاضرة الدولة دمشق بل امتدت لتشمل أقاليم الدولة الأخرى، فقد أوردت المصادر وصية الخليفة عبد الملك لأخيه عبد العزيز والي مصر، التي تنم عن عقلية إدارية وتنظيمية ممتازة، إذ حدد له طبيعة عمل الحاجب

وأهميته حينما قال له: ((أنظر مأوصيك به فاجعله لك إماماً ... وأنظر حاجبك وليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده))^(٨٩)، كما أوصاه ثانية بمتابعة موظفيه وتنظيم مجلسه قائلاً له: ((تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك ... فالمتوسم يعرفك بحاجبك))^(٩٠). ويبدو واضحاً في هاتين الوصيتين تركيز الخليفة على أهمية اختيار الحاجب الذي ينبغي أن يكون من خيرة الأهل وموضع ثقة، لأنه وجه والي ولسانه الناطق.

كما ونظم الخليفة عبد الملك بن مروان شؤون مجلسه، فسيطر على مايدور فيه حتى صار ذا هيبة كبيرة، واحترام شديد، إذ نهى الناس عن كثرة الحديث في حضرته، وهو أول من فعل ذلك، وكان الجلوس قبله يراجعون الخليفة فيما يقول، ويعترضون عليه فيما يفعل، وأكثر ما كان ذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ثم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فكان يجري في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجلب عن وصفه فنهاهم الخليفة عبد الملك بن مروان عن الكلام بحضرته والمنازعة في مجلسه وتوعدهم على مخالفة ذلك^(٩١).

ويبدو أن الخليفة عبد الملك بن مروان استوعب الدرس المر من حادثة استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) معللاً أحد أهم أسبابها وهو سياسة اللين التي انتهجها، فهو القائل: ((وماخالف عثمان عمر في شيء ألا انه لأن لهم حتى ركب))^(٩٢).

واستكمالاً لتنظيم وترتيب مجلس الخليفة وإضفاء الهيبة عليه، نظم الخليفة الانصراف من مجلسه للحاضرين، فقد طلب منه جلساءه أن يجعل لهم علامة حينما يرغب أن ينصرفوا من المجلس، فقال لهم _ وكان يحمل خيزرانة _ ((إذا القيت الخيزرانة من يدي))^(٩٣)، فإذا انصرف ادهم من مجلس الخليفة مشى القهقري ووجهه نحو مجلسه حتى يتوارى^(٩٤).

وعلى الرغم من أن الخليفة عبد الملك كان يحب الشعب كثيراً، ويعج مجلسه بالشعر والشعراء الذين طالما تباروا في الإنشاد بحضرته ومدحه^(٩٥)، ألا أنه قلما يسمح لهم بالمنازعة والمهاجاة والتخاصم^(٩٦). من أجل الحفاظ على هيبة المجلس وكبح جماح الصراعات القبلية، التي كثيراً ماتظهر في مثل هذه المجالس^(٩٧). ووضع الخليفة سياسة جديدة وتنظيم ممتاز وهو عدم السماع من الداخلين عليه ولاسيما الرسل من أقاليم الدولة المختلفة، إلا بشروط، إذ كان يقول لمن يدخل عليه ((عفني من أربع وقل ماشئت، لاتطرنني، فأني اعلم بنفسني منك، ولاتجبنني فيما لاسألك عنه، ولاتكذبني فان الكذب لا رأي له، ولا تحملني على الرعية، فأنهم إلى رأفتني أحوج))^(٩٨). فهكذا كانت نوعية الناس الداخلين عليه، وتنظيم عمله لدولة مترامية الاطراف حتى صار للحاجب دوراً متميزاً وأهمية كبيرة.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد الإنتهاء من كتابة هذا البحث نشبت أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث وكما يأتي:-

- ١- أنجز الخليفة عبد الملك بن مروان عملية تنظيم وتطوير شاملة لجميع مؤسسات الدولة الإدارية، فحقق الإشراف التام على إدارة الدولة وضبط أعمالها.
- ٢- أدخل الخليفة عبد الملك بن مروان تطورات وإضافات مهمة على ديوان الجند، فنظم التجنيد الإلزامي، وصار العطاء يقتصر فعلاً على الذين يلتحقون بالخدمة العسكرية، وبخاصة أهل الشام الذين كانوا يشكلون غالبية الجند الأموي، كما كثر عدد المقاتلين، ونظم عطاءهم وأرزاقهم، على أساس المقدرة والكفاءة، فأصبح العطاء أداة فعالة ضد أعداءه، وعاملاً مهماً في القضاء على الفتن والاضطرابات.
- ٣- نظم الخليفة ديوان الخراج كونه العمود الفقري لواردات بيت المال، فعربه وسيطر على إدارته وزاد عدد موظفيه وعماله، وبرز عدد من الكتاب العرب المسلمين، وصار متولي هذا الديوان من أصحاب المال والجاه والثروة.
- ٤- اتخذ ديوان الرسائل شكله المميز وتكامل على يد الخليفة عبد الملك بن مروان، فكان يدقق باختيار موظفيه لهذا الديوان، فصاروا ممن يجمعون بين الخبرة الإدارية وفن كتابة الرسائل وإجادة أسلوب المخاطبة لأنهم في الحقيقة ينطقون باسم الخليفة، فتوسع هذا الديوان ونظم وتعددت أصناف كتابه، وكثر عدد العاملين به، واختارهم الخليفة من المقربين له، حتى صار متولي هذا الديوان لا يقل أهمية ودوراً عن الوزير في العصر العباسي.
- ٥- تطوّر ديوان الخاتم ونُظم وتوسع، فلم يعد يقتصر على العاصمة فحسب بل امتد ليشمل باقي ولايات الدولة الإسلامية، وكان الخليفة لا يوليه إلا لأوثق الناس عنده من القبائل العربية أو من مواليه أو من موالي القبائل، ويلاحظ أن بعضهم قد تولى فضلاً عن ديوان الخاتم ديوان الرسائل والكتابة بمكانتهم الكبيرة لدى الخليفة مثل قبيصة بن ذؤيب.

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

- (١) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر - دار بيروت، (بيروت ١٩٥٧م)، ٣، ص ٢٩٦، البلاذري، محمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، باعتناء محمد رضوان، المطبعة المصرية بالأزهر، (مصر ١٩٣٢م)، ص ٤٣٦-٤٤٣، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعاتها (النجف ١٩٦٤م)، ج ٢، ص ١٤٣، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، (القاهرة ١٩٣٩م) ج ٣، ص ٢٠٢.
- (٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - دار بيروت، (بيروت ١٩٥٦م)، مادة دون؛ الكتاني، الشيخ عبد الحي، التراتيب الإدارية، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - بلا. ت)، ج ١، ص ٢٥٥.
- (٣) دائرة المعارف الإسلامية، مادة ديوان، م ٩، ص ٣٧٨.
- (*) العرفاء: وهم الأشخاص المسؤولون عن تقسيم العطاء وجمع الجند عند النفير، وجلب البراءات بموافاة المقاتلين إلى مراكز البعوث التي ينتمون إليها وعن الأمن في عرفاتهم، وكانوا حلقة الوصل بين الناس والحكومة، ويكون تعيينهم من حق الأمير وحده. طه، د. عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط ١، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٥م، ص ١٢٦-١٢٧.
- (*) المناكب: وهي وظيفة أعلى وأشمل من وظيفة العرافة، وهم مسؤولون مع العرفاء عن توزيع مايقسمه الخليفة على الأمصار. طه، ص ١٢٧.
- (٤) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تهذيب تاريخ ابن عساكر، طبعة عبد القادر بدران، (دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٣٢٩-١٣٣٢ م)، ج ٧، ص ١٤٩.

- ٦- اعتنى الخليفة بالبريد كثيراً، كونه وسيلة مهمة من وسائل ضبط الإدارة وانتظام أعمالها فطوره ونظمه وأرسى قواعده، فقد نظم شبكة واسعة من طرق المواصلات تربط العاصمة بأقاليم الدولة، وهو أول من عمل صنعة الأميال، كما وسع استخدام البريد في مجالات مختلفة، إذ صار يخدم عامة الناس فضلاً عن الدولة، وابتكر الخليفة وسائل جديدة للاتصال السريع ولاسيما من الجانب العسكري وهي مايعرف بـ(المنابر)، كما أمر الخليفة بعدم حجب صاحب البريد بالدخول إليه في أي وقت جاء من ليل أو نهار لخطورة عمله.
- ٧- ربما يكون الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي انشأ ديوان الطراز، لأنه اعتنى به وعزّيه، ووضع شارة الخلافة عليه، وأنشأ عدداً من الدور الجديدة، ونظم صناعة الطراز، مؤسسة إدارية صناعية مهمة.
- ٨- نظم وطوّر الخليفة نظام الحجابة وأضاف إليها الكثير، فاستقرت بشكل واضح، إذ رتب الداخلين عليه وأوقات دخولهم مستثنياً بعض الأصناف المهمة لخطورة عملهم، وحدد طبيعة عمل الحاجب، فازدادت أهميته، وأصبح للحاجب دور سياسي في أحدث عصره، حتى صار الحاجب عين الخليفة ولسانه وعقله ويده، لذلك صار الخليفة لا يختار الحاجب إلا من أقرب وأوثق الناس عنده، وإمتد تنظيم الحجابة إلى ولايات الدولة المختلفة، كما نظم الخليفة شؤون مجلسه فسيطر على مايدور فيه وصار ذا هيبة واحترام شديدين كما نظم إنصراف الناس من مجلسه.
- ٩- لكل ذلك فقد تم إيجاد نظام إداري موحد وشامل، فازدادت الأمور استقراراً، والأعمال تسلسلاً، والعمال رغبة ورهبة والرعاية آمنة ودعة، فأصبحت هذه المؤسسات أداة فعالة لإدارة دولة مترامية الأطراف، وللدلالة على حسن هذا النظام ودقته أن إتخذة العباسيون واعتمدوا عليه فقد كانت الإدارة عندهم تطوراً للإدارة في العصر الأموي.

- (٥) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٤٢.
- (٦) م. ن، ج ٥، ص ٤٦.
- (٧) ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تح، أكرم ضياء العمري، (النجد - ١٩٦٤م)، ج ١، ص ٢٦٢.
- (٨) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، سراج الملوك، مطبعة بولاق (القاهرة - ١٢٨٩هـ)، ص ١١٨.
- (*) الجراجمة: نسبة إلى مدينة الجرجومة على جبل اللكام قرب انطاكية، وتطلق عليهم المراجع الحديث المردة، وكانوا عملاء للروم، وكانوا يستقيمون للولاة مرة ويعوجون مرة أخرى. البلاذري، فتوح، ص ١٦٣-١٦٧؛ علي محمد كرد، خطط الشام، المطبعة الحديثة، (دمشق ١٩٢٥ م)، ج ١، ص ١٤٩-١٥٢.
- (٩) ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت (١٩٦٥-١٩٦٦م)، ج ٤، ص ٣٥٤.
- (١٠) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ١٩٤٠-١٩٥٢م)، ج ٤، ص ٤١٧.
- (١١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة، (مصر ١٩٤٨م)، ج ٣، ص ١٢٦.
- (١٢) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١٤٠-١٤١.
- (١٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، (منسوب إليه) تح، د. محمد الزيني، طبعة دار المعرفة، (بيروت ١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٤٨-٤٩، ص ٥٦.

- (١٤) حسيني، مولوي، الإدارة العربية، ترجمة، إبراهيم أحمد العدوي، مكتبة الآداب، (القاهرة - ١٩٥٨)، ص ٢٤٩.
- (١٥) جلوب، جون باجوت، إمبراطورية العرب، ترجمة وتعليق، خيرى العمري، ط ١، دار الكتاب العربي، (بيروت ١٩٦٦م) ص ٢٢٠.
- (١٦) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية في التاريخ، ط ١، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر (الرياض - ١٩٦٦م)، ج ٨، ص ٢٤٥.
- (١٧) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، طبعة، اهلوت، ص ٢٧٣.
- (١٨) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والأشراف، تح، عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة - ١٩٣٨م)، ص ٢٧٣؛ الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تح، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة - ١٩٣٨م)، ص ٤٠.
- (١٩) الجهشياري، الوزراء، ص ٤٠، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، تح، الدكتور أسعد طلس، مكتبة الزوراء، (بغداد - ١٩٥٠م)، ص ١٠١.
- (٢٠) السيوطي، الوسائل، ص ١٠١.
- (*) تم بحث موضوع التعريب ببحث واف بعنوان ((حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان)) في مجلة سر من رأى، م ٣، ع ٨، السنة الثالثة، كانون الأول، ٢٠٠٧، ص ٦٣-٩٩.

- (٢١) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢؛ المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٣؛
الجهشياري، الوزراء، ص ٤٠.
- (٢٢) المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٣؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٤٠.
- (*) زادن فروخ: وهو الذي تولى ديوان الخراج في العراق على عهد زياد بن أبي
سفيان وابنه عبيد الله بن زياد، وطرد من منصبه زمن مصعب بن الزبير، ثم
عينه الحجاج ثانية على الخراج، وبقي في منصبه هذا حتى قُتل سنة (٨٢هـ)
في فتنة ابن الأشعث. البلاذري، فتوح، ص ٢٩٨، الجهشياري، الوزراء، ص
٣٨، ٢٦.
- (*) صالح بن عبد الرحمن: كان أبوه من سبي سجستان، مولى بني تميم. وهو أول
من عرب دواوين العراق، كان يجيد اللغة العربية والفارسية، ولاه الحجاج الديوان
بعد زادن فروخ، وإستمر في عمله هذا حتى قُتل في ولاية ابن هبيرة على
العراق سنة (١٠٣ هـ). البلاذري، فتوح، ص ٢٩٨، الجهشياري، الوزراء، ص
٣٨.
- (٢٣) البلاذري، فتوح، ص ٢٩٨، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق، الفهرست،
تح، رضا تجدد، مطبعة دانشگاه، (طهران ١٩٧١م)، ص ٣٠٣؛ الماوردي، أبو
الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى
البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة - ١٩٦٠م)، ص ٢٠٣.
- (٢٤) تروتون، أ. س، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، مطبعة الإعتدال،
(مصر ١٩٤٩م) ص ٢١.
- (٢٥) م. ن، ص ٢١.
- (٢٦) م. ن، ص ٢١ - ٢٢.
- (٢٧) الجهشياري، الوزراء، ص ١٢.

- (٢٨) م. ن، ص ١٦، ٢١.
- (٢٩) م. ن، ص ٣٥.
- (٣٠) ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط ٣،
(القاهرة ١٩٧٣م)، ص ٣٥ - ٣٦.
- (٣١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار إحياء التراث العربي،
(بيروت - بلا. ت)، ص ٢٤٦.
- (٣٢) طلس، محمد أسعد، تاريخ الأمة العربية ((عصر الاتساق))، ط ١، دار
الأندلس، (بيروت - ١٩٥٨م)، ص ٦٦.
- (٣٣) ينظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، ط ١، مطبعة مصطفى
البابي الحلبي وأولاده، (مصر - ١٩٣٧م)، ج ٢، ص ١٤٣ - فما بعد.
- (٣٤) الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٧٣؛ ج ٥، ص ٦، الاصبهاني، أبو الفرج علي
بن الحسين، الأغاني، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة -
١٩٧٠-١٩٧٣م)، ج ١٩، ص ١٢٣، ١٢٤.
- (*) التواقيع: جمع توقيع، وهو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمد الكاتب من
أمر الولاة والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالملكة والتحدث في المظالم وهو
أمر جليل ومنصب خطير. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح
الأعشى في صناعة الأنشاء، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، مطابع كوستا
توماس وشركاؤه، (القاهرة - ١٩٦٣م)، ج ١، ص ١١٤-١١٥.
- (٣٥) البلاذري، أنساب، ج ٥، ص ٣٥٦، الجهشياري، الوزراء، ص ٣٤، ابن عبد
ربه، العقد الفريد، ج ٤، ١٦٨.

- (٣٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ط ١، تح، مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠٠٤)، ج ٤، ص ٤٧٢.
- (٣٧) ابن خياط، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢، الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٢٥؛ الجهشيارى، الوزراء، ص ٣٥.
- (٣٨) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح، حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة - ١٩٤٧م)، ج ٢، ص ٧٧؛ التاج في أخلاق الملوك، تح، أحمد زكي باشا، ط ١، المطبعة الأميرية، (القاهرة - ١٩١٤م)، ص ٦٠؛ الجهشيارى، الوزراء، ص ٣٥.
- (٣٩) الجهشيارى، الوزراء، ص ٣٧؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، نشر بطرس غرياز نيوبيج، (موسكو - ١٩٦٧م)، ص ٢٩٩.
- (٤٠) الجهشيارى، الوزراء، ص ٣٨.
- (٤١) البيهقي، إبراهيم محمد، المحاسن والمساوىء، دار صادر، دار بيروت، (١٩٦٠)، ص ٤١٨.
- (٤٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٤؛ ابن الأزرقي، أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك، تح، د. سامي علي النشار، منشورات وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة (بغداد - ١٩٧٧م)، ج ٢، ص ٢٣١.
- (٤٣) البلاذري، فتوح، ص ٤٤٨؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكاتب، باعتناء محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، (مصر - ١٣٤١هـ)، ص ١٣٩؛ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الأوائل، تح، محمد السيد الوكيل، (المدينة المنورة - ١٩٦٦م)، ص ٨٠.

- (٤٤) الجهشيارى، الوزراء، ص ٢٤؛ العسكري، الأوائل، ص ٨٠، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، لطائف المعارف، تح، إبراهيم الابياري، وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة - ١٩٦٠م)، ص ١٦.
- (٤٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٦.
- (٤٦) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، دار بيروت، (بيروت - ١٩٦٦م)، ص ١٠٧.
- (٤٧) حسيني، الإدارة العربية، ص ١٦٩.
- (٤٨) ابن سعد، الطبقات، م ٥، ص ٢٣٤؛ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، باعتناء د. ايلزه ليحتن شتيتير، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، (حيدر آباد - الدكن - ١٩٤٢م)، ص ٣٧٩؛ المسعودي، التنبيه، ص ٢٧٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٨٩؛ الجهشيارى، الوزراء، ص ٣٤.
- (٤٩) الجهشيارى، الوزراء، ص ٣٨.
- (٥٠) م. ن.، ص ٣٨.
- (٥١) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد، مختصر التاريخ، تح، د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد - ١٩٧٠م)، ص ٩٠، الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٥٤؛ مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح، عبد الستار أحمد فراج، (الكويت - ١٩٦٤م)، ج ١، ص ١٢٨.
- (٥٢) العسكري، الأوائل، ص ١٩١، الثعالبي، لطائف، ص ١٦، السيوطي، الوسائل، ص ٩٨.
- (٥٣) البيهقي، المحاسن والمساوىء، ص ١٤٣-١٤٤.
- (٥٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤١.

- (٥٥) ابن سعد، الطبقات، م ٥، ص ١٧٦، العسكري، الأوائل، ص ١٩١، القلقشندي، صبح، ج ١، ص ٤١٤.
- (٥٦) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤١؛ البيهقي، المحاسن والمساوي، ص ١٤٣ - ١٤٤؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ص ١٣٩.
- (٥٧) كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. بلا. ط (موسكو - ١٩٥٧م)، ق ١، ص ٦١.
- وبناء الأميال: هو مسح الأراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل بوضع حجر كبير. كاشف، سيد إسماعيل، مصر في فجر الإسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة - ١٩٤٧م)، ص ٢٦.
- (٥٨) كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٦، كراتشكوفسكي، تاريخ، ق ١، ص ٦١.
- (*) تفليس: قصبة كرجستان وهي في أعالي نهر الكر، ويقسمها هذا النهر نصفين. لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، بشير فرسنيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مط. الرابطة، (بغداد - ١٩٥٢م)، ص ٢١٦.
- (٥٩) كراتشكوفسكي، تاريخ، ق ١، ص ٦١.
- (٦٠) ديمومبين، موريس، النظم الإسلامية، ترجمة، صالح الشماع، وفيصل السامر، مطبعة الزهراء، (بغداد - ١٩٥٢م)، ص ١٥٦؛ العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، دار المعارف، (مصر - ١٩٥١م)، ص ٥٢.
- (٦١) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١١٤، ١٤٩؛ وينظر البلاذري، أنساب، ٣٣٨ - ٣٣٩، (أهلوت).
- (٦٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٤٦٤.
- (٦٣) الهرثمي، أبو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تح، عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة - ١٩٦٤م)، ص ٣٨.

- (*) سنتهم: طريقتهم. الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ٢١٣٨ (مادة سنن).
- (٦٤) العسكري، الأوائل، ص ١٩١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٣٦٨.
- (٦٥) تاريخ، ج ٥، ص ١٤٩.
- (٦٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٦٠؛ الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ١٣٦، ١٨٧؛ الجهشباري، الوزراء، ص ٤١.
- (٦٧) ياقوت، معجم البلدان، م ٥، ص ٣٥٠.
- (٦٨) الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، دار مطابع الشعب، (القاهرة - ١٩٦٠م)، ص ٥٨١ - ٥٨٢؛ ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تح، طاهر أحمد الزاوي، ومحمود أحمد الطناحي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة - ١٩٦٣م)، ج ٣، ص ١١٩.
- (٦٩) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٧.
- (٧٠) كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٨٧.
- (٧١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٦٧.
- (٧٢) كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ٢٨٨.
- (٧٣) الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، دار الطباعة، (القاهرة - بلا. ت)، ج ١، ص ٧١.
- (٧٤) م. ن. ج ١، ص ٧١.
- (٧٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة حجب.
- (٧٦) الأزهرري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (القاهرة - ١٩٦٤ - ١٩٦٧م)، ج ٤، ص ١٦١؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٠.
- (٧٧) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٨؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج ١، ص ٢٦٩.
- (٧٨) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٨؛ ابن الأزرقي، بدائع السلك، ج ١، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

- (٧٩) خليفة، تاريخ، ج ١، ص ٢١٨؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٢٥٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٩؛ القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي، تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة، تح، إبراهيم يوسف مصطفى، ط ١، مكتبة المنار، (الأردن - ١٩٨٥م)، ص ٢٥٣.
- (٨٠) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، (ج ١ - ج ١٨)، طبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة - ١٩٢٦ - ١٩٥٥)، ج ٤، ص ١٩.
- (٨١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة - ١٩٦٧م)، ج ١٧، ص ٩٢.
- (٨٢) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، (مصر - ١٩٣١ - ١٩٤٧م)، ج ١، ص ٢١٨ - ٢١٩.
- (٨٣) العسكري، الأوائل، ص ١٩١؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٣٨.
- (٨٤) ابن سعد، الطبقات، م ٥، ص ٢٣٤؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٩؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٧٣؛ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٥٩٨؛ الجعفي، الوزراء، ص ٣٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٩٩.
- (٨٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٠.
- (٨٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ص ١٣٠.
- (٨٧) المسعودي، مروج، ج ٣، ص ١١٠.
- (٨٨) خليفة، تاريخ، ج ١، ص ٣٠٢؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٢٥٩؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٧٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٩٩.
- (٨٩) البلاذري، أنساب، ص ١٧٥، (أهلوت)، النويري، نهاية الإرب، ج ٦، ص ٩٠، ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٢٦.

- (٩٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٤٤؛ ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر، أعتاب الكتاب، تح، الدكتور صالح الأشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (دمشق - ١٩٦١م)، ص ١٢٨.
- (٩١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح، حسن السندوبي، مطبعة الإستقامة، (القاهرة - ١٩٤٧م)، ج ٢، ص ٢٤٨؛ العسكري، الأوائل، ص ٢٠٣.
- (٩٢) ابن سعد، الطبقات، م ٣، ص ٢٣٣؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، تح، الدكتور أسعد طلس، مكتبة الزوراء، (بغداد - ١٩٥٠م)، ص ١٠١، ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٢٢، القلقشندي، مآثر، ج ٣، ص ٣٤٤.
- (٩٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٨؛ التاج في أخلاق الملوك، ص ١١٩.
- (٩٤) أبو النصر، عمر، الحضارة الأموية العربية في دمشق، (بيروت - ١٩٤٨م)، ص ٣١٥.
- (٩٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٩٣-٣٩٥؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص ١١٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ج ٨، ص ٢٧، ٢٣، ١٧٠-١٧١، ٢٩٤.
- (٩٦) الأصبهاني، الأغاني، ج ٨، ص ٧٢-٧٣، ج ١٢، ص ١٩٩-٢٠٢.
- (٩٧) م. ن. ج ١٢، ص ٢٠٣، ج ١٩، ص ١٤٩؛ ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تح، ليفي بروفنسال، دار المعارف، (مصر - ١٩٤٨م)، ص ٢٤٥ - ٢٤٦؛ للتفصيل ينظر: دكسن، الخلافة الأموية، ص ١٣٩ - ١٧٨.
- (٩٨) البلاذري، أنساب، ص ١٦٩، (أهلوت)؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، ص ٦٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٩.

Abstract

((معاهدة اونكيار اسكده سي ١٨٣٣-١٨٤٠))

د. ميثاق بيات عبدالضيبي

جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

تعد الحقبة التاريخية بين سنتي ١٨٣٣-١٨٤٠ هي الحقبة الكاملة لمعاهدة اونكيار اسكده سي، وفي بحثنا هذا عملنا على التركيز على هذه الفترة الزمنية فقط، ونطرقنا الى أوضاع كلاً من روسيا والدولة العثمانية عشية توقيع المعاهدة، ثم الكيفية التي جرت بها الأحداث قبيل وإثناء توقيع المعاهدة. كما ركزنا على المواقف الدولية من المعاهدة وبالأخص مواقف بريطانيا وفرنسا والنمسا، ثم انتقلنا الى الظروف المرافقة لإلغاء المعاهدة ونتائج الإلغاء على روسيا المستفيدة منها، وأخيراً خرجنا بمجموعة استنتاجات عن هذه المعاهدة.

١- أوضاع البلدين التي أدت الى عقد المعاهدة:

واجهت الدولة العثمانية في عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر تمرد خطير من قبل احد ولايتها وهو الوالي محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٠) في مصر^(١)، وكان هذا الوالي قد أقام نهضة كبيرة في مصر جعلها تتقدم بخطوات كبيرة على الدولة الأم (الدولة العثمانية)، وعندما لمس الضعف الكبير الذي تمر فيه الدولة العثمانية وتحكم الدول الأوروبية في شؤونها عمل على استغلال الوضع لصالحه، فبدأ بالتوسع في أملاكها ولاسيما في بلاد الشام والجزيرة العربية ثم تحول الى مهاجمة العاصمة اسطنبول^(٢).

وكانت الظروف الدولية مؤاتية لرغبات محمد علي باشا، فبريطانيا كانت منشغلة بالإصلاح الداخلي (لائحة الإصلاح البرلماني الأولى ١٨٣٢) لاستبعاد خطر الثورات^(٣)، وفرنسا منشغلة بثورة ١٨٣٠ والتي أوصلت لويس فيليب (١٨٣٠-١٨٤٨)

This study rounds the efforts of (al-khlifet) the successor Abdu-Almelik Ben Marwan (65-86H) (684-705 A.C) in organized and developed the management institutions of the Arab state , and what he added new things to them.

This search divides into two theses, first one talks about the efforts of (al-khlifet) the Abdu-Almelik Ben Marwan in developed the divans (ministries) of the state.

The second one deals with his efforts in developed the institutions of (alhijaba).

This study proved: Al-khlifet succeeded in established organized and developed to all state's divans. There are many divans becomes more developed such as (al- jund) army , (al-kharage) taxes, (al-resael wa al- kitaba) correspondence, (al-khatem wa al-bareed) post, (alteraz) and (alhijaba). That led to stability. Those institutions becomes active in manages affairs of the state, it had achieved complete management system had taken by the Abasee state which came later and makes it a base to manage their state.

اثر ذلك اتجه الجنرال الروسي الى الإسكندرية والتقى فيها محمد علي باشا واعلمه بأن روسيا ستجابهه عسكرياً إن لم يوقف جيشه المتجه الى اسطنبول^(١٢)، وقد يكون لهذا الموقف اثر كبير في إيقاف القوات المصرية في مدينة كوتاهية^(١٣).

وعقب هزيمة الجيش العثماني أمام قوات محمد علي باشا في معركة (قونية) في ٢١ كانون الأول ١٨٣٢م^(١٤)، اتصل السلطان العثماني بالحكومة البريطانية وطلب منها أن تتحالف معه على إخضاع محمد علي باشا والحد من قوته لكنها رفضت وأجابت بدبلوماسية بأنها ستتدخل مهددة محمد علي باشا وإنها لن تسكت عن أي عبث يهدد كيان الدولة العثمانية^(١٥).

ونتيجة لتلك الموقف البريطاني إزاء أزمة الدولة العثمانية بمواجهة خطر محمد علي باشا، قام السفير الروسي في اسطنبول بتوظيف ذلك لتحقيق مصالح بلاده فعرض مجدداً تقديم مساعدة عسكرية للدولة العثمانية^(١٦)، ولما كان السلطان محمود الثاني يمر بمأزق حقيقي فقد وافق على قبول المساعدة الروسية مباشرة^(١٧).

ومن الجدير بالذكر إن الدولة العثمانية كانت تواجه موقفاً صعباً، فضلاً عن تهديد محمد علي باشا، إذ إن وضع السلطان محمود الثاني كان قلقاً في العاصمة ذلك إن السكان كانوا يتعاطفون مع محمد علي باشا، كما إن لجوء السلطان الى دول أجنبية طلباً للمساعدة ضد المسلمين جعل الكثير من علماء الدين بل وبعض الوزراء أيضاً يختلفون معه ولا يقرون مساعيه^(١٨)، لكن السلطان رغم ذلك لم يكن له خيار في هذه القضية وقد عبر عن ذلك بنفسه حين قال مشيراً الى المساعدة العسكرية التي طلبها من روسيا: ((عندما يأخذ الإنسان بالغرق ثم يجد إمامه ثعبان فإنه يتشبث بها أملاً في النجاة من الغرق))^(١٩).

وفي العشرين من شهر شباط ١٨٣٣ وصل الأسطول الروسي الأول الى مضيق البوسفور، وبعدها بأسبوعين تم إنزال ما يقرب من خمسة آلاف جندي روسي

للحكم فيها^(٢٠)، وكان يشغلها أيضاً الوضع المضطرب في الجزائر بعد احتلالها لها في عام ١٨٣٠^(٢١)، والنمسا كانت منشغلة باضطرابات داخلية، إما الدولة العثمانية فكان جيشها الجديد مازال فتياً اثر قضاء السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) على الانكشارية^(٢٢)، كما أنها كانت خارجة من حرب هزمت فيها أمام روسيا في (١٨٢٨-١٨٢٩)^(٢٣).

إما روسيا فكانت لا تود إن يصل نفوذ محمد علي باشا الى العاصمة العثمانية اسطنبول ويحل محل السلطان (الضعيف) ويجدد قوة الدولة فيحول بينها وبين تحقيق سياستها التقليدية في الاستيلاء على اسطنبول والمضائق^(٢٤)، إذ عدت روسيا احتمال استيلاء محمد علي باشا على العرش العثماني غير ملائم لها لأنه سيؤدي الى انتشار النفوذ الفرنسي من مصر تلقائياً الى اسطنبول، ومن الناحية الأخرى زادت ثورة عام ١٨٣٠ في فرنسا وما أعقبها من ثورات في أوروبا من اقتناع القيصر الروسي نيقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥)^(٢٥)، بضرورة المحافظة على سلطة الحكام الشرعيين ومناهضة الحركات الثورية التي تهدد عروشهم^(٢٦). ولهذا كله قررت روسيا مساندة الدولة العثمانية ضد محمد علي باشا.

٢- عقد المعاهدة:

ما أن زادت انتصارات قوات محمد علي باشا حتى زادت وفي ذات الوقت خشية روسيا من سيطرته على الدولة العثمانية لاسيما إن الروس كانوا يتبنون فكرة أن الدولة العثمانية آيلة للسقوط^(٢٧)، ولهذا قامت في شهر كانون الأول ١٨٣٢ بإرسال الجنرال (مورافيواف) الى العاصمة العثمانية حاملاً اقتراحاً من حكومة بلاده بأنها على استعداد لتقديم المساعدة للسلطان العثماني ضد محمد علي باشا، وفي ذات الزيارة عرض الجنرال الروسي على السلطان العثماني تقديم المساعدة العسكرية^(٢٨).

المساعدة لروسيا كما نصت المواد العلنية من المعاهدة والزمته بذات الوقت بإغلاق مضيق الدردنيل أمام السفن الحربية الأوربية عندما تود روسيا ذلك^(٢٩). وعنى هذا في حالة تعرض الممتلكات الروسية في البحر الأسود للتهديد من قبل الأساطيل الأوربية المعادية فتقوم الدولة العثمانية بغلق مضيق الدردنيل، وكانت مدة المعاهدة ثمانية سنوات، وقد غادرت القوات الروسية الشواطئ العثمانية بعد يومين من توقيع المعاهدة^(٣٠).

وعدت المعاهدة نصراً كبيراً لروسيا لأنها حققت حلمها بالوصول الى المياه الدافئة^(٣١)، ورسخت نفوذها في الشرق الأدنى^(٣٢)، وعداها القيصر الروسي نصراً دبلوماسياً كبيراً لبلاده^(٣٣). إما السلطان العثماني فقد عدها حامية له من أي تمرد قد يقوم به محمد علي باشا، وبأن روسيا بموجبها ستسانده بمهاجمة قوات محمد علي واستعادة سوريا منه^(٣٤).

ويتضح جلياً من ظروف عقد المعاهدة إن الوضع الذي تمت فيه ليس كما يصور البعض من إن روسيا وظفت وجودها العسكري في أراضي الدولة العثمانية لتضغط على الباب العالي^(٣٥) فارضة توقيع المعاهدة، بل إن فكرة عقدها جاءت بمبادرة عثمانية تثميناً منها للدور الروسي في إيقاف تقدم قوات محمد علي باشا، ولاستثمار هذا الدور في ما يقدم من سنوات لاحقة.

٣- أهم المواقف الدولية من عقد المعاهدة:

أ- الموقف البريطاني:

تهدف السياسة البريطانية الى بقاء الدولة العثمانية ضعيفة، وإبعاد النفوذ الروسي عنها، وإن لا تقوم دولة قوية على طريقها الى الهند، كما تخشى تسلل النفوذ الروسي الى الدولة العثمانية وسيطرتها على مضيق البوسفور والدردنيل^(٣٥)

على الشاطئ الآسيوي لمضيق البوسفور في وادي اونكيار اسكله سي^(٣٠)، وفي الثالث والعشرين من شهر نيسان ١٨٣٣ وصل حوالي أربعة آلاف وخمسمائة جندي روسي الى الوادي نفسه^(٣١)، ثم توالى وصولها الى إن بلغ في نهاية شهر أيار ١٨٣٣ الى ثلاثين ألف جندي روسي^(٣٢).

استقبلت الدول الأوربية وجود الأسطول الحربي الروسي والقوات الروسية في منطقة البوسفور بانزعاج بالغ، إذ خشيت كلا من بريطانيا وفرنسا من زيادة النفوذ الروسي في الدولة العثمانية فتدخلتا لتسوية الأمور بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا^(٣٣)، ومارستا ضغوطاً كبيرة على الطرفين والتي أسفرت عن إبرام اتفاق كوتاهيه في الخامس من شهر أيار ١٨٣٣^(٣٤)، والتي أكد على انسحاب قوات محمد علي باشا من الأناضول وإعطائه ولاية مصر مدى حياته ومنحه حق تعيين الولاة على عكا وطرابلس وحلب ودمشق، وإعطائه جزيرة كريت، وتعيين ولده إبراهيم باشا^(٣٥) والياً على أدرنه^(٣٥).

واثر ابتعاد خطر محمد علي باشا عن العاصمة العثمانية اسطنبول، شعر السلطان محمود الثاني بالامتنان الشديد للموقف الروسي الذي كان له - وحسب ما اعتقد - دوراً حاسماً في وقف تقدم قوات محمد علي باشا نحو اسطنبول^(٣٦)، وتقريباً لما قدمته روسيا وقع معها معاهدة دفاعية - هجومية وذلك في الثامن من شهر تموز ١٨٣٣ حملت اسم (اونكيار اسكله سي) نسبة الى اسم الوادي الذي وقعت فيه^(٣٧).

وقد أمنت هذه المعاهدة لروسيا أفضليات واضحة إذ ألزمت الدولتان بموجبها بالتشاور مع بعضهما في جميع الأمور التي تتعلق بأمنهما وسلامتهما وتقديم كل منهما المساعدة للأخرى في حالة التعرض لأي هجوم من قبل جهة ثالثة^(٣٨)، كما تعهدت روسيا بأن تبدي للسلطان العثماني، حسب طلبه، المساعدة العسكرية التي يريدها، وألحقت بالمعاهدة مادة سرية أعفت بموجبها الدولة العثمانية من إبداء

ج- الموقف النمساوي:

كانت النمسا تخشى من زيادة النفوذ الروسي في الدولة العثمانية على حساب نفوذها هي، إلا إن القيصر الروسي طمأنها من إن بلاده لن تتخذ أي خطوة دون مشاركتها فيها^(٤٣)، وأكد بأنه ليس لديه أي نية للتوسع في أراضي الدولة العثمانية وعلى حساب المصالح النمساوية^(٤٤)، كل هذا ادخل الساسة النمساويين بالتناقض ما بين من أيد المعاهدة ومن عارضها^(٤٥).

٤- إلغاء المعاهدة:

اتخذ الصراع الدبلوماسي للدول الأوروبية بعد عقد المعاهدة طابعاً خاصاً وحاداً وعلى مدى السنوات الثمانية التي هي مدة المعاهدة (١٨٣٣-١٨٤١) فبذلت هذه الدول جهود كبيرة لتجعل من المعاهدة فارغة ولا تتعدى إن تكون مجرد حبراً على الورق^(٤٦)، لهذا أخذت تسعى للحصول على موافقة الحكومة العثمانية لعقد معاهدة مماثلة مع جميع الدول الكبرى، ولو تم عقد هكذا معاهدة لفقدت روسيا حرية الحركة في حالة تجدد الصدامات العسكرية بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا^(٤٧).

وفي ذات الاتجاه عملت الدول الكبرى على إبقاء الوضع بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا على ما هو عليه، إذ إن أي تحرك من احد الخصمين كان سيؤدي حتماً الى اندلاع الحرب ويوفر لروسيا الفرصة المناسبة للتحرك في أراضي الدولة العثمانية وهذا ما كانت ترفضه الدول الكبرى^(٤٨).

ولقد أرادت روسيا إن تعمق الخلافات بين بريطانيا وفرنسا وتوظيف ذلك لعقد اتفاقية مع بريطانيا، لاسيما بعد إن وصلت الحكومة الروسية الى قناعة مفادها أنها لن تستطيع تحقيق أهدافها في الدولة العثمانية دون مساندة بريطانيا وكانت مستعدة في سبيل ذلك حتى إن تتخلى عن معاهدة اونكيار اسكله سي^(٤٩)، وفي تقرير لوزارة الخارجية الروسية قدم للقيصر في شهر نيسان ١٨٣٩م، اقترحت الوزارة بالتخلي طوعاً

لهذا أثارت الافضليات التي وفرتها المعاهدة لروسيا قلقاً كبيراً لدى وزير الخارجية البريطاني ((المرستون))، فانبرى بتركيز جل نشاطه لأبطالها متخذاً سبيلين لذلك فسعى في الأول لإعاقة المصادقة عليها وشارك فرنسا في الاحتجاج عليها لدى الحكومتين الروسية والعثمانية لكن ذلك لم يثمر عن شيء، والسبيل الثاني كان العمل على توسيع المعاهدة عبر إشراك الدول الكبرى كلها فيها^(٣٦)، ومعنى ذلك هو إبطالها فعلياً بإفقاد روسيا الافضليات التي وفرتها لها المعاهدة.

ب- الموقف الفرنسي:

هدفت السياسة الفرنسية الى تغلغل نفوذها في الدولة العثمانية، وعلى الرغم من تأييدها لمحمد علي باشا إلا أنها في ذات الوقت رغبت في المحافظة على وجود الدولة العثمانية والوقوف بوجه الإطماع الروسية فيها^(٣٧)، إذ فسرت المعاهدة في العاصمة الفرنسية باريس على أنها إضفاء الحماية الروسية على الدولة العثمانية^(٣٨)، لذا كان على الحكومة الفرنسية إن تختار احد ثلاثة خيارات مطروحة إمامها، وهي إما إن تساند القيصر الروسي وتتقاسم معه المكاسب المنتظرة من سقوط الدولة العثمانية، أو إن تدافع عن السلطان العثماني محمود الثاني وتسانده، أو تقف بصراحة الى جنب محمد علي باشا^(٣٩).

وكان الخيار الأول يعني قطع العلاقات مع بريطانيا^(٤٠)، إما الخيار الثاني فعنى الوقوف بجانب بريطانيا لمساندة السلطان محمود الثاني^(٤١)، والخيار الأخير عنى مساندة الشعبية الكبيرة والتي حظى بها محمد علي باشا لدى الرأي العام في فرنسا^(٤٢). وكل هذه الخيارات كان التماسها وتنفيذها صعباً على الحكومة الفرنسية في ظل وجود ملك اتسم بالتحفظ كلويس فيليب.

٥- نتائج إلغاء المعاهدة على روسيا:

لقد فقدت روسيا بتوقيعها معاهدة الثالث عشر من شهر تموز ١٨٤١ والخاصة بحرية المرور في المضائق العثمانية وغلقها أمام السفن الحربية لكافة الدول، فقدت نهائياً الوضع الرابع الذي وفرته لها معاهدة اونكيار اسكله سي وكان هذا نكسة للدبلوماسية الروسية فقد كان البحر الأسود قبلها يعد بحرًا مغلقاً للدولة العثمانية وروسيا المطلتان عليه، وكانت مسألة مرور السفن عبر المضائق تسوى عن طريق اتفاقات ثنائية بين الدولتين^(٥٩)، إما بعد معاهدة ١٨٤١ فقد أعطي للدول الكبرى أساساً قانونياً للتدخل بالمضائق وإقامة العقبات أمام استخدام روسيا لهذا الطريق البحري الوحيد الذي يربط البحر الأسود بالبحار المفتوحة^(٦٠).

إما لماذا قبلت روسيا بهذا الوضع، فيبدو أنها وقعت تحت خطأ استراتيجي كبير في ذلك الوقت، لأنها تصورت إن بريطانيا ستساندها في تحقيق إطماعها باقتسام الدولة العثمانية، وقد وظف وزير الخارجية البريطاني بالمرستون تلك التصورات فنجح بدفع روسيا الى عدم تجديد المعاهدة محققاً مكاسب كبيرة لبلاده^(٦١). لكن الأمر الأوضح الآن إن سياسة روسيا كانت أصوب من السياسة البريطانية فالأفكار الروسية المتعلقة بتقسيم الدولة العثمانية والتي رفضتها بريطانيا آنذاك قد عادت ووافقت عليها وطبقها بعد حوالي ثمانية عقود زمنية اثر اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨.

عن المعاهدة وعدم تجديدها لما قد تسببه من تعقيدات لروسيا في علاقاتها مع الدول الكبرى مما قد يضيف الى عزلتها عن المسرح السياسي الدولي، كما أكدت ضرورة إن يكون لروسيا حلفاء ورشحت بريطانيا بوصفها انسب الأطراف التي يمكن إن تتحالف معها روسيا في تلك الظروف الدولية^(٥٠). ويبدو إن القيصر قد اقتنع كثيراً بما جاء في التقرير وقرر إن يطبق ما جاء فيه^(٥١)، ويتضح ذلك من المواقف الروسية التي اتخذت اتخذت بعد تاريخ عرض التقرير على القيصر، مما يعطي انطباعاً من أن انقلاب حدث في السياسة الروسية. والجدير بالذكر فأن بريطانيا قد استغلت النهج السياسي الروسي الجديد لمنعها من القيام بعمل منفرد على أساس بنود المعاهدة^(٥٢)، وقد حقق توقيع معاهدة لندن في ١٥ تموز عام ١٨٤٠م^(٥٣)، والتي أنهت فعلياً خطر محمد علي باشا وحددته بمصر، لبريطانيا ما سعت إليه بإشراك دول أربعة وهي كلاً منها وروسيا والنمسا وبروسيا في مواجهة محمد علي باشا إن حاول التوسع في أراضي العثمانية مجدداً^(٥٤). وبهذا تم استبعاد إن تقوم روسيا بأي تحرك منفردة مما كان البداية الفعلية لإلغاء معاهدة اونكيار اسكله سي وبموافقة روسية^(٥٥).

واثر انتهاء خطر محمد علي باشا على الدولة العثمانية، كانت العلاقات البريطانية - الفرنسية قد ساءت كثيراً لأسباب متعددة، فحاول القيصر الروسي استغلالها لتدعيم علاقته ببلاده ببريطانيا والتي ظن أنها ستسانده في تنفيذ إطماعه في أراضي الدولة العثمانية^(٥٦)، وليكسب ثققتها ما إن انتهت مدة معاهدة اونكيار اسكله سي في الثامن من شهر تموز عام ١٨٤١م لم يقم بتجديدها^(٥٧)، والأدهى من ذلك لما شارك القيصر بالتوقيع على معاهدة في لندن في الثالث عشر من شهر تموز ١٨٤١ الى جانب بريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية، ونصت على غلق المضائق في وقت السلم أمام السفن الحربية للدول كافة^(٥٨). وبذلك تم إلغاء معاهدة اونكيار اسكله سي نهائياً.

الخاتمة

- ١- أدت معاهدة اونكيار اسكله سي الى زيادة حدة الخلافات بين الدول الأوروبية.
- ٢- أدت الى اهتمام الدول الأوروبية بالدولة العثمانية ومحاولة الفوز بأكبر قدر من المكاسب الاقتصادية والسياسية.
- ٣- كانت المستفيد الأكبر من محصلة الصراع هي بريطانيا والتي حققت مكاسب اقتصادية وسياسية كبيرة.
- ٤- استفادت الدولة العثمانية من معاهدة اونكيار اسكله سي نتيجة للتنافس الكبير الذي حدث بين روسيا وبريطانيا، إذ تبارت الدولتان في الدفاع عنها ضد خطر محمد علي باشا.
- ٥- كان عقد المعاهدة انجازاً دبلوماسياً كبيراً لروسيا، أما إلغائها فكان انتكاسة وخطأ استراتيجياً للسانة الروس.
- ٦- موقف فرنسا كان سلبياً من المعاهدة لتأييدها لمحمد علي باشا الذي أعلى من النفوذ الفرنسي في مصر.
- ٧- أشرت هذه المعاهدة والصراع الدولي الذي حدث لإلغائها مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية كما أشرت النفوذ القوي للدول الأوروبية على صنع واتخاذ القرار السياسي في الدولة العثمانية، وأوضحت من دون ريب إن مصير الدولة العثمانية وبقاءها على الساحة الدولية أصبح رهيناً بمصالح الدول الكبرى.

الهوامش:

- (١) صبحي وحيد، في أصول المسألة المصرية، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٠، ص ٩٨-١٢.
- (٢) جلال يحيى وخالد نعيم، مصر الحديث ١٩١٩-١٩٥٢، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ١١-١٢٧؛ وانظر: جوزيف حجار، أوربا ومصير المشرق العربي- حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة، بيروت ١٩٧٦.
- (3) fred b. artes , reaction and revolution 1814-1848, harper torch books, new York 1963, pp.286-289.
- (4) David Thomas, Europe since napoleon, long mans green and ltd, London 1965, pp.143-144.
- (٥) د. علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية - عوامل النهوض وأسباب السقوط-، دار الفجر للتراث، القاهرة ٢٠٠٤، ص ٤٣٨.
- (*) الانكشارية (ganissaries): هي فرقة لها مركز ممتاز بين فرق الجيش العثماني، كانوا يختارون من الشبان المسلمين الذين ترسلهم سنوياً المناطق الخاضعة لخدمة السلطان، وكانوا ينشئون على الولاء للسلطان ومدرين عسكرياً وقد ظفرت فرق الانكشارية في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسلطة كبيرة لدرجة أنها تنصب السلطان وتخلعه، وقد أصبح لها التجنيد وراثياً منذ القرن السابع عشر وقد قضى السلطان محمود لثاني عليها في اسطنبول ١٨٢٦م، عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص ٣٧٣.

(6) arts, op, cit,p.290.

- (٧) حسين فوزي النجار، السياسة الإستراتيجية في الشرق الأوسط، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣، ص١٥٨.
- (8) gesse d. Clarkson, a history of Russia, from the 19th century, long mans, London 1962, pp.310-312.
- (٩) د. هاشم صالح النكريتي، المسألة الشرقية - المرحلة الاولى ١٧٧٤-١٨٥٦، بيت الحكمة، بغداد ١٩٩٠، ص١٣٢.
- (10) David Thomas, op, cit, p.144.
- (١١) انينل الكسندر روفنا دولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر، ترجمة أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩، ص٣٠.
- (12) m. s. Anderson, the eastern question 1774-1923 ,new York 1974, p.80.
- (13) ibid,p.81.
- (14) David Thomas, op, cit, p.145.
- (١٥) نجار، المصدر السابق، ص١٥٨.
- (16) Anderson, op,cit,p.81.
- (١٧) دولينا، المصدر السابق، ص٣٠.
- (18) arts, op, cit,p.291.
- (١٩) أ.جرانت وهارولد تامبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرون، ترجمة علي أبو درة ولويس اسكندر، ج٢، القاهرة ١٩٦٧، ص٣٧٤.
- (20) Anderson, op,cit,p.82.
- (21) ibid,p.82.

- (٢٢) دولينا، المصدر السابق، ص ص ٣٠-٣٣.
- (23) Anderson, op,cit,p.84.
- (24) arts, op, cit, p.296.
- (**) إبراهيم باشا ١٧٨٩-١٨٤٨: قائد عسكري وحاكم مصر في عام ١٨٤٨، والابن الأكبر لمحمد علي باشا، تقلد عدة مناصب منها حكم الصعيد، ويعد المؤسس الفعلي للجيش المصري ومهندس الانتصارات العسكرية المصرية، هزم المماليك واليونانيين والوهابيين والعثمانيين، تولى حكم مصر في نيسان ١٨٤٨ بسبب عجز أبيه وتوفي في تشرين الثاني ١٨٤٨: ألكيالي، المصدر السابق، ص ص ١٧-١٨.
- (٢٥) علي يوسف البلخي، الموقف الدولي من احتلال محمد علي باشا لبلاد الشام ١٨٣١-١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد ٢٩، نيسان- تموز ١٩٨٥، ص٢٠٣؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجبل، بلا، ص٢٣٥.
- (٢٦) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس بلا، ص ٢٩٠؛ وانظر: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مجل ١ و٢، ترجمة عدنان محمود سلمان، مؤسسة الفيصل للتمويل، اسطنبول ١٩٨٨.
- (27) Anthony wood, Europe 1815-1945, London 1967, p.87.
- (28) schimann , geschichter ruzlands, uriter kasir nikolous 1, 111, pp.277-278.
- (٢٩) لويس دوللو، التاريخ الدبلوماسي، ترجمة د. سموحي فوق العادة، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت ١٩٧٠، ص٢٠٠.
- (٣٠) دولينا، المصدر السابق، ص ٣٤.

- (٣١) بلخي، المصدر السابق، ص ٢٠٣.
(٣٢) التكريتي، المصدر السابق، ص ١٣٦.
(٣٣) دولينا، المصدر السابق، ص ٣٠.

(34) Anthony wood , op, cit, p.89.

(*** الباب العالي: the sublime Porte، الاسم المتعارف عليه لمقر الحكومة العلية في عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول، واشتقت من الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة في السراي الحكومي، وقصد به أولاً البلاط السلطاني في اسطنبول، ثم أصبح يدل ابتداء من عام ١٧١٨م على مقر الصدر الأعظم وسائر الوزارات والدوائر الرسمية العثمانية: ألكيالي، المصدر السابق، ص ٤٥٢.

- (٣٥) بلخي، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
(٣٦) التكريتي، المصدر السابق، ص ١٤١.

(37) Anthony wood ,op, cit,p.97.

(38) Anderson, op,cit,p.86.

(39) harold temperley, England the near east, the crimea, London 1964, p.48.

(40) ibid, p.49.

(41) ibid, p.50.

- (٤٢) دولينا، المصدر السابق، ص ٣٧.
(٤٣) انس إبراهيم العبيدي، أزمة البوسنة ١٩٠٨-١٩٠٩، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ٢٠٠٤، ص ص ٢٧-٤٣.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ص ٤٤-٥٦.

- (٤٥) المصدر نفسه، ص ص ٥٦-٦٧.
(٤٦) دولينا، المصدر السابق، ص ٣٥.

(47) harold temperley, op, cit,p.51.

(48) Anthony wood ,op, cit,pp.99-103.

(49) Anderson, op,cit,p.98.

(50) Kenneth bourne, the foreign policy of Victorian England 1830-1902, oxford 1970, p.231.

(51) Anderson, op,cit,p.99.

- (٥٢) التكريتي، المصدر السابق، ص ١٤٥.
(53) Kenneth bourne, op, cit,p.233.

- (٥٤) فريد بك، المصدر السابق، ص ٢٣٤.
(٥٥) التكريتي، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(56) schimann ,geschichter ruzlands, op,cit,p.294.

(57) ibid,p.296.

- (٥٨) فريد بك، المصدر السابق، ص ٢٥١.
(59) schimann ,geschichter ruzlands, op,cit,p.298.

- (٦٠) التكريتي، المصدر السابق، ص ١٥١.
(61) Anderson, op,cit,pp.132-159.

القرصنة النورماندية على السواحل الأندلسية

(٢٢٩ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٣ - ٨٦١ م)

د. أسامة عبد الحميد حسين السامرائي

كلية التربية - سامراء / قسم التاريخ

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي الهادي
الأمي الأمين الذي بعثه الله رحمة للعالمين. وبعد:
تعرضت بلاد الأندلس الى هجمات عديدة أخذ أهلها على عاتقهم مواجهة هذه
الهجمات، وكانت هذه الهجمات على ضريين، هجمات برية قامت بها الممالك
الأسبانية في الشمال، وهجمات بحرية من قبل النورمان الذين اقبلوا من البلاد
الاسكندنافية يحملون معهم أطماعهم الاقتصادية في النهب والسلب على حساب أهل
الأندلس.

ظهر الأسطول النورماندي في السواحل الأندلسية لأول مرة في عام ٢٢٩ هـ/
٨٤٢ م في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) عندما حلوا بثغر
أشبونة عند مصب نهر تاجة وقد تفاجأ أهل الأندلس بظهور مراكب النورمان عند
سواحلهم، ونظراً لضعف الأسطول الأندلسي الإسلامي آنذاك تمكن النورمان من
السيطرة على مدينة اشبيلية و دخولها وبعد اشتباكات عديدة بين الطرفين و بفضل

المقاومة العنيفة التي أبداها أهل اشبيلية تمكنوا من احراق العديد من المراكب
النورماندية و إخراجهم من هذه المدينة.

وفي عام (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) تعرضت السواحل الأندلسية ثانية لهجمة
نورماندية جديدة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد فوجئ النورمان عند
وصولهم الى السواحل الأندلسية إذ وجدوها محروسة ومحصنة و المراكب الإسلامية
تجوب فيها على العكس من غزوهم الأول الأمر الذي أدى إلى تعرض القوات
النورماندية إلى ضربة قاسية من الأسطول الإسلامي الأندلسي و خروجهم من المياة
الإسلامية.

لم يمض سوى سنتين على غزو النورمان الثاني حتى عادوا من جديد إلى
السواحل الأندلسية الغربية، إذ واجههم الأسطول الإسلامي خير مواجهة الأمر الذي
أدى الى عدم نزولهم الى البر الأندلسي و بالتالي هزيمتهم حيث أوتوا.

تناول هذا البحث فضلاً عن مقدمة البحث وخاتمه، التعريف بالنورمان على
نحو مفصل ثم أثر النورمان على السواحل الأوربية، وبعد هذا كله تطرقنا إلى غزو
النورمان الأول للسواحل الأندلسية و سيطرتهم على اشبيلية ثم اظهار دور المقاومة
الأندلسية في إخراجهم من هذه المدينة. وبعد ذلك تحدثنا عن الغزو الثاني للنورمان ثم
الغزو الثالث للسواحل الأندلسية.

أولاً: من هم النورمان:

تكاد الروايات العربية تجمع على تسمية النورمان بـ((المجوس))^(١) وهي اللفظة التي كانت تطلق على الزرادشتية^(٢) من عبدة النار في ديار العجم، ومنها تجعل من ((الارمانيين))^(٣) تسمية لهم، وهم النورمان أي أهل الشمال، وكان أهل الأندلس يقبلون النون همزة في أوائل أسماء الأعلام فعلى سبيل المثال تسمى ((اربونة)) عندهم ((نربونة))^(٤). أطلق اليعقوبي اسم الروس على النورمان إذ يقول ((دخلها (أي اشبيلية) المجوس الذين يقال لهم الروس سنة ٢٢٩ هـ فسلموا ونهبوا))^(٥). كذلك أطلق على النورمان اسم ((الفكينج)) أي سكان السواحل البحرية الإسكندنافية (سكان الفيوردات أو الخلجان) التي كانوا يستخدمونها للإغارة على المناطق البرية المجاورة لهم^(٦). ثم انقسم سكان المناطق الإسكندنافية هؤلاء إلى ثلاثة أقسام، فأتجه السويديون إلى شرق أوروبا والنرويجيون إلى سواحل إنكلترا الشرقية، إما الدنمركيون فهاجموا هولندا وفرنسا وأخيراً الأندلس^(٧).

أن تسمية النورمان بـ((المجوس)) كانت موضوعية ودقيقة، إذ أن الغالب والمرجح في نعتهم بالمجوس ما كانوا عليه وما اتسموا به من خشونة وفوضىّة وهمجية وكلها صفات لا تتناسب مع الشجاعة والإنسانية المتمثلة بسلوك المقاتلين العرب، ويبدو إن المؤرخين قد أصابوا فيما ذهبوا إليه من نعتهم بـ((المجوس)) وما يعزز نعتهم هذا ما كانوا عليه من تقديسهم للنار وعبادتهم إياها وهذا ما يؤكد صاحب المطرب بقوله ((وهم مجوس وهم اليوم على دين النصرانية، وقد تركوا عبادة النار ودينهم الذي كانوا عليه))^(٨).

ويبدو إن عبادة النورمان للنار لم تكن ألا عبادة وثنية وهي إحدى عباداتهم للطواهر الطبيعية، وليس لها علاقة بالنار المجوس الزرادشتية في بلاد العجم، ويؤيد ما ذهبنا إليه الحميري في معرض كلامه عن النورمان وصنم قادس^(٩) إذ يقول

ثانياً: أثر النورمان على السواحل الأوربية:

النورمان أمة بحرية عريقة تمرست في ركوب البحر ومصارعة الأهوال، إذ كانوا في بداية العصور الوسطى يهيمنون على سيادة البحار الشمالية^(١٠)، التي انطلقوا منها إلى المناطق المجاورة، وكانت هناك عوامل كثيرة كان لها الأثر البارز في تشجيعهم على القرصنة والخروج من مناطقهم، مما يمكن تفسيره على أسس نفسية واقتصادية واجتماعية وسياسية^(١١). تعرضت أوروبا قبل الأندلس لهجمات النورمان منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إذ أثاروا الفزع والرعب في هولندا وفرنسا والجزر البريطانية، فضلاً عن تخريب المدن التي استولوا عليها واحرقها ونهبها وسلبها، حتى قيل إن الفكينج هم الذين اكتشفوا أوروبا وليست أوروبا هي التي كشفت عن الفكينج^(١٢).

هاجم النورمان الدنمركيون مصبات الأنهار في بادي الأمر وتوغلوا بعد ذلك أوروبا لاجل الغنيمة والسلب في كل مدينة ينزلونها، وفي بدايات القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وصلت حملات النورمان البحرية إلى سواحل هولندا وفرنسا واستقروا في جهاتها الساحلية، حتى إن إحدى ولايات فرنسا الشمالية لا تزال تحمل اسمهم

ثلاثة عشر يوماً^(٢٥)، ثم رجعوا إلى مراكزهم لشراسة ما لاقوه من مقاومة من أهل الأندلس، ونتيجة لعدم صلاحية الإبحار في نهر تاجة والتوغل نحو الداخل انحدروا نحو الجنوب بحثاً عن مصبات صالحة للملاحة، فتقدموا نحو جزيرة قادس^(٢٦) ثم إلى شذونة^(٢٧)، ثم اتجهوا نحو مدينة اشبيلية^(٢٨).

١- سيطرة النورمان على اشبيلية:

كان في حسابات النورمان العسكرية الوصول إلى العاصمة الأندلسية قرطبة، وذلك بعد السيطرة على مدينة اشبيلية^(٢٩)، إذ بدءوا بأجتياز نهر الوادي الكبير في ٨ محرم من عام ٢٣٠هـ/ نيسان ٨٤٤م لسهولة الإبحار فيه وعدم وجود مقاومة أندلسية كبيرة ولاسيما أن الأسطول الأندلسي الذي لم يكن مؤهلاً عسكرياً في تلك الحقبة.

ومن خلال مسيرة النورمان إلى اشبيلية استولوا على جزيرة (القبيل) ^(٣٠) التي استراحوا فيها ثلاثة أيام واتخذوها قاعدة لهم في غزواتهم الداخلية للأندلس، ومعسكراً لهم إذ يقول الحميري بهذا الصدد ((هو مفرغ وادي طرطوشة في البحر ويعرف أيضاً بالعسكر لأنه موضع عسكر فيه المجوس واحتفروا حوله خندقاً أثره باقي إلى الآن)) ^(٣١) وفي ١٢ محرم تقدم النورمان نحو قرية قورة^(٣٢)، التي تبعد ١٢٠ ميلاً عن اشبيلية فدارت بينهم وبين الأندلسيين معركة شديدة، انسحب الأندلسيون على أثرها بعد إن استشهد كثير منهم ^(٣٣). وفي يوم ١٣ محرم هاجم النورمان حصن طلياطة الذي يبعد ميلين عن اشبيلية، وهاجموا ليلاً، ونزلوا اشبيلية صباحاً. وعند دخول النورمان اشبيلية أبدت هذه المدينة مقاومة عنيفة، انتهت بأستيلاء النورمان عليها بعد إن أحرقت المراكب الأشبيلية التي كان واجبها إيقاف تقدم النورمان ^(٣٤)، وفي اليوم الرابع عشر من محرم دخل النورمان اشبيلية، بعد أن انسحب أهلها إلى مدينة قرمونة^(٣٥) وجبال اشبيلية لإعادة ترتيب صفوفهم ^(٣٦).

((نورمانديا))^(٣٧)، وهكذا شهدت هذه الحقبة نشوء إمبراطورية فيكنجية شملت جزر أوروبا الغربية وسواحلها^(٣٨)، حتى دانت لها مملكة الفرنجة وأدت الغرامة لها^(٣٩).

كانت قرصنة النورمان في بداية الأمر يدفعها دافع الغنيمة من وراء السلب والنهب، ثم يعودون إلى قواعدهم وقد اتصفت هذه الحملات بأنها قرصنة غير مركزة ولم تكن لها قيادة موحدة، بل كان يغلب على قرصنتهم صفة التعدد والتفرق نحو أماكن مختلفة، ولهذا السبب اختلفت الروايات في سرد أخبارهم^(٤٠). ولكن غزواتهم تغيرت بعد ذلك إلى غزوات استيطان واستقرار مع أمرهم في تلك المناطق الساحلية وانشؤوا عدة قواعد في ذلك الأنحاء ولاسيما فرنسا وغيرها من المناطق الساحلية.

ثالثاً: غزو النورمان الأول للسواحل الأندلسية (٢٢٩هـ/ ٨٤٣ م)

كانت في بلاد الأندلس جبهتان ولاسيما في عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢٢ - ٨٥٢م) جبهة برية ضد المماليك الإسبانية الشمالية، وجبهة بحرية ضد الغزو النورماني. كان أول ظهور للمراكب النورمانية ذات الأشعرة السود^(٤١) في السواحل الأندلسية في يوم الأربعاء من ذي الحجة سنة ٢٢٩هـ/ آذار ٨٤٣م عندما حلوا بثغر اشبونة^(٤٢) (شبونة) عند مصب نهر تاجة^(٤٣).

فوجئ أهل الأندلس بظهور المراكب النورمانية في سواحلهم، إذ كان وصول كتاب وهب الله بن حزم عامل اشبونة إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ايذاناً ببدء هجومهم على سواحل الأندلس الغربية (الثغر الأدنى) ((ونذكر أن في سنة تسع وعشرين ومائتين، ورد كتاب وهب الله بن حزم عامل اشبونة يذكر انه حل بالساحل قبلة أربعة وخمسون مركباً معها أربعة وخمسون قارباً، فخرجت الكتب إلى العمال بالاحتراس))^(٤٤).

كان رد فعل أهل اشبونة، بأنهم نهضوا للقاء الغزاة بما لديهم من قوة، فكانت بين الطرفين وقائع شديدة، استولى النورمان على أثرها على سهول المدينة ومكثوا فيها

واردفه بجيوش أخرى، فقدمت هذه الجيوش نحو قرمونة واتخذت من موضع قريب من اشبيلية مقراً لها يعرف بـ((الشرف))^(٤٠) أو ((مشدوم))^(٤١) وقد قسمت هذه القوات للدفاع عن مدن السواحل وبقي قسم للدفاع عن العاصمة قرطبة سار القسم الأعظم من هذه القوات باتجاه اشبيلية^(٤٢).

عندما علم النورمان بمقدم هذه الجيوش الأندلسية بدأوا بقتالها واستمرت المعارك التي أسفرت في البداية عن هزيمة النورمان حتى دخلوا مراكزهم، ولكن الاندلسيين توقفوا عن قتالهم الأمر الذي أعطى فرصة للنورمان لتجميع قلوبهم والاستعداد لجولة ثانية مما أثار حفيظة الأمير عبد الرحمن بن الحكم حينما سمع بذلك فاستدعاهم وجعل على قيادة الجيش محمد بن سعيد بن رستم^(٤٣)، الذي تقدم مع جيوشه حتى نزل مدينة اشبيلية^(٤٤).

تجمعت الجيوش الأندلسية في قرمونة ((فحل الوزراء ومن معهم بقرمونة ولم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم، حتى قدم عليهم أهل الثغر، وقدم من أهل الثغر موسى بن قسي بعد استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له وتذكيره له بولائه للوليد بن عبد الملك وإسلام جده على يده، فلاف يعرض اللين وقدم في عده كثيف، فلما قابل قرمونة، انخزل عن سائر أهل الثغر وعن عسكر الوزراء))^(٤٥).

من خلال التمعن في النص في اعلاه يتضح لنا الأمور الاتية:

- ١- أن شوكة النورمان كانت قوية إلى درجة أن جيش الأمانة الأندلسية لم يقدر على محاربتهم وكسر شوكتهم.
- ٢- أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم اتخذ الإجراءات التي من شأنها حماية البلاد، حتى أنه طلب العون من أسرة ((بني قسي)) الخارجة عليه بدليل ((بعد استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له))^(٤٦). وهذه خطوة باتجاه محو الخلافات الداخلية.
- ٣- أن انخزال موسى بن قسي بقواته واتخاذ موضعاً جانباً من جيش قرطبة لا يعبر عن صيغة الفرقة، وإنما يدل على التعاون بينهما، وإن ما جرى قد يكون مخططاً له ومتفقاً عليه، والهدف منه إضعاف شوكة العدو^(٤٧).

إن اللافت للنظر هو سرعة استيلاء النورمان على مدينة اشبيلية ويعمل هذا الاستيلاء بعدة عوامل منها:

- ١- نقص التحصينات الحربية التي كانت عليها اشبيلية لاسيما إن هذه المدينة لم تكن مسورة، بدليل قول ابن سعيد بأن المجوس ((حلت على اشبيلية وهي عورة فدخلوها))^(٣٧).
- ٢- الأثر المعنوي السلبي الذي حط من نفوس أهل اشبيلية عندما تحرك النورمان نحو المدينة وهم يحملون معهم القساوة الهمجية، الأمر الذي أثار الرعب بين أهل المدينة، ويفهم ذلك من قول ابن عذاري ((كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً))^(٣٨). ولعل ذلك راجع إلى استخدامهم الأسهم النارية التي لم تكن مألوفة آنذاك لدى الأندلسيين.
- ٣- كان لعامل السرعة والمباغلة التي بموجبها وصل النورمان إلى اشبيلية الحيلولة دون اتخاذ أهل اشبيلية الإجراءات اللازمة عن مدينتهم، إذ دخلوها الغزاة خلال ثلاثة أيام.
- ٤- عدم وصول الامدادات العسكرية من العاصمة قرطبة إلى اشبيلية في الوقت المناسب الأمر الذي أدى بأهل اشبيلية إلى الفرار أمام القوة النورماندية التي كان يحسب لها حساب.
- ٥- غياب الأسطول البحري الأندلسي عن ارض الواقع، إذ لم يكن للأسطول الأندلسي كفاءة ومقدرة في مقارعة الأسطول النورماندي الذي انشئ لغرض القرصنة والنهب والسلب.

٢- دور أهل الأندلس في طرد النورمان من اشبيلية:

استنفر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) الثغور الأندلسية، منذ أول دخول للنورمان إلى للسواحل الأندلسية واحتلالهم ثغر اشبونة، فأرسل على الفور جيشاً بقيادة الحاجب عيسى بن شهيد الذي كان على فرقة الخيالة^(٣٩) في جيش قرطبة

مضوا باتجاه مدينة باجة^(٥٥) وبعد ذلك تنقلوا في سواحل الأندلس وعلى أثر ذلك انقطعت اخبارهم^(٥٦).

كانت مدة بقاء النورمان منذ دخولهم إلى اشبيلية حتى خروجهم من سواحل الأندلس اثنين واربعين يوماً، فقدوا خلالها اعداداً كبيرة من رجالهم، ومع ذلك لا يستبعد أن يكون قد بقي جماعة من النورمان تفرقوا في الآفاق. وهكذا خرج النورمان من اشبيلية بعد ان عانوا فيها ما يقرب اثنين واربعين يوماً، وقد نبه هذا الأمر الخطير الاذهان الى ضرورة الاهتمام بالبحرية الأندلسية، واقامة المراكز الدفاعية على السواحل الغربية، فشرع الأمير عبد الرحمن الأوسط بالقيام بعدة اجراءات سريعة، منها بناء سور حول مدينة اشبيلية ليقبها من أي هجوم مباغت. كما أمر ببناء دار لصناعة السفن الحربية في ميناء المدينة، واستخدام رجالاً متمرسين في حماية السواحل البحرية، ووسع عليهم بالأموال والآلات التي شملت استخدام النفط المشتعل لقفذه على سفن الاعداء^(٥٧).

ولم يكتف الأمير عبد الرحمن الأوسط بهذه الإجراءات، بل حاول أيضاً القيام بعمل دبلوماسي ليبعد خطر النورمان على بلاده فجرت اتصالات بينه وبين ملك الدنمارك لإحلال السلم بين الطرفين، وقد انتدب الأمير عبد الرحمن احد الرجال البارزين في بلاطه للقيام بسفارة الى بلاد النورمان وهو الشاعر يحيى بن الحكم الغزال^(٥٨)، ويبدو أن ما توصل اليه هذا الوفد لم يكن إلا اتفاقاً مرحلياً، لان النورمان عادوا هجومهم على الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن^(٥٩) وهذا ما سنتناوله لاحقاً.

نتائج غزو النورمان الأول للأندلس:

١- نظراً لعدم وجود جبهة غربية في الثغر الأدنى قبل هجوم النورمان لذ لم تكن هذه الجبهة مهيأة من الناحية العسكرية لمقاومة الغزاة وهذا ما يفسر لنا سرعة احتلال النورمان لسواحل الأندلس الغربية.

بدأ الجيش الأندلسي عملياته الحربية على وفق الخطة الموضوعة، فكمّن للنورمان في قرية ((كتش معافر)) في الجهة الجنوبية الشرقية من اشبيلية، وعندما تقدمت الجيوش النورمانية باتجاه هذه القرية بأعداد تقدر بـ ستة عشر ألفاً، نهضت الكمائن اليهم وحملوا السيف في رقاب النومان وكانت نتيجة هذه الكمائن النجاح والقضاء على اغلب هذه القوة، كما فر الآخرون الى قلعة ((الزعواق)) للتخلص بها ولكنهم سرعان ما تركوها وهربوا الى مراكبهم.

في الوقت نفسه كان هناك جيش محمد بن سعيد بن رستم ينازل النورمان في موضع آخر حتى حل بأشبيلية^(٤٨)، وبذلك دارت الدائرة على النومان. وما أن انجلت مراكب النورمان على بعد ميل من اشبيلية، حتى أذعنوا الى الصلح وفداء الأسرى^(٤٩). نهض الأندلسيين لمقاتلة النورمان من كل جهة وكادت الدائرة تحل بالجيش الأندلسي لولا خطة القائد بن رستم، التي حالت دون ذلك، إذ أجرى عملية اختراق بين قوات النورمان ومراكبهم البرية فدارت المعركة بين الطرفين وأسفرت عن انهزام النورمان وقتل ما يقرب من خمسمائة رجل من النورمان من ضمنهم قائد الأسطول النورماني^(٥٠).

يبدو أن المعركة كانت الفاصلة في هزيمة النورمان، وكانت خسائر النورمان كبيرة بشرياً ومادياً. لجأ النورمان بعد الموقعة إلى مراكبهم حتى قال ابن الاثير ((وبقوا أياماً لا يصلون إلى المجوس لانهم في مراكبهم))^(٥١) لا يستطيعون النزول إلى الساحل ومقارعة الجيش الأندلسي، في الوقت الذي لا يستطيع الأسطول الأندلسي الوصول إليهم لضعفه انذاك.

وبعد مناوشات بين الطرفين هرب النورمان إلى جزيرة قبيل بمراكبهم، فحاصروهم الأندلسيون فيها من ضفتي النهر ومنعوه من النزول خارجها^(٥٢) وانسحب النورمان بمراكبهم، وطرقوا سواحل شذونة^(٥٣). في هذه الأثناء نزلت للأمير عبد الرحمن بن الحكم خمس عشر مركباً في ساحة المعركة في اشبيلية، فلما أحس النورمان بنزولها، انسحبوا نحو لبلبة^(٥٤) وغنموا ما فيها ثم انسحبوا نحو اكشونية ثم

٨٤٤م، وتوقيع معاهدة الصلح والسلام بين الأمير عبد الرحمن بن الحكم و هوريك ملك النورمان، ألا أن تحولات الأمور في كلتا الدولتين الأندلسية والنورمانية حالت دون استمرار معاهدة السلام، إذ توفي عبد الرحمن بن الحكم في سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، وفي سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م توفي ملك النورمان هوريك وساد المملكة بعد وفاته الفوضى وعدم الاستقرار وعاد النورمان إلى ممارسة القرصنة والغزو^(٦٦).
ظهر النورمان في بادي الأمر عند سواحل اشتوريش وجليقية^(٦٧)، فهاجموا سواحل اشتوريش فتصدى لهم الكونت ((بدرو)) الذي استطاع تحطيم مراكبهم وتمزيقها^(٦٨). إذ أن النورمان لم ينجحوا في غاراتهم على اشتوريش ولم يحصلوا إلا على اليسير من الغنائم، الأمر الذي أدى بهم إلى ترك اشتوريش والتوجه نحو سواحل الأندلس الغربية حيث الثغر الأدنى.

عندما تقدم النورمان باتجاه الثغر الأدنى فوجئوا بهذا الثغر ((فألقوا البحر محروساً ومراكب الأمير محمد فيه جارية ما بين حائط أفرنجة في الشرق إلى أقصى غليسية في الغرب))^(٦٩). ومن هذا النص نفهم أن الأسطول الأندلسي كان يوجب السواحل الأندلسية من الشمال إلى الجنوب ومن السواحل الشرقية إلى السواحل الغربية، فقد ذكر أن الأمير محمد أنشأ في البحر سبعمائة غراب^(٧٠).

بدأ الأمير محمد بتجهيز الجيش وتهيئته بالعدة والعدد عندما وصلت إلى مسامعه أخبار غزو النورمان للسواحل الأندلسية، وجعل على رأس هذا الجيش وقيادته الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبده^(٧١)، وانحدر النورمان نحو سواحل الأندلس الغربية بمراكبهم التي كان عددها اثنين و ستين مركباً^(٧٢). فهاجموا في بداية الأمر سواحل وادي تاجة فتصدى لهم سعدون بن الفتح السرنباقي الذي كان متمرداً بحسن

- ٢- ابدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم عناية بمدينة اشبيلية التي تعرضت لغزو النورمان وتخريبهم، فأبنتى على مشورة الوزراء سوراً لأشبيلية واحكم بناءه^(٦٩).
- ٣- كذلك انشأ الأمير عبد الرحمن بن الحكم الرباطات على السواحل الغربية وجعلها مراكز للجهاد يقيم فيها المرابطون والحراس^(٦١).
- ٤- إن الدفاع عن المنطقة الغربية الساحلية يستوجب إقامة اسطول بحري قوي لحمايتها، وقد عمل الأمير عبد الرحمن بن الحكم على ذلك، فأمر بأقامة دار صناعة السفن بأشبيلية وإنشاء المراكب^(٦٢). وتعد هذه الالتفاتة من جانب الأمير على جانب كبير من الأهمية وقد عدها الدكتور مؤنس ميلاد البحرية الأندلسية الحربية^(٦٣).
- ٥- ان عملية استنفار الثغور الأندلسية لجهاد النورمان واجتماعهم للجهاد انما يعبر عن متانة وقوة الجبهة الداخلية واستعدادها للتضحية والفدا تاركة خلافاتها الداخلية جانباً ازاء الأخطار الخارجية التي تهدد الوطن.
- ٦- يتضح من سير الأحداث أن المعارك اتخذت طابعاً برياً بعد إن كانت على الأغلب بحرية بعد احتلال النورمان مدينة اشبيلية.
- ٧- كان من نتائج غزوة النورمان أيضاً إن ارسل ملك النورمان وفداً إلى قرطبة لطلب الصلح بعد خروجهم من اشبيلية وهزيمتهم منها وقتل قائد الأسطول، إذ رأى الأمير عبد الرحمن بن الحكم أن يرسل سفارة الى بلاد النورمان رداً على سفارتهم وكانت برئاسة يحيى بن الحكم الغزال^(٦٤).

رابعاً: غزو النورمان الثاني للسواحل الأندلسية (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)

في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) تحرك النورمان باتجاه السواحل الأندلسية للمرة الثانية في عام (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)^(٦٥) بعد مدة من الهدوء والأمن التي سادت الأندلس بعد هزيمة النورمان الأولى سنة ٢٣٠هـ/

و أصاب مركبين من مراكبهم بريف شذونة^(٧٨). ولكن النورمان سرعان ما انسحبوا من هذه الجزيرة خشية الأسطول الأندلسي^(٧٩)، ففروا إلى العدو المغربية^(٨٠)، فهاجموا مدينة أصيلة^(٨١). وبعد هذه المدينة اتجهوا نحو مدينة نكور إذ استولوا عليها بعد معركة كبيرة^(٨٢).

وبعد ذلك توجهوا نحو السواحل الشرقية للأندلس واشتبكوا مع القوات الأندلسية في عدة معارك برية وبحرية و على أثرها انصرف النورمان نحو سواحل الأفرنجة، متوجهين شرقاً نحو إيطاليا^(٨٣).

وبعد قضاء فصل الشتاء في سواحل الأفرنجة بدأ النورمان رحلة العودة التي أصابتهم فيها عاصفة شديدة أضعفت شوكتهم مما أدى إلى إصرعهم في الانصراف، نحو ريف بحر الأندلس^(٨٤). وبعد هذه الغارات التي شنوها في أثناء رحلة العودة إلى بلادهم لم نسمع لهم عن غارات أخرى.

((فقبرواله)) ما بين تاجة و مدينة قلمرية وكانت له مواقف عظيمة في مواجهة النورمان الذين استطاعوا في نهاية المطاف أسره ثم إطلاق سراحه لقاء مبلغ من المال^(٧٣).

عندما تقدم الأسطول النورماندي باتجاه السواحل الغربية الأندلسية اصطدام مع الأسطول الإسلامي وقام الأسطول الإسلامي بدوره بحماية السواحل الأندلسية وتأسيره عدد من مراكبهم بعد قتل أعداد منهم واستشهاد جماعة من الأندلسيين^(٧٤).

اتجهت سائر مراكب النورمان في الريف حتى انتهت الى مصب نهر الوادي الكبير كما يذكر بن حيان في روايته ((ومضت مراكب المجوس في الريف حتى انتهت إلى مصب نهر اشبيلية وما يليها وذهب الرعب بهم كل مذهب وبادر الأمير محمد بإخراج الجيش إلى الغرب و استتفار الناس إلى العدو الطارق، فنفروا من كل أوب))^(٧٥).

أن الروايات العربية لم تخبرنا بمعلومات وافية عن معركة وقعت بين النورمان و الأندلسيين في اشبيلية باستثناء عدد من الأشارات، فقد أورد العذري في معرض كلامه على لب بن موسى ما نصه ((وقود و أخرجه اليهم، فأنهزم المجوس))^(٧٦). كما ذكر ابن القوطية أن النورمان ((تلقوا في مدخل نهر اشبيلية في البحر، فهزموا فحرقت لهم مراكب فأنصرفوا))^(٧٧). يفهم من هذا أن الأسطول الأندلسي تصدى للنورمان في معركة بحرية.

انسحب النورمان بعد هذه الموقعة من سواحل الأندلس الغربية على أمل الحصول على فرصة افضل لتحقيق أطماعهم و أهدافهم فأتجهوا نحو الجنوب حيث الجزيرة الخضراء وهاجموا في طريقهم سواحل شذونة، فتصدى لهم الأسطول الأندلسي

خامساً: غزو النورمان الثالث للسواحل الأندلسية (٨٤٧هـ/٨٦١م)

لم يمض سوى سنتين على غزو النورمان الثاني، حتى عاودوا من جديد إلى سواحل الأندلس الغربية، لما يغلب عليهم من روح المغامرة في الغزو والنهب، وهذا هو المألوف و الغالب في غزوات النورمان جميعها.

ظهر النورمان أمام سواحل الأندلس الغربية في عام ٨٤٧هـ/ ٨٦١ م، في عهد الأمير محمد في أسطول يتكون من ستين مركباً^(٨٧)، يبتغون فرصة سانحة للنزول إلى السواحل الأندلسية ولكن الأمر لم يكن كذلك إذ ((لم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والأضرار بأهل السواحل ما جرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمئناً لشدة ضبطها))^(٨٨). فقد اتخذ أهل الأندلس الاحتياطات اللازمة لحماية سواحل الأندلس الأمر الذي أدى إلى فشل الحملة الثالثة في تحقيق أهدافها في السلب والنهب.

عندما وصل خبر النورمان إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن كتب إلى عمال السواحل جميعاً بالاستعداد و الاحتراس والتأهب^(٨٩)، وقد حاول النورمان النزول في السواحل عند مصب النهر الكبير لأجل التوغل نحو اشبيلية ولكنهم وجدوا البحر محروساً بالأسطول الأندلسي وبما أرسل إليه من القوات البرية، مما حال دون دخولهم وادي النهر الكبير واجبرهم على الفرار^(٩٠).

لقد هزم النورمان من سواحل الأندلس الغربية ولم يحصلوا على شي لمئاته جبهتها و حصانة حراستها، فأندردوا صوب الجنوب حيث الجزيرة الخضراء، وما إن اقتربوا منها عند ناحية ((البحيرة))^(٩١)، حتى تعرضت مراكبهم لعاصفة بحرية شديدة أعطبت لهم أربعة عشر مركباً^(٩٢). وقد كتب العامل على الجزيرة الخضراء ((مطران بن نصير)) إلى الأمير محمد يخبره بما حدث لهم عند البحيرة^(٩٣).

لم يحقق النورمان أي شيء من أهدافهم تجاه الجزيرة الخضراء وسواحل الأندلس الأخرى كما حققوه في غزواتهم السابقة بدليل قول ابن حيان ((فكبو عن حائط الأندلس و اعتلوا إلى جهة الفرنجة فلم يلقوا ظفراً وأسرعوا الانصراف إلى بلدهم بالخيبة))^(٩٤).

نتائج غزو النورمان الثاني للأندلس:

- ١- ان مدى الاستعداد والتهيؤ لمقاومة المخاطر كانت على درجة كبير في سواحل الأندلس قياساً بالغزوة الاولى اذ كانت سفن الأسطول الأندلسي تجوب المياه، حتى بلغت مداها خارج السواحل الاندلسية، بغية القيام بحركة استطلاع وتقديم الانذار المبكر في حالة قدوم الأعداء.
- ٢- كانت لحركة الاستطلاع هذه الأثر الكبير في اسر مركبين من مراكب النورمان اذ كان الأسطول الأندلسي على علم بقدومها، مما حدا به إلى نصب الكمائن لأسرها ((وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتها المراكب المنصوية))^(٨٥).
- ٣- أن عملية الاستعداد والتهيؤ هذه افقدت النورمان عنصر المباغتة في الهجوم مما جعل هجماتهم على سواحل الأندلس محدودة^(٨٦).
- ٤- ان للقوات البرية التي ارسلت من قرطبة إلى اشبيلية كان لها الأثر الفعال في هزيمة النورمان، اضافة إلى جهود الأسطول الأندلسي.
- ٥- عدم تمكن النورمان من اجتياز مجرى النهر الكبير كما فعلوا في غزواتهم الاولى في سنة ٨٢٩هـ/ ٨٤٢ م حتى رحلت مراكبهم إلى مصب النهر المذكور وهذا دليل على قوة الأسطول وقدرته على حماية سواحل الأندلس الغربية.

هوامش البحث:

- (١) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٩٤٨)، ج ١، ص ١٣٦؛ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت: ٧١٢هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مكتبة صادر، مطبعة المناهل، (بيروت: ١٩٥٠)، ج ٢، ص ١٢٩؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: بلا تاريخ)، ج ٢٢، ص ٤٨.
- (٢) عن الزرداشية يراجع: ابن حزم، أبي محمد علي: المفصل في الملل والأهواء والنحل، (لا: ١٣٢١هـ)، ج ١، ص ١٠٢؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، (القاهرة: ١٩٤٨)، ج ٢، ص ٥٤.
- (٣) ابن حيان، حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت: ١٩٦٥)، ج ٧، ص ٢٢٣؛ ابن سعيد، علي بن موسى بن عبد الملك (ت: ٤٦٩هـ): المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة: ١٩٥٥)، ج ١، ص ٤٩.
- (٤) مؤنس، حسين: غارات النورمان على الأندلس، المجلة التاريخية المصرية، المجلد: ٢، العدد: ١، (القاهرة: ١٩٤٩)، ص ٢٤.
- (٥) البعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت: ٢٨٤هـ): البلدان، مطبعة بريل، (ليدن: ١٨٩١)، ص ٣٥٤.
- (٦) اليوسف، عبد القادر أحمد: العصور الوسطى الأوربية، (بيروت: ١٩٦٧)، ص ١١١.

الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا لا بد لنا من تسجيل خاتمة نسلط فيها الضوء على الأمور التالية:

- ١- أن النورمان الذين تنعتهم الرواية العربية بـ(المجوس) لو يكونوا مجوساً يدينون بالديانة الزرداشية في بلادهم وإنما كانوا وثنيين عبدوا الظواهر الطبيعية كالنار والنجوم وصنم قادس وغيرها.
- ٢- أن من أبرز الدوافع التي دفعت النورمان إلى غزو السواحل الأندلسية هي غنى الأندلس ووقوع أغلب مدنه على السواحل المفتوحة فضلاً عن استغلالهم ضعف الأسطول الأندلسي وعدم وجود حاميات وأبراج مراقبة قرب السواحل.
- ٣- امتازت هجمات النورمان بالمباغنة والسرعة والخفة وتحين الفرص المناسبة.
- ٤- أبدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم عناية كبيرة بمدينة اشبيلية التي تعرضت لغزو النورمان وتخريبهم فأبنتى سور اشبيلية واحكم بناءه.
- ٥- لقد شجع الغزو النورماني المسلمين الأندلسيين ولاسيما الأمراء على تحسين الأسطول الإسلامي الأندلسي وذلك بعد إن بدأ ضعيفاً في السواحل الأندلسية أذ اخذ المسلمون بزيادة عدد المراكب البحرية.

(١٥) عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج ١، ص ٢١١؛ الشعراوي: الأمويون، ص ٣١٨.

(١٦) عاشور: أوربا العصور الوسطى، ص ٢١٠.

(١٧) الشعراوي: الأمويون، ص ٣١٨.

(١٨) كرسنت وفر، دوسن: تكوين أوربا، ترجمة: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، (القاهرة: ١٩٦٧)، ص ٢٩٨.

(١٩) سبيل، اليكندر: أخبار أمم المجوس، (أوسلو: ١٩٢٨)، ص ٢.

(٢٠) العبادي، احمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية، بلا تاريخ)، ص ١٤٩.

(٢١) العبادي: تعليقات على نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لابن الخطيب، (القاهرة: بلا تاريخ)، ص ٢١٦ هامش (٦).

(٢٢) اشبونة: مدينة قديمة من كور باجة تقع نحو البحر المظلم وعلى ضفة النهر. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥.

(٢٣) نهر تاجة: نهر عظيم يشق طليطلة يخرج من بلاد الجلالة ويصب في البحر الرومي وهو نهر موصوف من انهار العالم. الحميري: الروض المعطار، ص ٣٢٩.

(٢٤) العذري، احمد بن عمر بن أنس (ت: ٤٧٨ هـ): ترصيع الإخبار وتتويج الآثار البستان في غرائب البلدان، تحقيق: عبد العزيز الالهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد: ١٩٦٥)، ص ٩٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٩٨؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٥)، ج ٧، ص ١٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: ٨٠٨): العبر

(٧) الحجي، عبد الرحمن علي: أندلسيات، دار الرشد للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٦٩)، ج ١، ص ٦٦.

(٨) ابن دحية، عمر بن حسن بن علي (ت: ٦٣٣ هـ): المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الابياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة، (بيروت: ١٩٥٥)، ص ١٤٠.

(٩) صنم قادم: وهو طلسم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية وهو عبارة عن منارة مبنية من الحجر و على رأسها صورة أنسان ويده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود. الأديسي، محمد بن محمد (ت: ٥٦٠ هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (روما: ١٩٧٠)، ج ١، ص ١٧؛ الحموي، ياقوت الرومي (ت: ٦٢٦): معجم البلدان، (طهران: ١٩٦٥)، ج ١، ص ٣٧٦.

(١٠) الحميري، أبو عبد الله محمد (ت: ٧١٠ هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، دار القلم للطباعة، (بيروت: ١٩٧٥)، ص ٤٤٩.

(١١) عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوربا العصور الوسطى، مطبعة لجنة البيان العربي، ط ٣، (القاهرة: ١٩٦٤)، ج ١، ص ٢٣٨ هامش (٦).

(١٢) كراج، جورج: عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي، مجلة آفاق عربية، العدد: ١١، (بغداد: ١٩٨٤)، ص ٤٥.

(١٣) الشعراوي، احمد ابراهيم: الأمويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٦٩)، ص ٣١٨.

(١٤) عنان، محمد عبد الله: دولة الأسلام في الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي، ط ٣، (القاهرة: ١٩٦٠)، ج ١، ص ٢٥٨.

- (٣٥) قرونة: مدينة بالأندلس الى الشرق من اشبيلية والى الغرب من قرطبة بينها وبين استجة خمسة واربعون ميلاً وهي مدينة محصنة بالاسوار وتقع على سفح جبل. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٠.
- (٣٦) أبن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر (ت: ٣٦٧ هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطابع، دار النشر للجامعيين، (بيروت: ١٩٥٨)، ص ٨٤؛ أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٦.
- (٣٧) المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ٤٩.
- (٣٨) أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٠.
- (٣٩) أبن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٠.
- (٤٠) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٠.
- (٤١) العذري: ترصيع الأخبار، ص ٩٩.
- (٤٢) أبن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣١.
- (٤٣) أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ١٧؛ ويسميه أبن عذاري، أبن وسيم. البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٠.
- (٤٤) العذري: ترصيع الأخبار، ص ٩٩.
- (٤٥) أبن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥.
- (٤٦) المصدر نفسه: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥.
- (٤٧) الكبيسي، خليل أبراهيم: غزوات النورمانين على الأندلس في عصر الأماة الأندلسية، ص ٨.
- (٤٨) العذري: ترصيع الأخبار، ص ٩٩.
- (٤٩) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٦.

- وديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت: ١٩٧١)، ج٤، ص ١٢٩.
- (٢٦) جزيرة قادس: جزيرة بالأندلس على مقربة من اشبيلية وطولها من القبلة حتى الجوف اثنا عشر ميلاً ومن اثار هذه الجزيرة الصنم المعروف بأسمها. الحميري: الروض المعطار، ص ١٥٤.
- (٢٧) شذونة: وهي من كور الاندلس متصلة بكورة مورور في هذه المدينة خاض المسلمون معركة قاسية على لذريق حين افتتحت سنة ٩٢ هـ. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٣٩.
- (٢٨) العذري: ترصيع الأخبار، ص ٩٨؛ أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ١٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٤٨.
- (٢٩) اشبيلية: مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة ايام ما يعادل ثمانون ميلاً وهي مدينة محصنة كان قد سورها عبد الرحمن بن الحكم. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥.
- (٣٠) القبطيل: جزيرة كبيرة مشهورة في مدخل أشبيلية وهي قريبة من البحر المحيط. ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٢٩٢.
- (٣١) الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥٤.
- (٣٢) وهي قرية صغيرة تقع على ضفة نهر الوادي الكبير جنوب اشبيلية. العذري: ترصيع الأخبار، ص ١٧٤.
- (٣٣) أبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٦.
- (٣٤) مؤنس: غارات النورمانين على الأندلس، ص ٣٣.

(٦٤) ابن دحية، المطرب، ص ١٣٨.

(٦٥) المصدر نفسه: العبر، ج ٤، ١٣٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٤؛
المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨.

(٦٦) مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص ٦٤ - ٦٥؛ سالم، السيد عبد
العزیز، العبادي، احمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،
(بيروت: ١٩٦٩)، ص ١٦٢.

(٦٧) عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٢؛ الشيخ، محمد مرسى: دولة الأفرنجية
وعلاقتها بالأمويين بالأندلس، مؤسسة الثقافة الجماهيرية، (الإسكندرية:
١٩٨١)، ص ١٠٢.

(٦٨) مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص ٦٧.

(٦٩) أبن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت: ٤٦٩هـ): المقتبس من أبناء أهل
الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٧٣)،
ص ٣٠٨.

(٧٠) الغراب: سفينة من سفن البحر القديمة. أبن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن
أبي القاسم الرعيني (ت: ٨٢٧هـ): المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس، تحقيق:
محمد شمام، ط ٣، (تونس: ١٩٦٧)، ص ١٠٠ هامش (١).

(٧١) أبن حيان: المقتبس، ص ١٥٢.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٥.

(٧٣) أبن حيان: المقتبس، ص ٢٣؛ سبيل: أخبار أمم المجوس، ص ٦.

(٧٤) المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٢٨.

(٧٥) العذري: ترصيع الأخبار، ص ١١٨؛ أبن عذاري: البيان المغرب، ج ٢،
ص ١٤٥.

(٧٦) ترصيع الأخبار، ص ٣١.

(٧٧) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٨.

(٥٠) أبن دحية: المطرب، ص ١٣٨.

(٥١) الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٧.

(٥٢) لبلة: مدينة في غرب الأندلس وتعرف بالحمراء وهي محصنة لها سور منيع
ونهرها يأتيها من ناحية الجبل وهي كثيرة الخيرات. الحموي: معجم البلدان،
ج ٥، ص ١١٩.

(٥٣) باجة: من أقدم مدن الأندلس بنيت في أيام الأفاصرة بينها وبين قرطبة مائة
فرسخ ومن أعلام هذه المدينة الأمام القاضي ابو الوليد الباجي. الحموي: معجم
البلدان، ج ١، ص ٣١٤.

(٥٤) العذري: ترصيع الأخبار، ص ١٠٠.

(٥٥) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٤٩؛ المقري، شهاب الدين احمد بن محمد
التلمساني (ت: ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر
وزيرها لسان الدين أبن الخطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة
السعادة، (القاهرة: ١٩٦٧)، ج ١، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٥٦) أبن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣١؛ أبن خلدون: العبر، ج ٤،
ص ١٢٩.

(٥٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٧.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٨؛ ابن دحية، المطرب، ص ١٣٨.

(٥٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ٩٦.

(٦٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٦.

(٦١) مؤنس، غارات النورمان، ص ٤١.

(٦٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٨.

(٦٣) مؤنس، غارات النورمان، ص ٤١.

الاستغراب وهوية الوجود

م.م. ياسين أحمد صالح الدليمي

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده وعلى اله وصحبه وجنده ... وبعد:

جاء مفهوم الاستغراب بأساليب وصور متباينة وربما متناقضة في اقل وصف لها ... واثّرت حوله الشكوك والاقاويل عن جدوى استثماره لصالح ابناء العروبة والاسلام، وكيفية الولوج به الى مداخل الشخصية العربية ليكون عاملاً مساعداً في الازدهار المعرفي والتمدد الثقافي ضمن حدود القيم والتقاليد العربية الاسلامية وقبل الحكم المسبق على سلبيات وإيجابيات الاستغراب علينا إن نعرف: ماهو الاستغراب لغة واصطلاحاً؟ وكيف نشأ؟ وهل له هوية وجود تؤهله لاداء دورا فاعلا في المجتمعات العربية؟

هناك اجابات عن تلك الاسئلة وعن مسائل اخرى في ضوء بحثنا المتواضع هذا... والله من وراء القصد

- (٧٨) أبين حيان: المقتبس، ص ٣٠٩.
- (٧٩) الكبيسي: غزوات النورمان، ص ١٥.
- (٨٠) أبين الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٩٠؛ أبين عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٥.
- (٨١) أصيلة: مدينة تقع بقرب طنجة، وهي أول مدن العدو المغربية من جهة الغرب. أبين عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٣١؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٢.
- (٨٢) أبين الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٩٠.
- (٨٣) عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢٩٣.
- (٨٤) أبين حيان: المقتبس، ص ٣٠٨؛ عاشور: أوربا العصور الوسطى، ص ٢٣٩.
- (٨٥) ابن حيان، المقتبس، ص ٣٠٨.
- (٨٦) الكبيسي، غزوات النورمان، ص ١٧.
- (٨٧) أبين حيان: المقتبس، ص ٣١١.
- (٨٨) أبين القوطية: تاريخ أفتتاح الأندلس، ص ٨٨.
- (٨٩) العذري: ترصيع الأخبار، ص ١١٩.
- (٩٠) أبين حيان: المقتبس، ص ٣١٢.
- (٩١) وهي البحيرة الواقعة غرب الجزيرة الخضراء منحرفة قليلاً إلى الشمال. الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥.
- (٩٢) أبين حيان: المقتبس، ص ٣١١.
- (٩٣) العذري: ترصيع الأخبار، ص ١١٩.
- (٩٤) أبين حيان: المقتبس، ص ٣١١.

افكار العرب وعموم المسلمين .. كما هو الحال مع الاستشراق الذي يصفه الراحل ادورد سعيد بأنه تقليد وليس علماً^(٨).

فما هو الاستغراب من المناحي التاريخية والاجتماعية وهل له هوية ووجود
مستقلة عن تسلط الآخر وهيمنته؟
وماهي طرق انتشاره ومعطيات ذلك؟

[illegible]

يمكن تعريف الاستغراب موجزاً بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الغرب (أوربا - أمريكا) من جميع النواحي العقيدية والتشريعية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية والبيئية ... الخ^(٧) ... ولا يمكن القول ان الاستغراب هو المقابل المضاد للاستشراق لاسباب ايدلوجية وموضوعية الا من ناحية المظهر في ان الاخير يعني بدراسة حضارات الشرق في حين حاول الاستغراب الاهتمام بالحضارات الغربية ودراستها ما أستطاع الى ذلك.

لم يصبح الاستغراب علما مستقلاً له أسس ومؤسسات بعد بل ظل اسيراً لمعاهد الغرب الفكرية ومؤسساته العلمية التي ادعت لنفسها مهمة احتكار وتصحيح

العشرين بعد انهيار الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م)^(٢٣) إذ أن الاجتياح الأخير في مطلع القرن العشرين لم يكن الأول من نوعه من قبل الغرب بل سبق ذلك الغزو الفرنسي لمصر بقيادة نابليون بونابرت (١٧٦٩م - ١٨٢١م)^(٢٤) الذي جلب معه بعض المفكرين والمثقفين الفرنسيين لمصلحة الغزو، وليس لشئ آخر، فامتدت إيد هؤلاء الغزاة إلى ذلك الصيد المتميز من الحضارة المصرية العريقة، بالتحليل والتمحيص والمقارنة والاكتشاف والتتقيب.

أن الفكر الغربي كان منصبا على كيفية السيطرة غير المباشرة على مقدرات الوطن العربي في ظل الغياب القسري عن المنطقة بعد هيمنتهم عليها بعد الحرب العالمية الأولى أو اثنائها ولكن ثورات التحرير العربية فاجتتهم مابين الحربين العالميتين، وانشاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م)^(٢٥) وبعدها ... ولم تطل حيرتهم أو تتفاقم ازمتهن إذ أن المستعربين من ابناء العروبة ومن تلامذة الغرب الذين تخرجوا من جامعاتهم ومعاهدهم التي انشأت في عدد من الاقطار العربية أو أولئك الذين اكملوا دراساتهم في جامعات الغرب فكانو وسيلة الغرب وعينه التي ترى ما لا يرونه يقينا لم تكن الدعوة التي اطلقها الغرب إلى ترك الماضي والتخلف، الا قناعا استعماريًا للدعوة إلى ترك المنحى العربي القراني الاسلامي العقائدي، إذ كانت الدعوة البديلة إلى المستقبل اتباع المنحى الاوربي - الامريكي في الثقافة ومواجهة الحياة، على أن تلك الدعوة لم تكن الا اعلاناً عن خروج الثقافة العربية من دائرتها أو اصلها العربي الاسلامي وصبغها بلون توراتي - صليبي غريب عنها^(٢٦). وهذه الفكرة هي التي تبناها بعض ابناء العروبة الذين اصطلحوا بـ(المستعربين) امثال:مارون غصن وسعيد عقل و لويس عوض واسكندر معلوف واسعد داغر وانيس فريحة وقاسم امين واحمد لطفي السيد وسلامة موسى وداود جليبي وابراهيم اليازجي^(٢٧)، وسواهم كثير.

العرب ما يناسبهم من سبل الحضارة والمدنية من هذه الشعوب والامم^(٢٨) وابتكروا الكثير من الصناعات والنظم وطوروا اخرى. لقد اثبت العرب المسلمين في كتب الرحلات ودراساتهم المعمقة للشعوب الاخرى وسجلوا انطباعاتهم الممنهجة كما هو الحال مع المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)^(٢٩) وابي الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ)^(٣٠) والادريسي (ت ٥٨٨ هـ)^(٣١) وياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)^(٣٢) وسواهم كثير ... غير أن حقبة الاستعمار الحديث وما سبقها من حقبة الحروب الصليبية وحروب المغول وموجات الاحتلال الاخرى اجهضت محاولات الاستغراب وما بقى منها على قيد الحياة كانت تجري في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد. وهي تجسيد حي لمظاهر الاستعمار الحديث في سلب الاخرين تطلعاتهم ومصادرة عقولهم عدا تلك التي تقولبت بقلب الغرب وانصاعت لمطالبه بل املاتاته.

٢- هوية الاستغراب:

الاستغراب لم يكن ردة فعل للاستشراق كما يعتقد البعض^(٣٣)، لان الاخير جاء لاسباب ودواع مختلفة لكنها مؤجلة في عمومها، هي نتيجة حتمية لتفوق الشرق التاريخي حضارياً وثقافياً، وكانت مراحل الاستشراق الأولى قبل حقبة الحروب الصليبية واثناؤها^(٣٤)، فحاجة الغرب إلى الشرق لم تنته بمجرد هزيمتهم في تلك الحروب بل على العكس زادت هذه الهزيمة اصراراً على اجتياح الارض العربية بكل الوسائل المتاحة، بعد أن سلمت الامة العربية مقاليد امورها ومفاتيح تفوقها إلى الاغراب^(٣٥)، عندها أصبحت هزيمتها حتمية، وهو ما حصل فعلاً بعد سقوط الخلافة في بغداد علي يد المغول سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨م^(٣٦) ... إذ لاقت من الخطوب الجسيمة والاهوال الخطيرة مالاقت، انعكس هذا بشكل لاقت على احوالها العامة، التي كان منها التشردم والضياع والانقياد خلف من كان مبهوراً ببعثاتها ونتائجها القيمي والمعرفي على أن ذروة الماساة وصلتها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات قرن

٣- وسائل الاستغراب

هناك وسائل كثيرة واساليب مختلفة لاعداد المستغربين بالكيفية التي يراها الاخر مناسبة خدمة لمصالحه واغراضه واهدافه ومنها اسلوب المنح الدراسية والبعثات العلمية الرائجة بضاعته هذه الايام ... ويعود اسلوب المنح الدراسية الى عصور موعلة في القدم اذ كان فرعون مصر يجلبون ابناء الملوك والامراء والاعيان الى مصر ليتعلموا بها ويتلقوا العلم فيها^(٣٠) واثناء مدة التعليم التي تستغرق احيانا عشرة اعوام يكون من السهل التأثير على عقلية الطالب وتقكيره وبالتالي يتحول في غالب الاحيان الى مواطن موال للبلد الذي درس فيه فلا تكاد تتقضي مدة دراسته حتى يتحول الى شخص مزدوج الجنسية، وقد تكون جنسيته العقلية التي اكتسبها اثناء دراسته الراجحة الكفة على جنسيته الاصلية^(٣١) وكثير من هؤلاء الطلبة كانوا يعدون لتولي مراكز قيادية في بلدانهم حتى اذا دانت لهم السلطة كانوا اشد وطأة على ابناء جلدتهم من الدولة التي تعلموا بها انصياحا وتملقا لها، وان كانت ضد امانى شعوبهم وتطلعاتها^(٣٢). وعلى ذلك السياق درجت الامبراطوريات اللاحقة كالاغريق والرومان والفرس اذ حققوا استقرارا في البلدان التي غزوها وتلك المجاورة لهم لعوامل جغرافية وكانت عاملا مساعدا في حروبهم المستمرة ضد الآخرين.

وفي تاريخنا المعاصر لا يزال اسلوب الاستعمار الفكري قائما، وان اختلفت القوالب والاشكال، الا ان الاهداف الموروثة تبقى كما هي لا تتغير ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية، فدل الارث الاستعماري الحديث تعمد الى بذل المنح الدراسية لطلبة الاقطار العربية فتأخذ هذه المنح بشكل الاعانات المادية والمعنوية. ولا يكاد الطالب العربي يصل الارض الامريكية حتى يجد في انتظاره حياة جديدة تنأى عن الحياة التي فيها في بلده، ثم ينبهر بمظهر الحرية المنفتح، والازدهار العمراني والتقني

وعن الاستغراب يقول الاستاذ الراحل مدني صالح (طيب الله ثراه): (كلا لم يكن الاستغراب تلمذة افلاطونية سقراطية على اكاميين اورو - امريكيين، يعتز بهم السقراطية والافلاطونيون والآخر من الجهادة العباقرة الاساطين ... بل كانت تلمذة كسيفة تافهة مغشوشة في الزوايا الاستشراقية العقيمة، والاستشراق الملائي العقيم بلا استتارة من طريقة ومنهج الا الطريقة المنهجية اللعينة التي يجعلون بها الثقافة الساقطة سدا صادا مانعا بين المتقدمين والمتخلفين...) ^(٢٨) ... سقنا هذه النص على طوله لانه شهادة من عرف الغرب عن كئيب، وخبرهم عن قرب، بعد ان نال شهادته العليا من احدى جامعاتهم، لكنه لم يسقط بفخ المغريات الذي نصبوه له ولغيره من الدارسين العرب هناك.

مما تقدم يتضح إنه ليس للاستغراب هوية وجود مستقلة تؤهله لاداء دور مستقل عن املاءات الاخر ونفوذه وسطوته، بل يبدو ودعائه قشريا وذليلا ومنقاداً بصورة عشوائيا ومبعثرة، وبحاجة الى الرشد والتقويم ولكن تبقى فسحة الامل امام العرب اليوم واسعة اذا ان فيهم افرادا يتمتعون بعبقرية علمية ملحوظة في داخل البلاد العربية وفي المهاجر الغربية^(٢٩) في الغرب الادنى الاوربي والغرب الاقصى الامريكي وينشدون بمستقبل زاهر في العلوم الصرفة اوصنوها العلوم الانسانية اذ ما وجهوا بطريقة منهجية صحيحة للعودة بامتهم الى جادة الطريق القويم

يبدو كأنه شخص واحد ولد في عهد البعثة المحمدية، وهو بعينه يولد ويعاد ميلاده من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة^(٣٩).

وهذا المصير المفجع حتمي، نتيجة لعمليات غسيل المخ الذي تقوم به أجهزة مخابراتية متخصصة لهؤلاء الطلبة عن طريق المطبوعات والنشرات والندوة الثقافية وأحياناً الليالي الحمراء، حتى يستسلم الشاب الشرقي في نهاية الأمر لهذه الأساليب، ومن ثم يصبح أداة طيعة في أيدي الأعراب ... ونلاحظ أن الكثير من المستعربين العرب الذين تأثروا باتجاهات المستشرقين الغربية ولاسيما أولئك الذين درسوا بالغرب ثم عادوا إلى بلادهم كانوا تلامذة أوفياء إلى أساتذتهم المستشرقين إذ دافعوا عن الأفكار والرؤى الاستشراقية، وأكدوا ولائهم إلى منهجهم الغربي في نظرتهم إلى الشرق، وهم ماسموا بالمستشرقين^(٤٠). وكانت أفكار هؤلاء ثمرة للمنهج الغربي في نظرتهم إلى الشرق كما هو الحال مع طه حسين ولويس عوض وسلامة موسى وغيرهم^(٤١)، فقد انابوا عن الغرب في أداء مهمات المستشرقين في البلاد العربية^(٤٢).

فالبعثات الأولى للمستعربين العرب - أن صح التعبير - لجامعات الغرب كالسريون وبرلين وأكسفورد وكيمبردج، وسواها، ابتدأت منذ النصف الأول للقرن التاسع عشر، ثم استمرت باطراد إلى يومنا هذا، وهذه البعثات شكلت النواة الأولى للاستغراب في تقديرنا بدأت من رفاة رافع الطهطاوي وانتهاء بأساتذة الجامعات المعاصرين، مروراً بأحمد لطفي السيد وطه حسين ومحمد مندور^(٤٣). إن النتائج التي تمخضت عن دراسات هؤلاء كانت تمثل حضوراً مقنعاً للغرب في صورة رسمها الشرقي عن الغرب، وكما يريد الغرب، حتى بات من المؤكد أنهم غير قادرين على دراسة الغرب من خارجه وعلى دراسة الشرق من داخله، وكان على الآخر (الغرب) أن يسهم في إزالة المعوقات التي تعرقل عمل المستعربين لا أن يكسرها ويغذيها ... فمثلاً إذا أراد عربي أن يفهم شيئاً عن الثقافة الغربية لن يجد لديه الخبير العربي

والإلكتروني، ومستوى المعيشة العالي حتى تفعل هذه المظاهر فعلها في دخيلة الطالب الشاب اليافع^(٣٣)، الذي سأم نظام الحياة الممل وربما المتخلف في بلاده.

وامام هذا الاندهاش يكون أساتذة متخصصون في علم النفس العام وعلم النفس التربوي، مهنيون لغسل دماغه وتوجيهه الذي يناسب مصالح البلد (المعلم) استناداً إلى مذهب البراغماتية العملي والنفعي الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها مع بدايات القرن العشرين، وساعد على نشأته انتشار استخدام الطريقة العلمية وما ترتب عليها من نفع عملي وتقديم صناعي على يد مؤسس البراغماتية تشارلز بيرس (١٨٣٩م - ١٩١٤م)^(٣٤)، ثم طوره وليام جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠م)^(٣٥) الذي قرر إن معيار الحقيقة ليس الحكم العقلي بل السلوكي العملي النافع بل السلوك المترتب عليه^(٣٦). وبهذه الرؤيا تؤدي البرامج الدراسية، والاختلاط الطلابي والانفتاح على الحياة الجديدة الدور الأبرز في نزع الجذور الأولى التي تربط الطالب بوطنه الأم نفسياً وعملياً، وتستطيع المغريات الكثيرة في المجتمع الجديد ولا سيما حياة الشباب الخالية من العقد والكبت والمخبر السري أن تربطه بقوة إلى الحياة الجديدة. وقبل الانتهاء من مدة دراسته أو في نهايتها يجد نفسه وقد انحلت عنه الروابط والقيم التي نشأ عليها - ما خلا القليل منهم طبعاً - فلا يلبث تحت تأثير الاغراءات وبرامج الترغيب في حياة الغرب أن يتكرر لوطنه وأصوله^(٣٧)، ويفضل البقاء في البلد الغريب على العودة إلى بلاده التي تكون بامس الحاجة إلى علمه واجتهاده وجهده ... وهنالك أمثلة على ذلك من الماضي القريب .. فمنذ العام ١٩٥٩م وحتى العام ١٩٦٥م رفض أكثر من ألفي طالب عربي أنهاء دراستهم في أمريكا العودة إلى بلدانهم وفضلوا البقاء في البلد الذي تلقوا دراساتهم العالية فيه، ومن بين هؤلاء أكثر من ألف طالب مصري، كانت مصر في أشد الحاجة إلى تخصصاتهم وعلومهم في مسيرتها التنموية^(٣٨)، والعربي أو المسلم في حساب الغرب

على العناصر الأساسية في البنية الأيديولوجية القديمة، والتي تبقى الفكر الغربي ينطلق من فرضية تجعل من الغرب مركزا للتاريخ والحضارة والإبداع العقلاني الفلسفي والعلمي، إذ تجد لدى الفيلسوف الوجودي المعاصر هيدغر تعبيراً صريحاً ومركزاً عن جوهر المركزية الأوروبية، فهو يرى أن عبارة الفلسفة الغربية تحصيل حاصل وتكرار لا معنى له فلا وجود لفلسفة أخرى غيرها^(٤٩) فكل المحاولات والحركات لإبراز الشخصية القومية العربية منذ حوالي قرن لم تكن من شأنها أن تغير من نظرة الفكر الغربي إلى تاريخ الثقافة والعلم والحضارة، المبني على المركزية الأوروبية، فيقرر ما كان الفكر الغربي يتقدم في التيار الحضاري، كان ذلك مصحوباً لديه بشعورين أولهما أن اكتمال البناء الحضاري من الناحية المادية لا يمكن إن يكون إلا ضمن هيمنة على العالم الآخر، وضرورة الهيمنة المادية تصبح إرادة في نقل الثقافة والحضارة إلى العالم الآخر، أما الشعور الثاني الذي واكب البناء الحضاري في أوروبا فإنه كان يتعلق بالوعي الذي تكون خلال ذلك الغرب بذاته، ومضمون هذا الوعي إن أوروبا مركز للحضارة والثقافة والعقل والتاريخ .. ضمن هذه الأيديولوجية يصبح كل التاريخ الثقافي والحضاري للعالم منطبقاً على التاريخ الأوروبي حسب^(٥٠).

إن الدراسات التي أقامها المستشرقون ليس هناك ما يسوغ قيامها أو إنجازها من قبل الشرق إزاء الغرب، أوروبا - أمريكا أو السعي إلى الارتكاز على نقاط حيوية تؤدي إلى السيطرة الشرقية على الغرب فمنذ القرن السابع عشر الميلادي وربما قبل ذلك، كان الشرق مجالاً للاستيطان، وكانت الدراسات الاستشراقية تعد في الغالب من أجل معرفة كيف يمكن احتلال الشرق لصالح الغرب، فنبليون عندما غزا مصر عام ١٧٩٨م على سبيل المثال لم يكن ذلك من أجل نشر الحضارة كما كان يقال آنذاك، بل لازاحة القوى الكبرى الأخرى المنافسة واستغلال مصر كنقطة انطلاق نحو مشاريع أخرى^(٥١)، في حين لم ينظر الشرق إلى الغرب مطلقاً كمكان يمكن استغلاله أو يمكن شن حروب عليه على غرار الحروب الصليبية. والدراسات الاستشراقية في بداياتها

المتخصص في دراسة الغرب (غالباً) مما يضطره إلى الذهاب إلى الخبير الغربي، لأن الفارق هنا ليس بسيطاً ويعود لاعتبارات أيديولوجية وسياسية، لا إلى اعتبارات تاريخية وحضارية كما يروج الغرب ويقول^(٤٤). وطبعاً هنالك وسائل أخرى يأتي الإعلام بأنواعه في مقدمها، لا مجال لذكرها في هذا البحث.

٤- الاستغراب والواقع

يقول يانوش دانيتسكي: هكذا هم العرب قرروا إلى حد بعيد شكل الثقافة الأوروبية وبعدها صاروا منسيين، ثم جرت محاولة مدروسة لمحو آثار كل ما هو عربي من أجل أن لا تتعرض مشاعر المسيحيين للاذى^(٤٥).

لقد ظهرت في صقلية (بالرمو) وإسبانيا (توليدو) إلى مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية (لغة أوروبا آنذاك) بشكل مذهش، وهذا الانبهار انعكس في مجلدات علوم الطب والفلسفة والفلك والرياضيات، وباختصار كان الاتصال الفيزيقي قائماً بين العالمين منذ القدم، إلا أن التفاهم الروحي كان مفقوداً، إذ لم يكن بمقدور الأوروبيين الاعتراف بتفوق العرب المسلمين الثقافي، كذلك لم ير العرب في الأوروبيين إلا أجلاً غير متمدين^(٤٦) ... ولم تتوقف المقارنة بين العقل العربي والعقل الغربي بل استمرت نزعة العرق المتفوق في دراسات المستشرقين حتى في المجال الديني، والإسلام قد أخذ من الديانات الأخرى محتواه بزعمهم ولا سيما اليهودية والنصرانية^(٤٧)، فمنذ عصر التنوير الأوروبي كان الفكر الغربي يعيش في عالم لا تشاركه في صنعه الحضارات الأخرى، وعموماً كانت كتابات المستشرقين تنطلق من فرضية مفادها الأساس شرق متخلف مقابل غرب متقدم^(٤٨) أي أن الغرب منطلق كل شيء، ومن أجل تجنب صرامة المنطق العقلاني بهدف اصطناع منهجين أحدهما للحضارة الشرقية والآخر للحضارة الغربية لأن الرؤية الأيديولوجية للغرب عن الشرق لم تتبدل بصورة نهائية، بل تم فقط تغيير بعض بنيتها لتقديم رؤية أيديولوجية جديدة تحافظ

وجود استغراب متميز يفرض نفسه مقابل الاستشراق المتطور، فإن الاجابة على ذلك مفادها ان الاستعمار الغربي ترك عموم بلاد المشرق ولا سيما الارض العربية في حالة شلل تام، وعجز بنيوي على مختلف المجالات والصعد، واعاب على العرب حتى تاريخهم وحضاراتهم وثقافتهم، واستهتر مستهزاً بكل القيم الروحية والعقيدية^(٥٦)، وغل ايدي المتطلعين الى سبر اغوار العلوم وكبلهم بمزاعم التخلف واباطيل الجهل، فوضعوا الفوراق والفواصل بين الشعوب، وفرقوا امة العرب الى دويلات، وابعدهم عن جذورهم الاصلية وبنوا الافكار المشوشة واهموهم بقدراتهم^(٥٧) وكننتيجة لذلك تمخضت هذه التداعيات عن كم هائل من الباحثين العرب والشرقيين، انساقو بحكم التراث الاستعماري، وبحكم تكوينهم اللغوية والثقافي فصاروا باحثين غربيين على غرار المستشرقين او في عموم المستويات اللغوية والمنهجية، وامتد ذلك الى الشعور والمشاعر وبالتالي فهم عاجزون عن تقديم صور شرقية عن الغرب، وما يقدمونه من دراسات لا يمكن ان يكون رؤية الشرق للغرب بل رؤية الغرب لذاته، لكن بصورة شاحبة ومشوهة^(٥٨).

هذا هو واقع الاستغراب حالياً، لا يأصل لنزعة استقلالية تقيه الشبهات وترتقي به فوق الشكوك، وتأخذ به بعيداً عن التقليد والانقياد، والاستلام امام املاءات الاخر وشروطه.

جاءت مصاحبة للهيمنة والغزو الاوربي، في حين ان الدراسات الاستغرابية لم يتوافر لها مثل هذه الابعاد الاستعمارية نظرياً او عملياً، فالاستشراق بدأ بداية عسكرية - تجارية، ثم تجاوز الاطار العسكري الى مجالات اخرى، اما بالنسبة للاستغراب فقد اخذ شكل الرحلات والانبهار بالغرب من خلال بعض الاعمال الادبية^(٥٩). مثل اعمال طه حسين وتوفيق الحكيم، فضلاً عن مؤلفات اخرى لبعض المؤلفين والرحالة العرب، وكانت هذه الاعمال الاستغرابية - إن صح التعبير - تعكس في بداياتها نوعاً من الانبهار والجاذبية ولكن سرعان ما بدا هذا الانبهار ينحسر باتجاه الاستشعار بخطر الغرب ومعاول تهديمهم، ولم يعد الغرب كما وصفه الطهطاوي منبعاً للمعرفة بل صار تدريجياً الخطر الداهم^(٦٠) فالدعوة الى الاستغراب او لدراسة الغرب متجددة، ففي منتصف القرن العشرين اشار المستشرق الالماني رودري بارث الى اهمية ان يتجه العالم الاسلامي لدراسة الغرب اسوة بما يفعله الغرب في دراساته للشرق^(٦١). ومعرفة العرب هذه تنفي اتهامات المستشرقين للعرب ونظرتهم الدونية. فقد اعترف الجميع بفضل العرب قديماً في ايصال اعمال الفلاسفة والعلماء القدماء واثارهم للعالم الحديث^(٦٢) وهم اليوم غير عاجزين عن الابداع والابتكار والتطور. والاستغراب الحقيقي ذلك الذي يجري بمنأى عن الاستعمار المباشر او الغير مباشر حتى يكون جدير بثقة الناس في اعمهم الاغلب فالطرف الذي جرى به الاستشراق كان ملائماً للمستشرقين من الغرب وهو لم يكن كذلك للمستغربين بسبب نزعة التسلط الغربي ومن العسير اطلاق نفس الاحكام على كلاهما فليس القاتل كالضحية ... وظاهرة عدم وجود دراسات شرقية عن الغرب بمستوى دراسة الغرب عن الشرق او مقارنة منها لاندخل ضمن سياق عدم مبالاة الشرقيين في ذلك بل تحكمها العلاقة الغير متناظرة والغير متوازنة بين الشرق والغرب في مزاعم الاخر واحتكارته التي تتجاوز الماديات باتجاه المعرفة والعلوم والافكار تفرضها نزعة عنصرية فوقية من الشمال الى الجنوب حتى تبدو المقارنة ظالمة وغبر عادلة بمعنى اوضح ان ممارسات الاستعمار الغربي لا تقتصر على الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بل ان خطرهما يكمن في الجوانب العلمية والمعرفية والثقافية واذا كان ثمة سؤال يدور عن اسباب عدم

٥- الاستغراب المفترض

جاء في الحديث الشريف: (لا يَكُنْ أَحَدُكُمْ أَمْعَةً يَقُولُ: أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَتْ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَاءَتْ، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ إِنْ يَحْسَنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا إِنْ تَتَجَنَّبُوا أَسَاءَاتِهِمْ)^(٥٩) إذ إن أصالة العرب وحضارتهم العريقة ينبغي إن تحصنهم ضد الانقياد العشوائي والتقليد الأعمى والمراوحة في نفس المكان، وتجعل هويتهم الروحية والمادية بمنأى عن الثقافة المغشوشة والانجرار إلى الزوبا المظلمة لقد كان للحضارة العربية من القوة والمنعة ما جعلها تبقى على الدهر، وتخلد إلى الأبد^(٦٠)، وهي لازالت تحتفظ بسر تفوقها ومفاتيح تطورها، لفك طلاسم العلوم والثقافة، ومواكبة العصر بكل تقنياته وأسراره والآن يبدو إن البعض اغواه التشبه بالآخر وثقافته التي ليست لها أي جذور أو فائدة سوا طمس القيم الأصيلة بثقافة بتراء ناقصة يكون الاستغراب وعاء مفترض لمحتواها وبما إن المدنية الغربية هي المتفوقة صناعيا وعمليا، فمن الواجب على العرب إن يعرفوها معرفة وثيقة وعلمية بعيدا عن الرحلات والبعثات العلمية العشوائية والتي تحمل من المخاطر أضعاف ماتحملة من الأمان، والاعتماد على نوعية متتورة من طلبة العلم، يعون دورهم في بناء بلدانهم ومواكبة الركب المتقدم باستقلالية الهوية المعنوية والثقافية فكما إن الغرب عندما بدء نهضته العلمية والفكرية والثقافية توجه إلى الشرق ولاسيما الأرض العربية، وأفاد من معطيات الحضارة العربية الإسلامية بدءا من التفكير العلمي والمنهج العلمي إلى مختلف معطيات الحضارة العربية فإن المنطق يفرض على طلبة العلم العرب إن يحثوا الخطى لدراسة الغرب وينطلقوا لادراك سبب تأخرهم وتقدم الآخر وهذه الدراسة ينبغي إن تتم وفق أسس رصينة للاستفادة من معطيات الحضارة الغربية المعاصرة فيما لا يتعارض مع الأسس الأخلاقية والقيمية للحضارة العربية الإسلامية وإذا ما توافرت هذه الشروط فإن من المتوقع إن يصبح الاستغراب علما مستقلا في ضوء النهضة العلمية والخطوات المدروسة التي تتخذها البلدان العربية في مجالات العلوم وفي مقدماتها التكنولوجية والتقنية الحديثة مما يوجب على مراكز البحث العلمي ووزارات التعليم العالي في العالم العربي اتخاذ الإجراءات المدروسة بعناية فائقة وإنشاء أقسام

علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية تخصصية وعلى مختلف المجالات المتاحة. ولا يبدو الأمر مستحيلا أو صعبا إذا ما عرفنا إن الحضارة العربية الإسلامية استوعبت شتى الحضارات^(٦١) على أثر الفتوحات العربية الإسلامية الكبرى يقول الدكتور حسن حنفي في كتابه مقدمة في علم الاستغراب: (فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الانا بالآخر والقضاء على موكب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس والقضاء على مركب النقص لدى الانا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس...)^(٦٢).

وفي دراسة الغرب لابد من التخطيط الفعال في هذه القضية إذا أردنا النجاح ومعرفة الغرب والإفادة من المعطيات الإيجابية للحضارة الغربية إذ يحتاج هذا الجهد إلى عشرات اللجان في العديد من الجامعات العربية لوضع الخطط المناسبة لهذه الدراسات^(٦٣) ويفضل إن تكون تحت غطاء جامعة الدول العربية وتعمل من قبل الاقطار العربية الأعضاء لتكون العملية مركزية وتعم فائدتها كل البلدان العربية. وفي العالم العربي يكاد لا ينقصنا دراسة اللغات الأوروبية موضوعة ((الاستغراب))، ولكن تنقصنا الحاجة إلى من له المام بهذه اللغات للوصول بالبحث والدراسة إلى مستوى رفيع في التمكن من اللغات الغربية ومن ثم الدراسة في الجامعات الغربية والتركيز في قضايا الغرب وليس دراسة موضوعات العالم العربي^(٦٤) ... والحاجة ماسة إلى من يتعمق في علم الاجتماع الغربي ليعرف تلك المجتمعات عن كثب وتلك مسألة لم تعد صعبة المنال بوجود الكثير من الأوروبيين والأمريكيين من أصول عربية يستطيعون فعل ذلك والتعمق في البحث العلمي الرصين والتوصل إلى معلومات في غاية الأهمية والحيوية بالنسبة للبلاد العربية.

ودراسة العرب للغرب ستكون مختلفة بالتأكيد عن دراسة الغرب للشرق وذلك إن الغرب بدا الاستشراق فيه منطلقا من توجيهات وأوامر البابوات لمعرفة سر قوة المسلمين وتفوقهم وانتشار الإسلام في البلاد التي كانت خاضعة للمسيحية^(٦٥)، إذ كانت هذه الدراسة لهدفين رئيسيين أحدهما تنفير النصارى من الإسلام والثاني أعداد بعض رجال الكنيسة للقيام بالتنصير في البلاد العربية والإسلامية^(٦٦)

الخلاصة

بعد ان استعرضنا الصفحات السابقة للاستغراب وهوية الوجود بشكل تاريخي وتحليلي تبين ماياتي:

ان الاستغراب لايمتلك هوية وجود مستقلة تؤهله لاداء دوره المفترض في مجمل حياة المجتمعات العربية، وهو لايزال وليدا غير ناضجا يتارجح بين الماهية والمعارف الاخرى كالاستشراق، ولا تزال الوسائل والاساليب التقليدية تقيد حركته بل تجعله مشلولاً لا يقوى على الابداع والابتكار لان الاستعمار اراده كما رسم له، وليس كما يريد العرب وبلدانهم المتعددة وتبين ان صورة الاستغراب الضبابية وغير الواضحة بحاجة الى وقفة جادة من الجهات المعنية او ذات الاختصاص ولا سيما مراكز البحث العلمي، ووزارات التعليم العالي في البلاد العربية ليؤدي دوره بالشكل المطلوب والصحيح وبما يخدم عجلة التطور العلمي والازدهار الحضاري ... واكد البحث على خطورة البعثات او الرحلات العلمية العشوائية وغير المدروسة الى مختلف بلدان الغرب اوربا - امريكا والتي في غالب الاحيان تاتي نتائجها بصورة عكسية او دون فائدة تذكر .

ونتبين كذلك ان الاستغراب لا ياصل لنزعة استقلالية تقيه الشكوك والشبهات، بسبب املاءات الاخر او اوامره التي لاتراع المصلحة الوطنية للشعب العربي ويفترض ان يكون هنالك استغراب يتواءم وعجلة التقدم العلمي والتقني الذي يعيشه العالم للنهوض بالاجيال القادمة الى مستوى الطموح ...

فهل نشهد استغراباً مستقلاً ذا هوية وطنية عربية واضحة في المستقبل القريب؟!

اما الاستغراب فيجب ان يدرس الغرب ومؤسساته وهيئاته فالعرب قبل كل شيء هم بامس الحاجة للاخذ باسباب القوة المادية التي وصل اليها الاخر استناداً لقلوله تعالى: ﴿وَوُوْثُوْا زُرُوْا وَوُوْثُوْا وَوُوْثُوْا وَوُوْثُوْا وَوُوْثُوْا وَوُوْثُوْا...﴾^(٦٧)

والسبب الآخر إن دراسة العرب للغرب لا تحمل نوايا سلبية أو تطلعات استعمارية كما ذكرنا فما كان العرب يوماً استعماريين ولا ينبغي إن يكونوا كذلك ولكن عليهم حماية مصالحهم والانتباه لعمل الشركات المتعددة الجنسيات التي ابتدعها الغرب واصبحت ذات نفوذ أقوى من الحكومات^(٦٨). والأمـر الثالث هو ما يتعلق بخاصية الأمة العربية الإسلامية التي اصطفاها الله تعالى لحملة خاتمة رسالاته السماوية فكانت رسالتها جهادية كونها أمة الدعوة والشهادة فالرسول محمد (ﷺ) قد جاء للناس كافة بشيراً ونذيراً فمن صلب هذه الرسالة تكون الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وبمضمونها يكون الاحتكاك مع الآخر على أسس سليمة من الاحترام المتبادل

واخيراً لن يكون الاستغراب الحقيقي صورة من الاستشراق او معولاً لتهديم حضارات الآخرين او تشويه ثقافتهم وعلومهم، بل سيعكس تلك الماوية الصافية والنقية من ذلك الخلق القويم وليس انتقاصاً من احد او طلباً لثار انطلاقاً من قوله تعالى: جِئْ كَافَّةً وَوُفِّرْ وَوُدًّا (٦٩).

الهوامش

- (١) سورة الرحمن (الاية ١٧)
- (٢) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ج ٥، ص ١٧
- (٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١٧
- (٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٨
- (٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩
- (٦) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٨
- (٧) مطبقاني، مازن صلاح، متى ينشأ علم الاستغراب، (الرياض، وحدة دراسات العالم الغربي بمركز الملك فيصل، د.ت)، ص ٣
- (٨) سعيد ادورد، الاستشراق، ترجمة كمال ابودييب، (بيروت، دار الحكمة، ١٩٨١)، ص ٢١.
- (٩) سورة القصص، (الاية ٣).
- (١٠) سورة القصص، (الاية ٤٥).
- (١١) سورة القمر، (الاية ٩).
- (١٢) سورة القمر، (الاية ٢٣).
- (١٣) سورة الروم، (الايتان: ٢، ٣).
- (١٤) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م) ج ٣، ص ٦١٣ وما بعدها

- (١٥) ينظر: المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) التنبيه والاشراف، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١ م).
- (١٦) ينظر: البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠ هـ)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: ادورد سخاو، (حيدر اباد، المطبعة العثمانية، د. ت).
- (١٧) ينظر: الادريسي، الشريف ابو عبدالله محمد (ت ٥٨٨ هـ)، صفة الاندلس - مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٦٦).
- (١٨) ينظر ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، (بيروت دار صادر، ١٩٥٧م).
- (١٩) صالح، هاشم، المثقفون العرب بين الاستشراق والاستغراب، جريدة الشرق الاوسط، العدد ١٠٦١٤، الخميس ١١ ذو الحجة ١٤٢٨ هـ، ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٧ م)، ص: الرأي.
- (٢٠) قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، (الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٠ م)، ص ٧ وما بعدها.
- (٢١) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ٢١٩
- (٢٢) ينظر: السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١ هـ) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبالحميد (بيروت، دار الجيل ١٤٠٨ هـ) ص ٥٣٣ وما بعدها
- (٢٣) الديراوي عمر، الحرب العالمية الاولى (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨١ م) ص ١١ وما بعدها
- (٢٤) الحويك الياس طنوس تاريخ نابليون الاول (بيروت، دار الهلال ١٩٨١ م) ج ١ ص ٢٧

- (٤٠) رسول، رسول محمد، الاسلام والغرب (بيروت، دار المعرفة د.ت) ص ١١
- (٤١) الكيلاني، رعد شمس الدين الاسلام والاستشراق (بغداد، مركز البحوث الاسلامية ٢٠٠٦م) ص ٣١
- (٤٢) الكيلاني، الاسلام والاستشراق ص ٣١
- (٤٣) صالح، المثقفون العرب جريدة الشرق الاوسط صفحة الراي
- (٤٤) جاكسون ريجرد حوار مع فرنسيين ترجموا اثار عربية ضمن كتاب حوار الاستشراق ص ٢٣٢
- (٤٥) دانيتيسكي، يانوش الاستشراق (بغداد دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩١م) ص ٧٢
- (٤٦) يانوش، الاستشراق ص ١٧٢.
- (٤٧) الظالمي، حامد ناصر، بنية اللغة العربية في التيار المعادي للعقل العربي (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة) ص ٤٤.
- (٤٨) شعيب، علي، الاستشراق وكتابة التاريخ، (بيروت، مجلة الفكر العربي المعاصر، ك٢، ١٩٩٠). ص ٣٣.
- (٤٩) السقاف ابوبكر ملاحضة نقدية حول المركزية الاوربية (مجلة الحكمة، عدد ٤٥، ت٢، ١٩٩٧م) ص ١٨
- (٥٠) وقيددي، محمد، العلوم الانسانية والايديولوجيا (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٣) ص ١٤٢، ١٤٣
- (٥١) طومش، ندى، حوار الاستشراق
- (٥٢) المرجع نفسه ص ١٧٥
- (٥٣) المرجع نفسه، ص ١٧٦

- (٢٥) لاوند رمضان الحرب العالمية الثانية (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٢م) ط ٩ ص ٢٤ وما بعدها
- (٢٦) صالح مدني بعد الطوفان (بغداد دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩٩م) ص ١٥٢
- (٢٧) العبيدي رشيد الحركة اللاشتراقية مراميها واغراضها (بغداد انوار دجلة ٢٠٠٣ م) ص ٩٦
- (٢٨) صالح، مدني، بعد الطوفان ص ١٥١
- (٢٩) فروخ، عمر عبقرية العرب في العلم والفلسفة (بيروت المكتبة العصرية ١٤٠٥ هـ) ص ١٧
- (٣٠) القصاص، فؤاد، امريكا والغزو الفكري لمنطة الشرق الاوسط (بيروت دار الجيب د.ت) ص ٦٩
- (٣١) القصاص، امريكا والغزو الفكري ص ٧٠
- (٣٢) المصدر السابق ص ٧٠
- (٣٣) المصدر نفسه ص ٧١
- (٣٤) محمد، سماح رافع، المذاهب الفلسفية المعاصرة (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٧٣ م) ص ٥١
- (٣٥) سماح رافع المذاهب الفلسفية ص ٥٤
- (٣٦) محمود، زكي نجيب، من زاوية فلسفية (بيروت، دار الشروط، ١٩٧٩م) ص ٢١٢
- (٣٧) العقاد، عباس محمود، الاسلام والحضار الانسانية (بيروت، المكتبة العصرية د.ت) ص ٨٤
- (٣٨) القصاص، امريكا والغزو، ص ٧١
- (٣٩) العقاد، الاسلام والحضارة الانسانية، ص ٨٤

التوزيع الجغرافي لداء الكبد الفيروسي البائي في مدينة تكريت

للفترة (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦) دراسة حالة متوطنة

أ.م.د محمود حمادة صالح م.م. عبد الحق خلف حمادة

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الجغرافية التطبيقية

مُكَلِّمَة

ركز علم الجغرافيا منذ القدم عل كشف العلاقة بين البيئة والإنسان، وتظهر هذه العلاقة، في أجل صورها، في أمراض الإنسان ومشكلاته الصحية، وهذا ما سمي بالجغرافيا الطبية والتي تمثل فرعاً أساسياً من فروع الجغرافيا التطبيقية Applied Geography، وهي تختص بدراسة التوزيع الجغرافي للأمراض، وإبراز العلاقة بينها وبين عناصر البيئة الطبيعية والبشرية، وتقويم آثارها السلبية على حياة الإنسان، وعلى أحواله المعيشية والاقتصادية، وعلى قدراته المختلفة، والبحث عن أساليب مكافحتها والوقاية منها، ومدى توفر الخدمات الطبية والصحية اللازمة لعلاجها، ولرفع المستوى الصحي العام للمجتمعات البشرية.

يتناول هذا البحث التوزيع الجغرافي لداء الكبد الفيروسي البائي في منطقة تكريت وهو محاولة للكشف عن بؤر كثافة المرض وأسبابها كذلك وفق تصنيف السكان على فئات عمرية وتصانيف أخرى بغية حصر المرض وصولاً إلى النموذج الأكثر عموماً في المنطقة.

- (٥٤) بارت، رودى، الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الالمانيا (بيروت، دار الطليعية د.ت) ص٥٣
- (٥٥) هونكا، زيغرد، شمس العرب تسطوا على الغرب، ترجمة: فاروق ببيضون وكمال دسوقي (بيروت، المكتب التجاري ١٩٦٤م) ص٣٩٩
- (٥٦) العبيدي الحركة الاشتراكية ص ٣١
- (٥٧) المرجع نفسه ص ٣١
- (٥٨) الشيخ احمد، حوار الاشتراق (القاهرة، المركز العربي للدراسات الغربية ١٩٩٩م) ص ٩
- (٥٩) البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري (بيروت، دار الهلال د. ت) ص ١٨٩
- (٦٠) معروف ناجي، اصلة الحضارة العربية (بيروت، دار الثقافة ١٩٧٥م) ص ٨
- (٦١) المطبقاني منى ينشأ الاستغراب ص ٢
- (٦٢) المرجع نفسه ص ٣
- (٦٣) المرجع نفسه ص ٣
- (٦٤) نفسه ص ٣
- (٦٥) نفسه ص ٣
- (٦٦) نفسه ص ٣
- (٦٧) الانفال من (الاية ٦٠)
- (٦٨) مطبقاني، متى ينشأ علم الاستغراب، ص ٤
- (٦٩) المائدة من (الاية ٨)

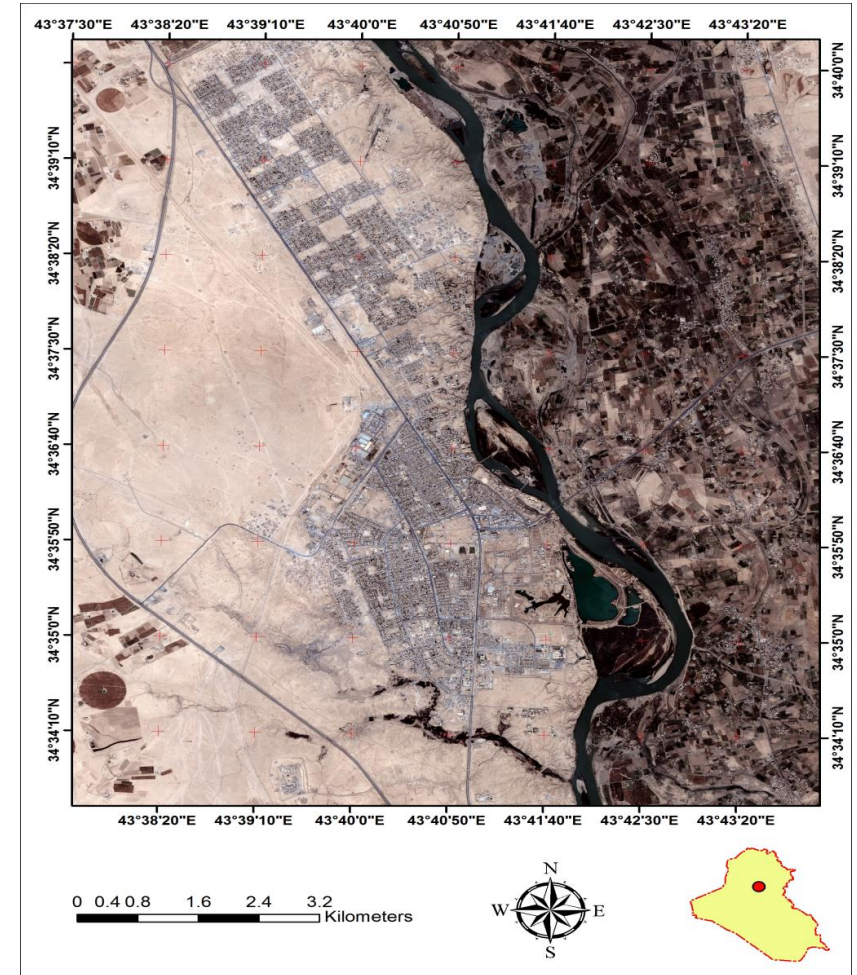
المبحث الأول

الإطار النظري للدراسة

حدود منطقة الدراسة:

تشمل الدراسة مدينة تكريت وإقليمها والذي يمثل سبعة مناطق تابعة لها وهي (القادسية، حماد شهاب، شيشين، العوجة، عوينات، البوعجيل، العلم، سمرة) فضلا عن مركز مدينة تكريت، حيث تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض ٣٤°٤٠'٥٠" من جهتها الشمالية و ٣٤°٣٤'١٠" من جهتها الجنوبية وبين خطي طول ٣٧°٣٨'٤٣" من جهتها الغربية و ٤٣°٤٣'٢٣" من جهتها الشرقية. كما في الصورة الفضائية و الخريطة (١،٢).

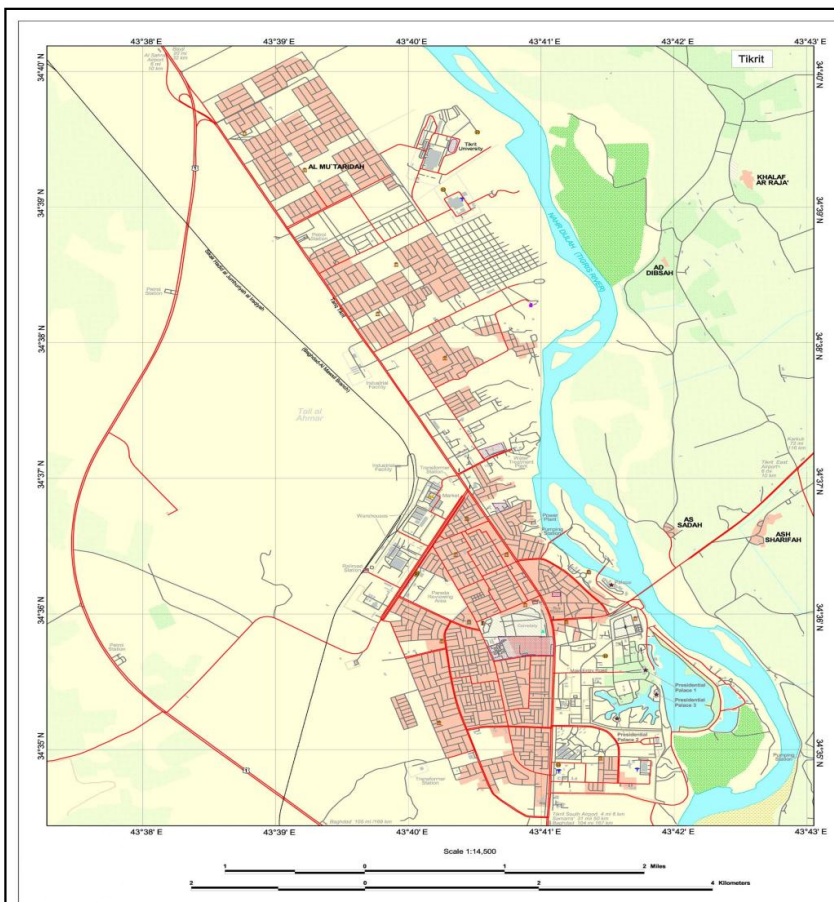
صورة جوية (١) لمدينة تكريت من القمر ايكونوس ٢٠٠٧



المصدر: صورة فضائية لمدينة تكريت، القمر ايكونوس،

لعام ٢٠٠٧، ٦ بيان فضائي مصحح.

خريطة (٢) توضح مدينة تكريت



المصدر: الهيئة العامة للمساحة، خريطة مركز تكريت، بغداد،

مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة بمجموعة مقولات محاولين الإجابة عنها وهي:

- ١- هناك علاقة بين البيئة ونسبة انتشار المرض.
- ٢- هناك علاقة بين مستوى تركيز كثافة المرض وبين الخصائص السكانية والاجتماعية في منطقة الدراسة.

فرضية الدراسة:

تتمثل فرضية الدراسة بما يأتي:

- ١- يتركز انتشار المرض في الريف أكثر من انتشاره في داخل المدينة.
- ٢- يؤثر الدخل الاقتصادي القليل على فرصة نقشي المرض بهذه الفئة.
- ٣- تختلف نسب نقشي المرض وفق التركيب النوعي للسكان.

منهجية الدراسة:

حتى يمكن للدراسة إن تسير وفق الطريق الصحيح للوصول إلى النتائج المرجوة منها لا بد لها من إتباع منهجية واضحة، ولما كان المنهج في أصول البحث العلمي عبارة عن عملية لقيادة العقل، ويستهدف البحث عن الحقيقة بوساطة مجموعة من القواعد التي تهيم على العقل وتحدد خطواته من أجل الوصول إلى النتيجة، والذي يعرف المنهج انه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بوساطة طائفة من القواعد التي تسيطر على العقل أيضاً وتحدد عملياته للوصول إلى نتيجة مقبولة. إن المنهج عبارة عن مجموعة من القواعد العامة المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم والمنهج في النهاية يعني الطريق الموصل إلى الحقائق العلمية تبعاً لقواعد يستهدي بها الفكر^(١).

هدف البحث:

تتميز الدراسات الصحية في العراق بقلتها، وقلة التركيز على الجانب الجغرافي الطبي في حصر الأمراض وتعليل أسباب نشوئها (طبيعية، وبشرية، وحيوية) لذلك يهدف البحث إلى تحديد العلاقة بين العوامل البيئية ونمط توزيع المرض وتأثيرها مكانياً، وربط النتائج بالاختلافات السكانية والعمرية والاقتصادية، وبما أن العراق يعاني الكثير من المشاكل الصحية لذا جاءت الدراسة لتحديد العوامل المسببة للأمراض أو التأثير عليها عندما تنتهي العوامل الجغرافية والطبية والخدمية. إن كل مرض من الأمراض أو بأجمعها ترتبط من حيث النشأة بالعوامل المشار إليها فإن المرض إما أن يكون شائعاً فيأخذ صفة المرض العام أو يكون قد تأقلم فأصبح متوطناً، وهنا يهدف البحث أيضاً إلى تقديم الحلول بعد معرفة الأسباب المؤدية له.

أهمية البحث:

إن دراسة الجغرافية الطبية "Medical Geography" لأي بلد ومعرفة أحواله المناخية بعد تحليل عناصره المختلفة تعطي لنا المؤشرات الأساسية لمسببات الأمراض ووضع البرامج المطلوبة للوقائية منها أو علاجها بعد حدوثها، وبما إن العراق من الدول النامية التي تعاني من الأمراض والمشاكل الصحية أكثر مما تعاني منها الدول المتقدمة التي أصبحت خالية من الكثير من الأمراض، لذلك نرى إن مثل هذه الدراسة تعد ضرورة ملحة لاعتماد البرامج التتموية الصحية التي تساعد على الحيلولة دون انتشار الأمراض.

مما تقدم نجد إن معرفة الظروف الطبيعية البيئية وكيفية تأثيرها على المرض وعوامل بشرية أخرى أمر هام جداً ويرقى إلى دراسته دراسة تفصيلية.

في هذه الدراسة استعملت مناهج دراسية عدة تتلائم مع طرائق البحث العلمي وأساليبه المستعملة في الدراسة، أما المناهج المتبعة فهي:

١- المنهج الوصفي:

يعتمد هذا المنهج على جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة ما لتحديد خصائصها الزمانية والمكانية، ويدرس الظاهرة كما هي في الواقع ويصفها وصفاً دقيقاً.

٢- المنهج التحليلي:

يعد هذا المنهج من المناهج المهمة التي يتبعها معظم الجغرافيين لأنه يمتاز في تحليل الاختلافات الزمانية والمكانية، والتي تعتمد على تفسير الفرضيات وتحديد نمطها بالأسلوب الجغرافي.

٣- المنهج الكمي:

يعتمد هذا المنهج الأسلوب الإحصائي لدراسة الظاهرة بعد ان يصفها ويحللها باستخدام لغة الأرقام لإبراز العلاقات مستخدماً أسلوب التعليل والتحليل والربط بين الظواهر والعوامل المؤثرة فيها مستعيناً بالبيانات والإحصاءات الصحية التي لا غنى عنها في مثل هذه الدراسة فضلاً عن الإحصاءات الخاصة. لكي يكون البحث منصبا على دراسة ظاهرة مرضية ومعرفة الأسباب المرتبطة بها مكانياً وتحقيق صحة الفرضية.

تقنيات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على بيانات دائرة الإحصاء الصحي في محافظة صلاح الدين فضلاً عن البيانات السكانية المستقاة من دائرة إحصاء صلاح الدين، ومستشفى تكريت العام كذلك اعتمدت الدراسة على خريطة طبوغرافية بمقياس ١:١٤.٥٠٠ من الهيئة العامة للمساحة، بالإضافة إلى المعلومات المكتتبية الخاصة بموضوع البحث.

المبحث الثاني

أولاً: المعطيات الطبيعية لمنطقة الدراسة

يهتم هذا المبحث بالخصائص الطبيعية في منطقة الدراسة المؤثرة في انتشار المرض، فتتصف منطقة الدراسة بأنها ذات طبيعة شبه سهلية منبسطة تتخللها بعض الأودية على حافة نهر دجلة وكذلك من الجهة الغربية، وعلى العموم فهي عالية نوعاً ما عن مستوى سطح البحر، إذ يبلغ ارتفاع مدينة تكريت ١٠٥ م عن مستوى سطح البحر.

جرت عدة دراسات علمية توصلت إلى نتيجة تقول بأن للتباين التضاريسي تأثير على نوع المرض ومدى انتشاره، وهناك أمراض ترتبط بالسهول ومشخصة عالمياً^(٥).

تقع المنطقة ضمن بادية الجزيرة الجنوبي للعراق، كما إن نهر دجلة قد اخترق هذه المنطقة، ويلاحظ امتداد منطقة الجزيرة إلى شرق النهر في مناطق العيث حيث إن هذه المنطقة يتراوح ارتفاعها بين (٥٠-٧٥) م فوق مستوى سطح البحر وتتخلل هذه المنطقة كثبان رملية مختلفة الأنواع بالإضافة إلى سيادة التربة الملحية فيها^(٦).

إن تربة منطقة الدراسة تنقسم إلى عدة أقسام فتظهر التربة الرسوبية ابتداءً من مدينة تكريت شمالاً وحتى مدينة بغداد جنوباً على جانبي نهر دجلة، وتعتبر من أجود أنواع تربة العراق وهي مستغلة استغلالاً كاملاً.

إما التربة المزيجية وتشكل نسبة قليلة في منطقة الدراسة وتظهر في الأجزاء الشرقية لمدينة تكريت، وقد طمرت هذه التربة برواسب حديثة يصل سمكها ما بين (٣-٢) م^(٧). وفيما يتعلق بمنطقة الكثبان الرملية فأنها تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المحافظة.

الدراسات السابقة:

قلّة من الباحثين تناولوا التوزيع الجغرافي والتباين المكاني للأمراض وتعليل أسبابها، وجاءت هذه الدراسات إما بصفة عمومية على العراق أو مقتضبة لمنطقة معينة وذكر منها:

١- المظفر، محسن عبد الصاحب^(٢)، ١٩٧٩، وكانت دراسته بعنوان (التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق، دراسة في الأسس الجغرافية للتخطيط الصحي) جاء فيها تحليل لأمراض (حبة بغداد، الملاريا، البلهارزيا، الانكلستوما، الأكياس المائية، التدرن الرئوي، الكلا أزار) المتوطنة في العراق، ويعد الدكتور محسن عبد الصاحب أول من درس العلاقة بين نسب الإصابة بالأمراض المتوطنة في العراق والعوامل الجغرافية. وقد أوجد علاقة بين بعض الأمراض ودرجة حرارة الهواء والرطوبة النسبية.

٢- العجيلي، محمد صالح ربيع^(٣)، ١٩٨٩، (الوظيفة الصحية لمدينة بغداد) تناول فيها الوظيفة الصحية لمدينة بغداد والخاصة بسكانها وسكان إقليمها الوظيفي من الناحية التاريخية وكيف تطورت الوظيفة الصحية في المدينة وكفاءتها. وقد توصل الباحث في دراسته إلى تذبذب أداء الوظيفة الصحية ومستوى خدماتها بين الجانب الإيجابي الكفاء والجانب السلبي المتدني، ويؤخذ على الباحث أنه تناول في موضوعه الجانب البشري ولا سيما (جغرافية المدن) في حين أهمل الجانب الطبيعي ودوره في التأثير على الوظيفة الصحية.

٣- العلوي، إيمان طارق^(٤)، ١٩٨٠ وكان عنوان دراستها (تأثير الطقس والمناخ على الجسم البشري وعلاقة ذلك ببعض الأمراض) تناولت الباحثة حساب معدلات درجات الحرارة المؤثرة وقوة التبريد ودرجة الحرارة المكافئة لهبوب الرياح، وكذلك صنفت مناخ العراق باستخدام معادلة كوبن.

وجاءت دراستنا كدراسة حالة لمرض الكبد الفيروسي البائي في مدينة تكريت والمناطق التابعة لها في محاولة للكشف عن دور العامل الطبيعي والبشري في تفشي المرض وكيفية الحد من انتشاره.

ثانياً: العوامل المؤثرة ودورها في انتشار المرض

عرف هذا المرض منذ أوائل القرن العشرين الميلادي، ولكن الفيروس لم يكتشف حتى عام ١٩٧٣م، ويسمى أحياناً التهاب الكبد المعدي لسهولة انتشاره وحصول العدوى به، وهو مرض حاد يستمر حوالي ثلاثة أسابيع، وينتقل الفيروس ثم ينتشر عن طريق الأكل والشرب الملوّث، ويتفشى المرض في حضانات الأطفال والمدارس، يمكن تعريف المرض بأنه فيروس يصيب الكبد Hepatitis ويمكنه إحداث أعراض خفيفة إلى وخيمة. ينتشر المرض من خلال ظاهرة السراية البرازية - الفموية، أي عندما يتناول الفرد طعاماً أو شرباً ملوّثاً ببراز شخص يحمل العدوى. هناك علاقة وثيقة بين المرض وتدني وسائل التنظيف وانعدام عادات النظافة الشخصية، مثل غسل اليدين.

جاءت هذه الدراسة لكشف واقع المرض في مدينة تكريت والمناطق التابعة لها سواء كانت ريفية أم حضرية لسنة ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ بسبب صعوبة الحصول على البيانات الصحية والكتمان غير المبرر من قبل الدوائر الحكومية، وتم التعرف على تكرار حدوث المرض بالمقارنة مع أشهر السنة بغية الكشف عن علاقة المرض بالتطور الزمني للبيئة، وتم دمج بعض مناطق الدراسة بمنطقة واحدة كونها متاخمة للمنطقة المحاذية وتشترك في نفس الصفات، وتجنباً للإطالة والتكرار وعلى هذا الأساس أخذين بنظر الاعتبار مراعاة الحفاظ على مناطق الريف والحضر كل على حدة، فمدينة تكريت مركز المدينة قد ضمت كل من حي المعلمين وحي شيشين، العوجة، القادسية، معهد الدروع، أما ناحية العلم فقد ضمت كل من سمرة الخزامية.

فيكشف الجدول (١) والشكل (١) بأن أعلى حالات المرض قد سجلت في شهر كانون الأول بمجموع ١٦ إصابة من مجموع ٥٥ إصابة خلال سنة ٢٠٠٥، يليها شهر تشرين الثاني بواقع ٧ إصابات، حيث أخذت مدينة تكريت مركز الصدارة

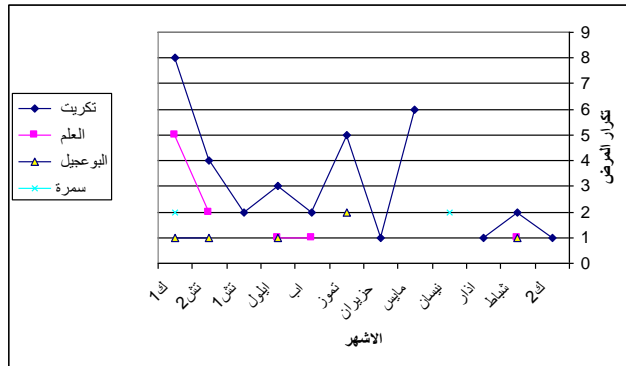
في نسبة تكرار المرض وبواقع ٨ حالات لنفس السنة خلال شهر كانون الأول، أما أدنى المناطق تسجيلاً للمرض كل من سمرة والبوعجيل وبواقع (٤، ٦) على التوالي وهي مناطق ريفية يكمن القول أن العوامل المناخية والريفية وخاصة الهواء أكثر نقاوة من المدن المزدهمة بالسكان والبيوت الملاصقة مما يسمح بسهولة انتقال المرض داخل المدن المزدهمة.

جدول (١) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي في

مدينة تكريت لعام ٢٠٠٥ حسب أشهر السنة

المنطقة	ك٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	أب	أيلول	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١	المجموع
تكريت	١	٢	١		٦	١	٥	٢	٣	٢	٤	٨	٣٥
العلم		١						١	١		٢	٥	١٠
البوعجيل			١				٢		١		١	١	٦
سمرة				٢								٢	٤
المجموع	١	٤	١	٢	٦	١	٧	٣	٥	٢	٧	١٦	٥٥

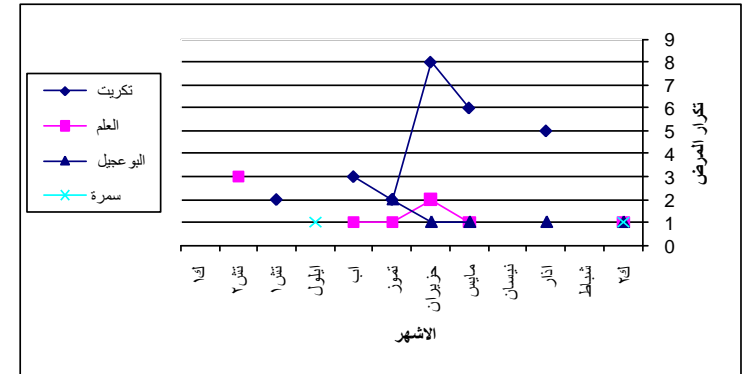
مخطط (١) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي في
مدينة تكريت لعام ٢٠٠٥ حسب أشهر السنة



جدول (٢) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي في
مدينة تكريت لعام ٢٠٠٦ حسب أشهر السنة

المنطقة	ك	شباط	اذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	اب	ايلول	تشرين ١	تشرين ٢	ك	المجموع
تكريت		٥			٦	٨	٢	٣		٢			٢٦
العلم	١				١	٢	١	١			٣		٩
البوعجيل	١		١		١	١	٢						٦
سمرة	١								١				٢
المجموع	٣	٦			٨	١١	٥	٤	١	٢	٣		٤٣

مخطط (٢) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي في
مدينة تكريت لعام ٢٠٠٦ حسب أشهر السنة



اما ادنى حالات تكرار المرض فقد سجلت خلال الأشهر كانون الثاني، آذار،
حزيران وبواقع حالة واحدة لكل شهر.

اما سنة ٢٠٠٦ فيكشف الجدول (٢) والشكل (٢) إن أعلى حالات تكرار
المرض قد سجلت في شهر حزيران بواقع ١١ حالة من مجموع ٤٣ حالة، يليها شهر
مايس بواقع ٨ حالات من مجموع ٤٣ حالة. إما الأشهر التي لم تسجل أي حالة
إطلاقاً للمرض هي كانون الأول وشباط ونيسان. وكانى هناك علاقة بين ارتفاع
درجات الحرارة وازياد المرض وقلته مع انخفاض درجات الحرارة وقد يكون ذلك بسبب
استخدام المياه ومياه الأنهار للسلابة وكثرة الأتربة والغبار.

ومن ناحية التباين المكاني فقد سجلت مدينة تكريت أعلى حالات تكرار
المرض وبواقع ٢٦ حالة من مجموع ٤٣ حالة، إما أدنى حالات تكرار المرض فقد
سجلت في منطقة سمرة بواقع ٢ حالة من مجموع ٤٣ حالة. هذا يعطي انطباع ان
المدن المزدحمة اكثر عرضه للإصابة بالمرض وتأتي عوامل اخرى من المستوى
المعاشي والدخل وعدد الغرف في الدار والواحدة ومقدار التهوية وموقع الدار.

ثالثاً: التركيب النوعي وعلاقته بالمرض

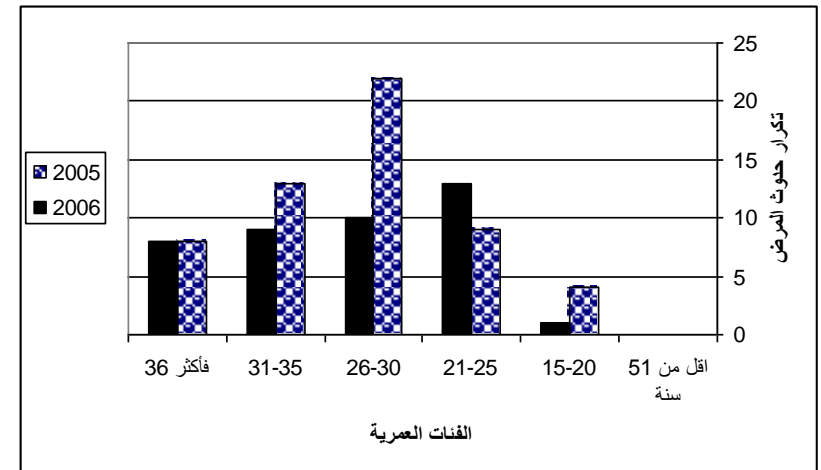
ويقصد بالتركيب النوعي تصنيف السكان إلى ذكور وإناث ويعتبر التركيب العمري والنوعي من أهم أنواع التركيب السكاني في الدراسات الديموغرافية بشكل عام، وبغية تحديد الفئة العمرية التي يزداد فيها المرض.

يكشف الجدول (٣) والشكل (٣) حالات تكرار المرض بالمقارنة مع التركيب النوعي للسكان

جدول (٣) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي بالنسبة للتركيب العمري في مدينة تكريت للمدة (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦)

المنطقة	أقل من ١٥ سنة	١٥-٢٠	٢١-٢٥	٢٦-٣٠	٣١-٣٥	٣٦ فأكثر	المجموع
٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦
تكريت	٤	٨	٨	٨	٦	١٠	٢٦
العلم	١	١	٢	٢	٢	٤	١١
البرعجل	٣	٣	٣	٢	١	٢	٦
سمرة	٢	٢	٢	١	١	٤	٢
المجموع	٤	١	٩	١٣	٢٢	١٠	٥٦

شكل (١) تكرار الحالات المرضية لداء الكبد الفيروسي البائي بالنسبة للتركيب العمري في مدينة تكريت للمدة (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦)



يلاحظ إن سنة ٢٠٠٥ قد سجلت أعلى حالات تكرار المرض ضمن الفئة العمرية ٢٦ - ٣٠ سنة وبواقع ٢٢ حالة من مجموع ٥٥. ثم تليها فئة ٣١ - ٣٥ سنة وبواقع ١٣ حالة.

ويظهر إن فئة ١٥ سنة فأقل لم تسجل أي حالة حدوث للمرض تليها فئة ١٥ - ٢٠ سنة حيث سجلت ٤ حالات من مجموع ٥٥ حالة.

أما سنة ٢٠٠٦ فقد سجلت أعلى حالات حدوث المرض ضمن الفئة العمرية ٢١ - ٢٥ سنة وبواقع ١٣ حالة من مجموع ٤٣ حالة تليها فئة ٢٦ - ٣٠ سنة. ويظهر إن فئة ١٥ سنة فأقل لم تسجل أي حالة حدوث للمرض تليها فئة ١٥ - ٢٠ سنة حيث سجلت ٤ حالات من مجموع ٥٥ حالة.

رابعاً: التركيب النوعي للذكور والإناث المصابين حسب العوام

٢٠٠٥ و ٢٠٠٦

بلغ عدد المصابين من الذكور لعام ٢٠٠٥ حوالي ٤٢ حالة وعام ٢٠٠٦ حوالي ٢٩ حالة مرضية إما الإناث فقد بلغ عدد الحالات المرضية اقل من الذكور بسبب قلة الجهد والجلوس في البيوت مما اظهر لنا عام ٢٠٠٥ حوالي ١٣ حالة بينما عام ٢٠٠٦ سجل ١٤ حالة موزعة على منطقة الدراسة وكما موضحة في الجدول رقم (٤)

المنطقة	الذكور		الإناث		النسبة المئوية للذكور		النسبة المئوية للإناث	
	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٥	٢٠٠٦	%٢٠٠٥	%٢٠٠٦	%٢٠٠٥	%٢٠٠٦
تكريت	٣١	٢٠	٤	٦	٧٤	٦٩	٣١	٤٣
العلم	٨	٣	٣	٢	١٩	١٠	٢٣	١٥
البوعجيل	٢	٤	٣	٣	٥	١٤	٢٣	٢١
سمرة	١	٢	٣	٣	٢	٧	٢٣	٢١
المجموع	٤٢	٢٩	١٣	١٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

خامساً: تحليل نتائج الدراسة

من خلال العرض السابق تبين انه ليس هناك علاقة ما بين الظروف الطبيعية ونسبة تكرار المرض، ويلاحظ إن العلاقة عكسية تماماً ما بين سنوات ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ خلال التطور الزمني لتكرار المرض كما في الشكل (١، ٢) ففي سنة ٢٠٠٥ يسجل شهر كانون الأول أعلى حالات حدوث المرض إما في سنة ٢٠٠٦ فلا توجد أي حالة للمرض تذكر.

لم تثبت نظرية البحث صحتها استناداً على الاحصائيات المستحصلة من دائرة إحصاء تكريت للصحة من خلال افتراض وجود علاقة وثيقة ما بين عوامل المناخ وبين انتشار مرض داء الكبد الفيروسي.

إما التباين المكاني لانتشار المرض فقد تم افتراض إن المناطق الريفية تسجل أعلى حالات تكرار المرض بسبب نقص الخدمات وفقدان الوعي الصحي، إلا إن ما أثبتته البيانات عكس ما تم افتراضه، فقد سجلت مدينة تكريت أعلى حالات تكرار المرض خلال السنوات ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦. ويلاحظ ان هناك علاقة عكسية بين الابتعاد عن مركز المدينة ونسبة تكرار المرض فكلما ابتعدنا عن مركز المدينة قلت نسبة المرض.

ويمكن ان نعزي ذلك إلى مجموعة أسباب أهمها:

١- ليس هناك تباين كبير في المعطيات الطبيعية لمنطقة الدراسة والمتمثلة بالتربة والتضاريس وغيرها اثر في تباين انتشار المرض، ولم تظهر تباينات تلفت النظر تجعل عملية المقارنة بين العوامل الطبيعية ونسبة انتشار المرض ذو غاية في البحث.

٢- بما إن مصدر البيانات مستحصلة من مستشفى تكريت التعليمي فهذا يعني سهولة الوصول إلى المستشفى من سكان المدينة وعلى العكس المناطق الريفية البعيدة.

٣- أثبتت الدراسات الخاصة بالمرض إن السبب المباشر في انتقال العدوى عن طريق الدم بالدرجة الأولى ومن ثم الاتصال الجنسي بالدرجة الثانية، وهذا يعني إن هناك سبب رئيسي في تفشي المرض عن طريق الاتصال الجنسي بنوعيه الشرعي والغير شرعي.

هو مرض فيروسي حاد كان معروفا للرومان واليونانيين القدماء، وقد انتشر بصورة أوبئة شديدة وخصوصا في أوقات الحروب حيث كان سريع الانتشار في المعسكرات وفي أماكن الازدحام وهو متوطن في الوقت الحاضر في معظم بلاد العالم وخصوصا في الأقاليم الحارة والدافئة وهو من الأمراض البيئية التي ترتبط بانخفاض مستوى الوعي الصحي ومستوى النظافة وخصوصا في المأكول والمشرب، ولهذا فإنه أكثر انتشارا في الدول النامية. ويمكن انتقال عدوى هذا الالتهاب بالمخالطة المباشرة بشخص مصاب أو حامل للفيروس ويمكن ان يكون المصاب مصدرا للعدوى حتى قبل ان تظهر عليه أعراض المرض. أي عندما يكون الفيروس الذي إصابة مازال في فترة الحضانة وهي فترة طويلة تتراوح بين ١٥-٥٠ يوما ويمكن ان تنتقل العدوى كذلك عن طريق الغذاء أو الماء الملوث بالفيروس.

وكثيرا ما يكون تلوث الطعام أو الشرب سببا لانتشار المرض بشكل وبائي، ويحدث هذا عادة اذا وجد بين المشتغلين بإعداد المأكولات أو توزيعها أشخاص مصابون أو حاملون للفيروس وقد تبين ان هذا الفيروس يخرج بكميات كبيرة مع البراز، وخصوصا براز الشخص المصاب الذي مازالت إصابته في دور الحضانة، كما يمكن ان تحدث العدوى نتيجة لتناول أطعمة غير مطهية طهياً كافياً. وأكثر الأشخاص تعرضا للإصابة بالتهاب الكبد الوبائي هم الأطفال والجنود في اثناء الحروب. وقد يكون سبب انتشار المرض في منطقة الدراسة بسبب اعداد الجنود الممثلين وكثافتهم العددية ووجود معسكرات متعددة في منطقة الدراسة من فضلات ومخلفات قد ساهمت بشكل فعال في زيادة أعراض المرض وانتشاره.

إما أعراض المرض فهي: الميزة اصفرار لون البشرة حتى انه يشتهر عموما باسم (مرض الصفراء) إلا ان هذا الاصفرار يظهر عادة متأخرا بعد ان تسبقه أعراض أخرى منها الصداع وفقدان الشهية والغثيان والقي والإسهال. وعلى الرغم من ان هذا

٤- هناك فرصة كبيرة لانتشار المرض في المدينة بسبب الزحام والتلوث والاختلاط أكثر من الريف وهذا بسبب نقاوة أجواء الريف وقلة الإصابة بالمرض. اما علاقة التركيب العمري للسكان بانتشار المرض فيلاحظ انه ينتشر ضمن فئة الشباب أي بين الفئات العمرية ٢٥ - ٣٥ سنة وينعدم في فئة ١٥ سنة فأقل وهذا ايضا يعزى إلى أسباب أهمها:

- ١- تساعد انتشار المرض في الفئة المنتجة من المجتمع يكون سبب المرض بسبب الجهد النفسي والعضلي المبذول من قبل هذه الفئة.
- ٢- ان ممارسي العادات الا أخلاقية وممارسة الحقن بالمخدرات عن طريق زرق الإبر لأكثر من شخص يكون سببا في انتشار العدوى أكثر من غيرهم في هذه الفئة العمرية. وتم معرفة ذلك من خلال سجلات الإحصاء الحيوية في مستشفى تكريت العام

التهابات الكبد الفيروسي

إن الكبد هو احد أعضاء الجسم الحساسة التي تتعرض للإصابة بعدة إمراض، ونظراً لأهمية الوظائف التي يؤديها الكبد وحيويتها بالنسبة لكل الجسم، وخصوصا الوظائف المتعلقة بالدورة الدموية، فان أي إصابة تلحق به ينعكس أثرها على الجسم كله، إذا ما أدت إلى إصابته إلى فشلة في تأدية وظائفه فان هذا الفشل يؤدي غالبا إلى الوفاة كما هو الحال عند تتليف أنسجته وخلاياه^(٨).

وتعتبر التهابات الكبد الفيروسية من الأمراض الهامة والشائعة التي تصيب

هذا العضو الحساس في الجسم وهو الكبد. وهو هناك نوعان رئيسيان هما

١- التهاب الكبد المعدي (الوبائي) ويرمز له بالحرف A.

٢- التهاب الكبد المصلي ويرمز له بالحرف B.

التهاب الكبد المعدي (الوبائي) Infective Hepatitis نوع A

١٩٧٠ ويسمى أحيانا التهاب الكبد الفيروسي المصلي لكونه ينتقل عن طريق الدم، مثل نقل الدم واستعمال الإبر الملوثة، وعرف عنه مؤخرا احتمال انتقاله من ألام الى طفلها وعن طريق المعاشرة الجنسية^(١١).

٣- التهاب الكبد الفيروسي C Viral Hepatitis

تم اكتشاف هذا الفيروس عام ١٩٨٩ وينتقل الى طريق الدم مثل نقله من المصاب الى السليم، واستعمال الإبر الملوثة، ولكن هناك كثيرا من المرضى لا يعرفون كيف تم نقل المرض إليه.

المرض قد يؤثر على بعض الأعضاء مثل الأمعاء والقلب والبنكرياس والطحال إلا إن تأثيره الأساسي يكون على الكبد الذي يتضخم ويضعف نسيجه، والذي يضطره لملازمة الفراش مدة شهرين او ثلاثة فان معدل الوفيات التي تنجم عن هذا المرض منخفضة بصفة عامة حتى انه لا يزيد عن ٠,٥% من الحالات بالنسبة للأطفال وصغار الشباب^(٩).

التهاب الكبد المصلي ويرمز له بالحرف B Serum Hepatitis. نوع B

هذا النوع من الالتهاب اوسع انتشاراً واشد حدة وخطورة من النوع الأول اذ يصل ارتفاع الوفيات فيه إلى ٣٠% ويقدر عدد حاملي فيروس هذا النوع بنحو مائتي مليون شخص في العالم على الأقل. ومن خصائصه الخطيرة انه يبقى دائما في جسم الإنسان المريض وخصوصا الأطفال عند الولادة ثم يصل إلى ان يبقى مزمن ويصل إلى تليف الكبد وتتشابه أعراض هذا المرض مع الأول سوء إن فترة حضانتة أطول نسبيا، تتراوح ما بين ١٥-١٠٠ يوم.

أنواع مرض الكبد الفيروسي:

١- التهاب الكبد الفيروسي A Viral Hepatitis

عرف هذا المرض منذ وائل القرن العشرين الميلادي، ولكن الفيروس لم يكتشف حتى عام ١٩٧٣ ويسمى أحيانا التهاب الكبد المعدي لسهولة انتشاره وحصول العدوى به، وهو مرض حاد يستمر حوالي ٣ أسابيع، وينتقل الفيروس (HAV) وينتشر عن طريق الأكل والشرب الملوث، ويتفشى المرض في حضانات الأطفال والمدارس، وهذا النوع ليس به خطورة إلا في حالات قليلة جداً^(١٠).

٢- التهاب الكبد الفيروسي B Viral Hepatitis

ان هذا المرض معروفاً منذ عام ١٩٣٠ ولكن تم اكتشاف جزاء من هذا الفيروس (HBV) في عام ١٩٦٣ وشوهدت الجزئية الفيروسية الكاملة بالمجهر عام

الخلاصة والاستنتاجات:

- ١- ان دور العوامل الطبيعية الثابتة والمتحركة محدود في انتشار المرض او الحد منه.
- ٢- ينتشر المرض في المناطق الحضرية اكثر من الريف، فالعلاقة عكسية تماماً فيقل المرض كلما ابتعدنا من المركز الحضري باتجاه الريف.
- ٣- ينتشر المرض في الفئة المنتجة من المجتمع بين ٢٥ - ٣٥ سنة.
- ٤- توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالبيانات الصحية ودقتها لأنها المصدر الوحيد للدراسات المختلفة.
- ٥- إعداد بنك معلومات صحية في مستشفى تكريت التعليمي يزود الباحثين بالمعلومات والمراجع بخصوص الأمراض.
- ٦- إعداد منظومة معلومات بين دائرة الصحة ودائرة الأمراض المعدية والمتوطنة.
- ٧- توصي الدراسة بإنشاء خرائط رقمية لكل منطقة وتوقيع البيانات عليها من قبل الدائرة

الهوامش:

- (١) محمد أزهر سعيد السماك، قبيس سعيد الفهادي، صفاء يونس الصفواي، أصول البحث العلمي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٦.
- (٢) محسن عبد الصاحب المظفر، التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠.
- (٣) محمد صالح ربيع العجيلي، الوظيفة الصحية لمدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
- (٤) إيمان طارق العلوي، تأثير الطقس والمناخ على الجسم البشري في العراق وعلاقة ذلك ببعض الأمراض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٠.
- (٥) محسن عبد الصاحب المظفر، الجغرافيا الطبية، دار شموع للثقافة والطباعة والنشر والتوزيع، ليبيا، ٢٠٠٢، ص ١١٧.
- (٦) سعد عجيل مبارك، التأثيرات المناخية في العمليات الجيومورفولوجية الريفية لمنطقة العيث في قضاء الدور وآثارها البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٤٣.
- (7) Buring. Soil and Soil condition in Iraq. Iraqi Ministry of Agricultural, Baghdad, Iraq 1960. P. 137.
- (٨) يعقوب يوسف الكندي، الثقافة والصحة والمرض رؤية جديدة في الانثروبولوجيا المعاصرة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٣، ص ٢٣٣.
- (9) Davidson, S& Macleod, J (edits) (1972) Principles & Practic of Medicine 10th ed Livingstone Edinburgh.
- (١٠) المجلة الطبية، عدد ١٢١ سنة ٢٠٠٦، على موقع الانترنت WWW.SAUDICONCET.COM
- (١١) تقرير منشور على موقع الانترنت WWW.ZAVENONLINE.COM

المصادر:

- ١- إيمان طارق العلوي، تأثير الطقس والمناخ على الجسم البشري في العراق وعلاقة ذلك ببعض الأمراض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٠.
- ٢- احمد حافظ موسى، وآخرون الأمراض المتوطنة بإفريقيا واسيا، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٧٥.
- ٣- ريفلمول. بونيتات. كيلستروم، أساسيات علم الوبائيات، منظمة الصحة العالمية، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
- ٤- عصام حمدي الصفي، مبادئ علم وبائيات الصحة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الاولى، عمان، ٢٠٠١.
- ٥- طارق أسامة صالح، الصحة والبيئة، مكتبة المجتمع العربي للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، الأردن، ٢٠٠٥
- ٦- سعد عجيل مبارك، التأثيرات المناخية في العمليات الجيومورفولوجية الريحية لمنطقة العيث في قضاء الدور وآثارها البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
- ٧- محمد أزهر سعيد السماك، قبيس سعيد الفهادي، صفاء يونس الصفاوي، أصول البحث العلمي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٦.
- ٨- محسن عبد الصاحب المظفر، التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠.
- ٩- محسن عبد الصاحب المظفر، الجغرافية الطبية منهجاً ومضموناً وتحليلاً، مطبعة دار شعاع، الطبعة الأولى، ليبيا، ٢٠٠٢.

- ١٠- محمد صالح ربيع العجيلي، الوظيفة الصحية لمدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
- ١١- منظمة الصحة العالمية، دراسات في توطن الأمراض والأوبئة، التقرير السنوي للصحة، ٢٠٠٥، ٤٢٠.
- ١٢- محمد مدحت جابر، فانت محمد ألبناء، دراسات في الجغرافية الطبية، مكتبة لانجلوا المصرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- ١٣- يعقوب يوسف الكندي، الثقافة والصحة والمرض رؤية جديدة في الانثروبولوجيا المعاصرة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٣.

المصادر الأجنبية

- 1- Howe G.M. World Geography of Human Diseases, Academic press, London 1977.
- 2- Mcglashan, N.D, Medical Geography- Techniques & Fired Studies, Methuen & Co, Ltd. 1973.
- 3- Wright, F.J & Baird J.P. Tropical Diseases principles & Pratices of Medicine Edited by Davidson and Macleod Liningstone Edinburgh, 1972.

أولاً: المقدمة:

يتمثل حوض أعالي الفرات في العراق بالجزء الغربي ويشغل مساحة مقدارها ٧٦٩٧٥ كم^٢ ويشكل ما نسبته ١٨% من مساحة العراق و ٥٦% من مساحة محافظة الانبار البالغة ١٣٧٨٣٠ كم^٢ ذات المناخ الصحراوي استنادا الى خصائصها الجغرافية الطبيعية من حيث طبيعة المناخ وتطرف عناصره. بحيث اصبح هذا الحوض يقع تحت تاثير المناخ الجاف من خلال سماته المتمثلة بقلة التساقط وارتفاع المعدل الحراري مما ترتب على ذلك فقر المنطقة في النبات الطبيعي فظلا عن ذلك انعكس على الجانب الزراعي بالدرجة الاساس من حيث الحاجة الى المتطلبات المائية للمحاصيل الزراعية وزيادة المساحات المزروعة مما اصبح الاعتماد على المورد المائي الدائم المتمثل بنهر الفرات لاستثمار الاراضي الزراعية على جانبي النهر فضلا عن استثمار المياه الجوفية التي بدأت اهميتها تزداد بشكل نسبي في معظم منطقة الدراسة. ومن هنا تبرز اهمية منطقة الدراسة من خلال الامكانيات الطبيعية والبشرية مما يجعلها مؤهلة لان تكون اساسا ترتكز عليه خطط وبرامج التنمية ليس على مستوى محافظة الانبار فحسب وانما على مستوى العراق بما يغير من صورة الواقع الحالي لمنطقة الدراسة والتي تتركز بها هذه الامكانيات وخاصة المعدنية منها في تجهيز الموارد الاولى التي تدخل في العديد من الصناعات في العراق او خارجه مما انعكس على الاهمال الواضح والبطئ لخطط التنمية وخصوصا ما بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ومن هنا برزت مشكلة البحث التي تم تحديدها بالاتي:-

- ان منطقة الدراسة على الرغم من امكانياتها التنموية الاقتصادية ومواردها الطبيعية المنتشرة في معظم اجزائها لم تحض بالاهتمام الكافي بما يتناسب وحجم هذه

حوض أعالي الفرات في العراق الواقع الجغرافي والإمكانيات التنموية

أ.م.د. كمال صالح كركوز العاني

جامعة الانبار / كلية الآداب / قسم الجغرافية

ملخص البحث

حوض أعالي الفرات في العراق من أوسع مناطق الانبار الطبيعية ويمثل ٥٦% من مساحة محافظة الانبار الكلية، اذ تنتوع فيه المظاهر الطبيعية ويتباين توزيع السكان ونشاطاته البشرية مما انعكس على تنوع الإمكانيات التنموية التي يمكن استثمارها في مجالات متعددة منها الاقتصادية المتمثلة بالزراعية والصناعية والتجارة والنقل ومن خلال الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة وذلك لمحاادثته ثلاث دول عربية (سوريا، الاردن، وجزء محدود من المملكة العربية السعودية) فضلاً عن إمكانية التنمية للموارد البشرية.

تم التركيز في هذا البحث عن الواقع الجغرافي لحوض أعالي الفرات في العراق من الناحيتين الطبيعية والبشرية ودورها في التنمية. اما من الناحية الادارية فان منطقة الدراسة تضم اقصية (القائم، عنه، راوة، حديثة، الرطبة وهيت) ويتبعها ثمانية نواحي هي (العبيدي، العبور، الحقلانية، بروانه، البغدادي، كبيسة، الفرات والوليد) التي تقع على الحدود السورية العراقية وتابعة الى قضاء الرطبة. ويمكن اعتبار منطقة الدراسة اقليماً ادرياً خاصاً يمكن ان يكون على مستوى محافظة اذا أصدرت الدولة قراراً بذلك.

٣- وجود الخيارات المتعددة للتوجهات التنموية في منطقة الدراسة سواءا للجانب الزراعي بنوعيه النباتي والحيواني والجانب الصناعي التي تشكل مواده الأولية اساسا للاستثمار فضلا عن إمكانية تنمية المنطقة سياحيا من خلال امتداد نهر الفرات وانتشار الجزر النهرية^(١) ووجود العيون ذات المياه المعدنية فضلا عن وجود الواحات الصحراوية التي يمكن استغلالها لإنشاء محميات طبيعية كما هو في العديد من الدول المجاورة التي تتشابه من حيث الظروف الطبيعية مع منطقة الدراسة في سوريا والاردن والسعودية.

أما مبررات اختيار منطقة الدراسة موضوعا للبحث يرجع الى اسباب منها: -

١- تتميز منطقة الدراسة بموقع جغرافي مهم اذ تقع في الجزء الغربي من العراق ومجاورته لثلاث دول عربية هي سوريا والاردن وجزء محدد من المملكة العربية السعودية والتي أعطته موقعا متميزا بوصفه منفذا تجاريا للعراق فضلا عن مجاورته لمحافظة نينوى وصلاح الدين شمالا اما فلكيا فتقع بين دائرتي عرض (٣٢٨-٣٥٥) شمالا وبين خطي طول (٣٩-٤٣) شرقا (خريطة رقم ١).

٢- وجود التباين الطبيعي اذ نجد منطقة الجزيرة من الشمال والتي تمثل مدينة راهوك مركزها الحضري والهضبة الغربية جنوبا متمثلة بمركزها الحضري مدينة الرطبة وناحية الوليد " التنف " على الحدود السورية العراقية وطربيل على الحدود الاردنية- العراقية والتي تعدان المنفذان الحدوديان المهمان ليس لمنطقة الدراسة فحسب وانما للعراق بشكل عام فضلا عن مدينة كبيسة التي تشتهر بانتشار عيونها للمياه المعدنية ومنطقة لصناعة السمنت والتي تبعد عن مركز محافظة الانبار ٨٥ كم اضافة الى منطقة السهل الفيضي على امتداد نهر الفرات ابتداء من دخوله الاراضي العراقية في مدينة القائم حتى الحدود الادارية الشرقية لمدينة

(١) تعرف هذه الجزر محليا بالحوایج مثل الزبدية وحديثة وربان وجبة والوس والفليوي.

الموارد في ظل الاحتلال الذي كان له الدور في استخدام غير امثل ومنتظم لهذه الموارد.

اما فرضية البحث فجاءت من خلال المقومات والامكانيات التي تقف في مقدمتها الموارد الطبيعية مما يجعلها قادرة على إيجاد فرص متعددة وكبيرة للتنمية بما يعزز مكانة محافظة الانبار بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص لكي يكون لها الدور في القدرات التنموية على مستوى العراق. واستنادا الى ذلك فان أهداف البحث تمثلت بالاتي:-

١- اعادة النظر في الكشف عن الامكانيات الحقيقية التي تلعب دورا بارزا في التنمية وعلى اختلاف انواعها.

٢- المساهمة في التوجهات المستقبلية لمنطقة الدراسة التي تشغل ٥٦% من مساحة محافظة الانبار والتي هي الاخرى تشكل ما نسبته ٣٢,٧% من مساحة العراق وتطويرها وتنميتها

٣- تحديد الواقع الحالي للمنطقة من خلال الانشطة الاقتصادية القائمة ووضع الدراسات لغرض التنمية الشاملة حاضرا ومستقبلا.

ولغرض تحقيق اهداف البحث وبما يخدم منطقة الدراسة فان منهجية البحث ستتركز على الاتي:-

١- دراسة وتحليل الواقع الجغرافي لمنطقة الدراسة لغرض تحديد التوجهات المستقبلية من خلال الامكانيات التنموية فيها.

٢- العمل على تنمية الموارد الطبيعية وخاصة المعدنية والاهتمام بها من خلال استخدام افضل الاساليب في الاستخراج والتحسين والمحافظة عليها مع تطوير تنمية الموارد البشرية التي تعد الاساس في استثمار جميع هذه الموارد الطبيعية من خلال توفير فرص العمل لسكان منطقة الدراسة.

هيت مروراً بمدن العبيدي وراوه وعنه والقائم وحديثة وبيروانة والحقلانية والبغدادية والفرات وهيت. (خريطة رقم ٢)

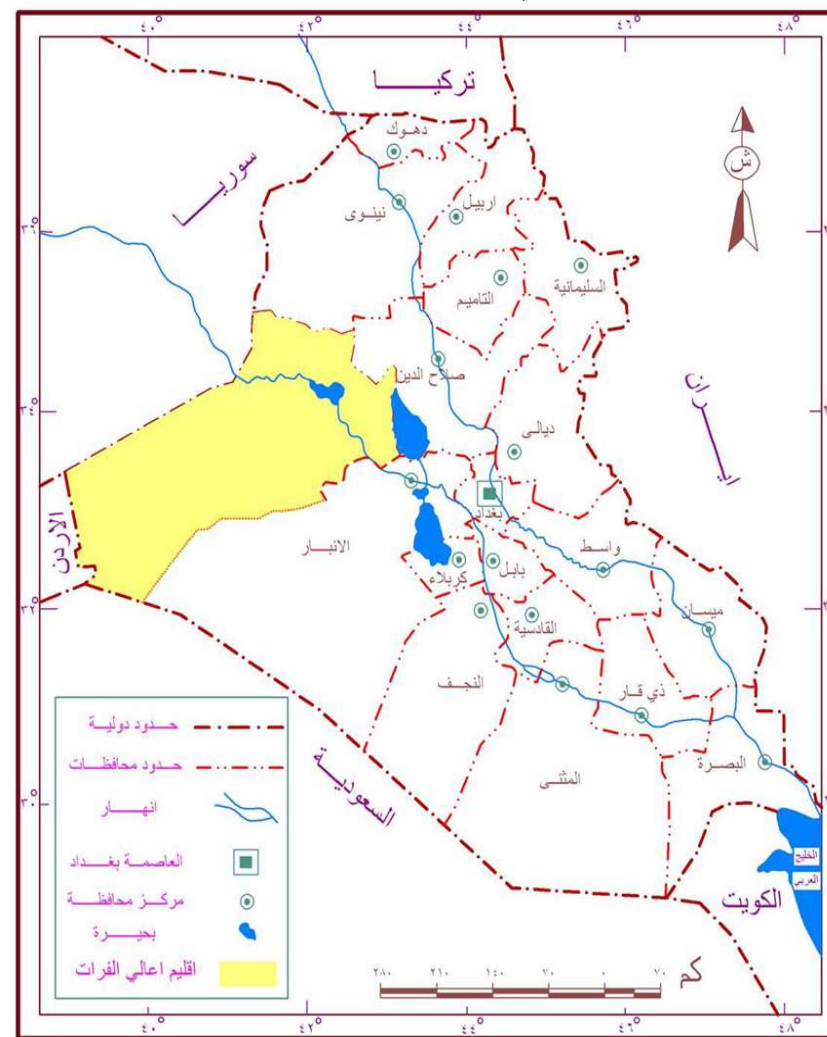
٣- يوجد في منطقة الدراسة مجموعة من السدود^(٢) التي تم انشائها على الوديان في الهضبة الغربية تقوم بحجز مياه الأمطار الساقطة في السنوات الممطرة والتي يمكن الاستفادة منها في النشاط الزراعي ورفد المياه الجوفية بالمياه، فضلاً عن سد حديثة الذي يقع إلى الشمال من مدينة حديثة بمسافة ٧ كم وبحيرته التي تصل مساحتها إلى أكثر من ٤٠٠ كم^٢ وبطاقة خزنية قصوى تصل إلى ٧,٨ مليار م^٣ والتي تعد من المناطق السياحية المهمة إذا ما تم استثمارها بشكل صحيح. إلا أن مناسيب مياهها بدأت بالانخفاض بسبب قلة التصريف من الجانب التركي مما انعكس سلباً على توليد الطاقة الكهربائية والتي بدأت أثارها السلبية واضحة على الانتاج الزراعي من خلال استخدامها في المضخات الكهربائية.

٤- عدم وجود دراسات مفصلة عن منطقة الدراسة إذ تمثلت عن محافظة الأنبار بشكل عام وإن هذه الدراسة تختلف بأهدافها عن الدراسات الأخرى من خلال الكشف عن الامكانيات والتوجهات التنموية.

(٢) بلغ عدد السدود المقامة في منطقة الدراسة ثمانية سدود وهي (الربطية، الأنبله، الاغري، الحسينية، سري، الابيض، حوران ٣، حوران ٢).

خريطة رقم (١)

موقع حوض أعالي الفرات من محافظة الأنبار والعراق



المصدر _ وزارة الري، مديرية المساحة العامة، خارطة العراق الإدارية، ٢٠٠٠، مقياس ١:٢٠٠,٠٠٠

ثانيا/ الخصائص الجغرافية لمنطقة الدراسة:

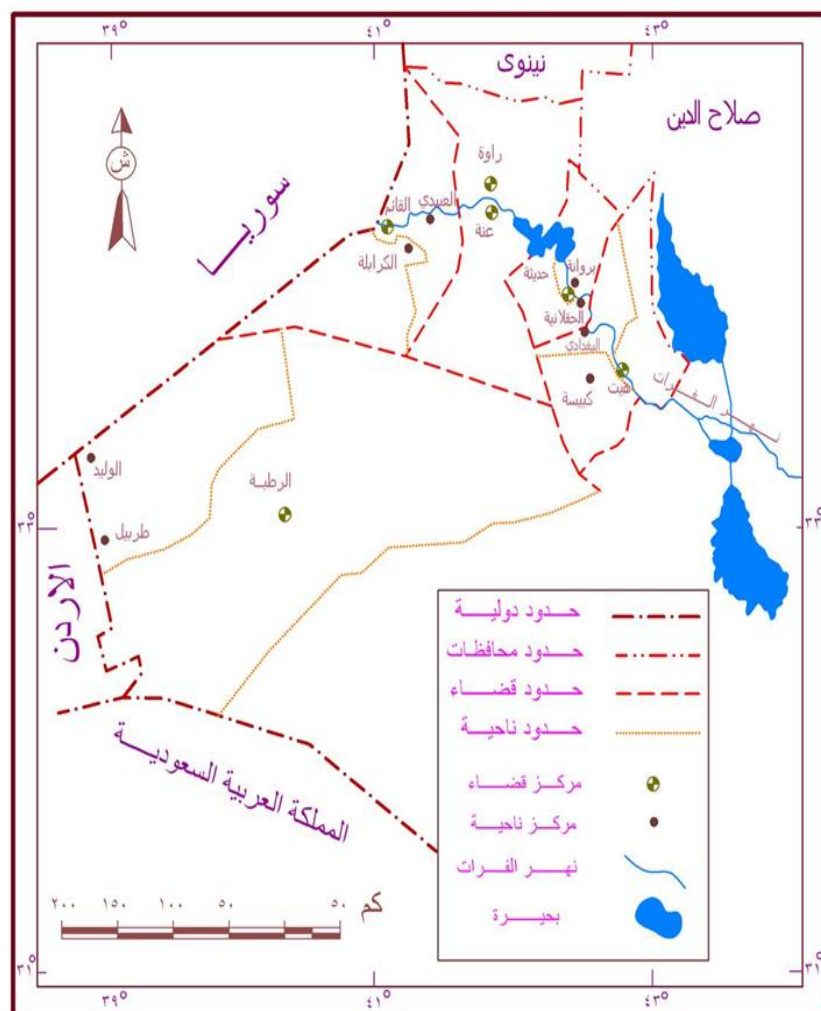
١-٢-١ الخصائص الطبيعية:

١-٢-١-١ البنية الجيولوجية:

تعد منطقة الدراسة امتدادا جيولوجيا لهضبة شبه الجزيرة العربية، أي انها تشكل جزءا من القسم الشمالي لرصيف الارض الأمامية التابع للكتلة العربية الصلبة والتي تقع ضمن الصفيحة العربية والمتكونة من قسمين هما الدرع العربي والرصيف العربي الذي يضم معظم الاراضي العراقية ومنها منطقة الدراسة والرصيف العربي يقسم ايضا الى قسمين هما الرصيف المستقر والرصيف غير المستقر الذي تقع فيه منطقة الدراسة (١)

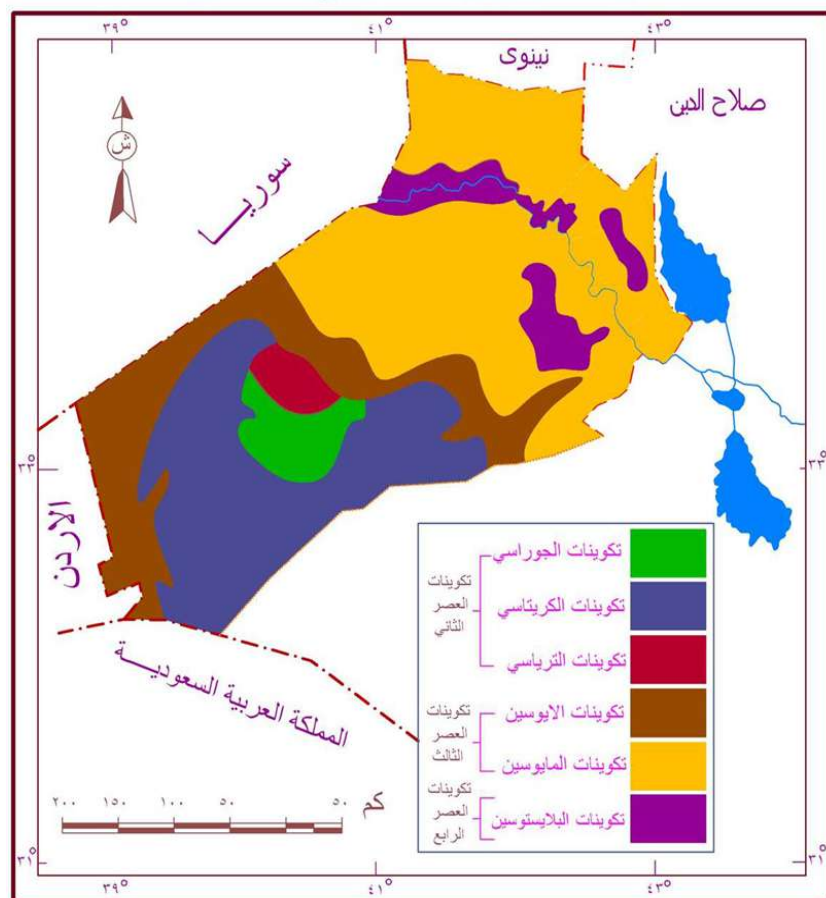
ومن خلال الدراسات والمصادر التي تناولت جيولوجيا ارض العراق بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص يمكن القول ان هناك تباينا واضحا للتكوينات الجيولوجية من حيث اعمارها وتراكيبها (خريطة رقم ٣) ومن هذه التكوينات.

خريطة رقم (٢) حدود الادارية لمنطقة الدراسة



المصدر _ وزارة الري، مديرية المساحة العامة، خارطة محافظة الأنبار الادارية، ٢٠٠٠، مقياس ١:٥٠٠٠٠٠

خريطة رقم (٣)
التكوينات الجيولوجية السطحية في منطقة الدراسة



المصدر _ وزارة الصناعة والمعادن ، الهيئة العامة للمسح الجيولوجي والتعديني ، الخارطة الجيولوجية العامة للعراق ، مقياس ١: ١٠٠٠٠٠٠

١-٢-١-١ تكوينات العصر الثاني: ويتوزع في عدة مناطق من منطقة الدراسة ويشمل تكوينات هي:

أ- الترياسي: والذي يتمثل في تكوين الكعرة الواقع الى شمال مدينة الرطبة ويبلغ سمكه حوالي (٢٥) م ويتألف من صخور رملية خشنة الحبيبات ومتوسطة ومتقاطعة ومتعددة الالوان تتناوب مع صخور كاؤولينية متعددة الالوان تدخل كمواد اولية في صناعة السمنت الابيض والسيراميك والعوازل الكهربائية والطابوق الناري اضافة الى اكاسيد الحديد وبنوعيه الليمونيت والهيمايت (٢)

ب- الكريتاسي: ينتشر هذا التكوين على شكل قوس منحنى يبدأ من وادي حوران شمالا الى وادي عامج جنوبا ثم ينحرف نحو الغرب في اتجاه مدينة الرطبة ويخفي عند موقع يبعد حوالي ٦٠ كم شرق مدينة الرطبة (٣) . واهم تكويناته الرمل الابيض والحجر الرملي الناعم والخشن وبالوان مختلفة فضلا عن الحجر الجيري والدولمايت والمستخدم كمواد اولية في العديد من الصناعات.

ج- الجوراسي: وتشغل تكويناته في الجهات الشرقية من تكوينات الترياسي بينما تمثل مدينة الرطبة حدوده الجنوبية اما سمك هذه التكوينات فيتراوح من ٢٥-٥٠ م ومكوناته الصخور الرملية الخشنة ومتداخلة مع صخور المارل المتعدد الالوان مع طبقات من الحديد المستخدم في صناعة السمنت فضلا عن صخور الصوان والدولمايت (٤) .

١-٢-١-٢ تكوينات العصر الثالث: يتضح من الخريطة الجيولوجية لمنطقة الدراسة ان هذه التكوينات تنتشر في جهات مختلفة اذ يمتد من منطقة البادية الشمالية الى بادية الجزيرة وتشمل على تكوينين هما:

١- الايوسين: ويمتد بموازاة الحدود العراقية الاردنية وجزء محدود مع المملكة العربية السعودية وغربا الحدود السورية - العراقية وتتألف صخره من الدولمايت والصخر الجيري وذات مسامية منخفضة تتراوح من ١- ١٠ % اضافة الى انها غنية بكاربونات الكالسيوم التي تمتاز بسرعة ذوبانها بالماء لذا اصبحت مياهها ذات ملوحة مرتفعة واستخدامها محدود للاستهلاك البشري (٥) .

٢- المايوسين: ويعد من أكثر تكوينات العصر الثالث انتشارا إذ يمتد من البادية الشمالية جنوبا يمين نهر الفرات ويصل شرقا الى مدينة هيت وغربا ليصل شمال وجنوب مدينة القائم على الحدود السورية- العراقية بينما تشكل محافظتي صلاح الدين ونيوى حدوده الشمالية واهم مكوناته الجبس والغرين والصخور الكلسية والرمل والحصى (٦)

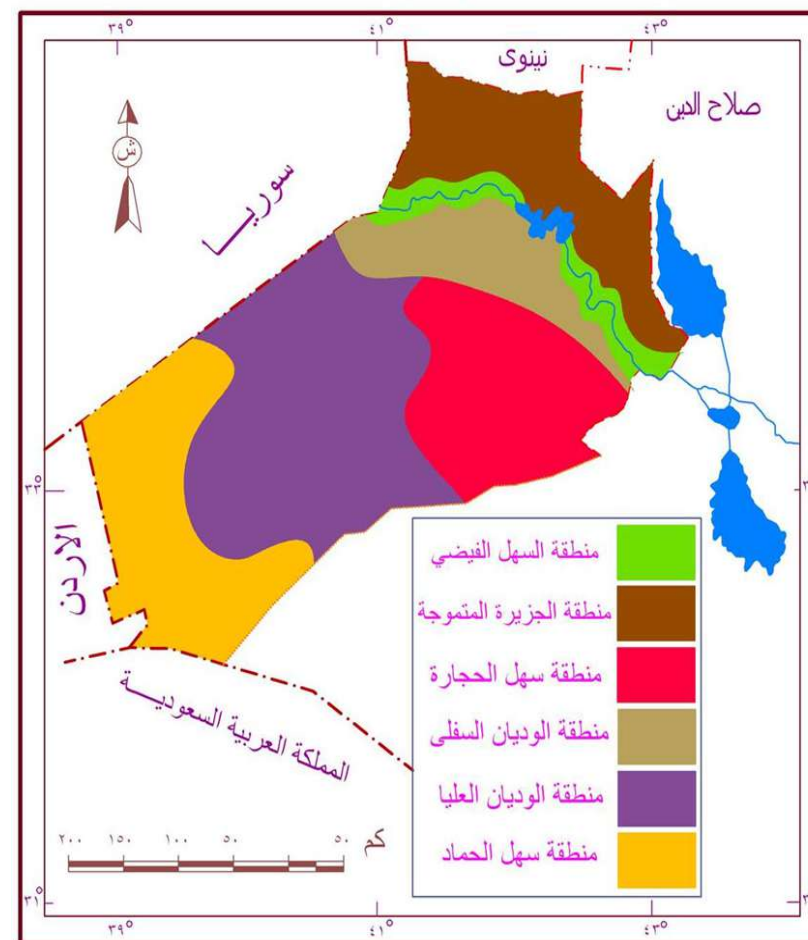
١-٢-٣-١-٢-٣ تكوينات العصر الرابع: يظهر من خريطة منطقة الدراسة الجيولوجية ان تكوينات العصر تمثلت على جانبي نهر الفرات من القائم - عنه اضافة الى وجودها في بطون الاودية وترجع ترسباته الى مرحلتى البلايستوسين والهولوسين ويسمك يتراوح من ٣-٣٠ م وتتكون من خليط من الحصى والرمل والطين ومفتتات الصخور الكلسية والجبسية فضلا عن احتوائها على رواسب كيميائية جبسية وكاربونية ملحية ناتجة عن تبخر المياه الجوفية الصاعدة الى السطح عبر الصدوع المكونة للينابيع في المنطقة (٧) .

ان ماتم ذكره عن البنية الجيولوجية تبرز حقائق مهمة تتمثل بتواجد وتوزيع الصخور والمعادن واهميتها الاقتصادية وتوزيعها المكاني لمنطقة الدراسة فضلا عن ارتباط البنية الجيولوجية بترية منطقة الدراسة التي تعد الصخور اساسا لتكوينها وامكانية استغلالها للانتاج الزراعي، اضافة الى اهمية الدراسة الجيولوجية لمعرفة مكامن المياه الجوفية وتحديد مناطق تواجدها واستثمارها للنشاط البشري على اختلاف انواعه. ولهذا فان الاهمية للبنية الجيولوجية تشكل اساسا للامكانيات التنموية حاضرا ومستقبلا لمنطقة الدراسة.

٢-١-٤: اقسام السطح:

يتكون سطح منطقة الدراسة من ستة اقسام رئيسية (خريطة رقم ٤) الا انها تضم اشكالا ارضية قد تكون مشتركة فيما بينها او قد تتركز في مكان دون اخر وهي لها اثارها المباشرة وغير المباشرة على امكانيات منطقة الدراسة التنموية وتشمل:

خريطة رقم (٤) اقسام السطح في منطقة الدراسة

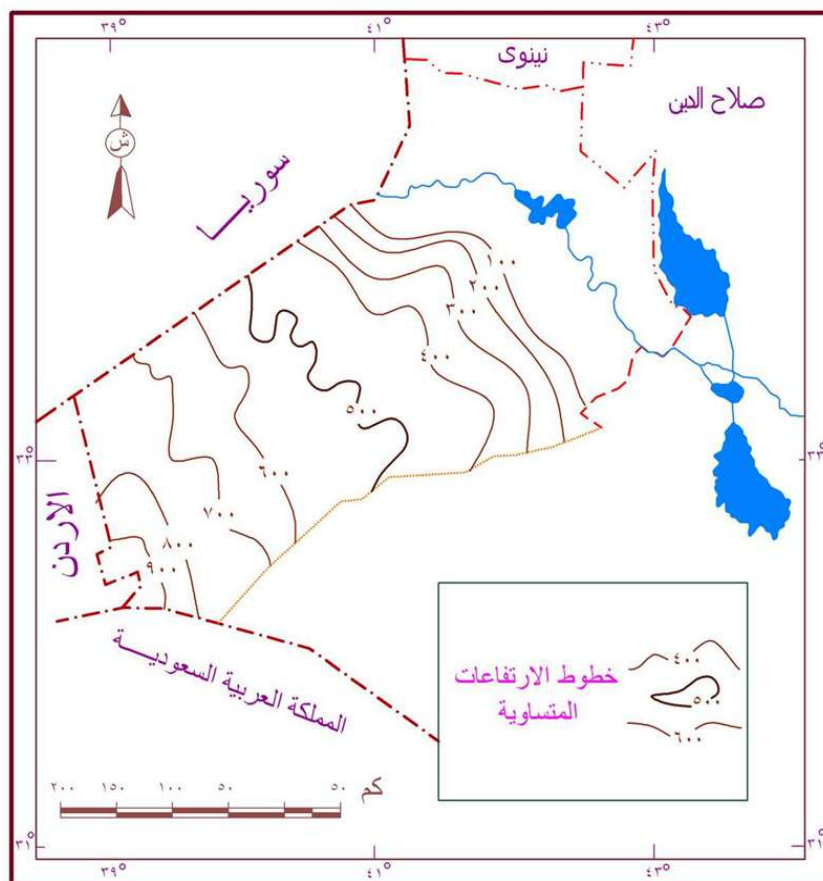


المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة العراق الطبيعية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:١٠٠٠٠٠٠

١-٢-١-٢-٣: منطقة الحماد: وتمثل الجزء الغربي من منطقة الدراسة وتشغل منطقة منبسطة مع اراضي متموجة تظهر فيها بعض التلال، وارتفاعها عن مستوى

سطح البحر ينحصر بين (٧٠٠ - ٩٠٠) (خريطة رقم ٥) اذ يبلغ اعلى ارتفاع لها عند جبل عنزه (٩٤٠) م عند المثلث الحدودي للعراق والاردن والسعودية (٨)

خريطة رقم (٥)
خطوط الارتفاعات المتساوية في منطقة الدراسة



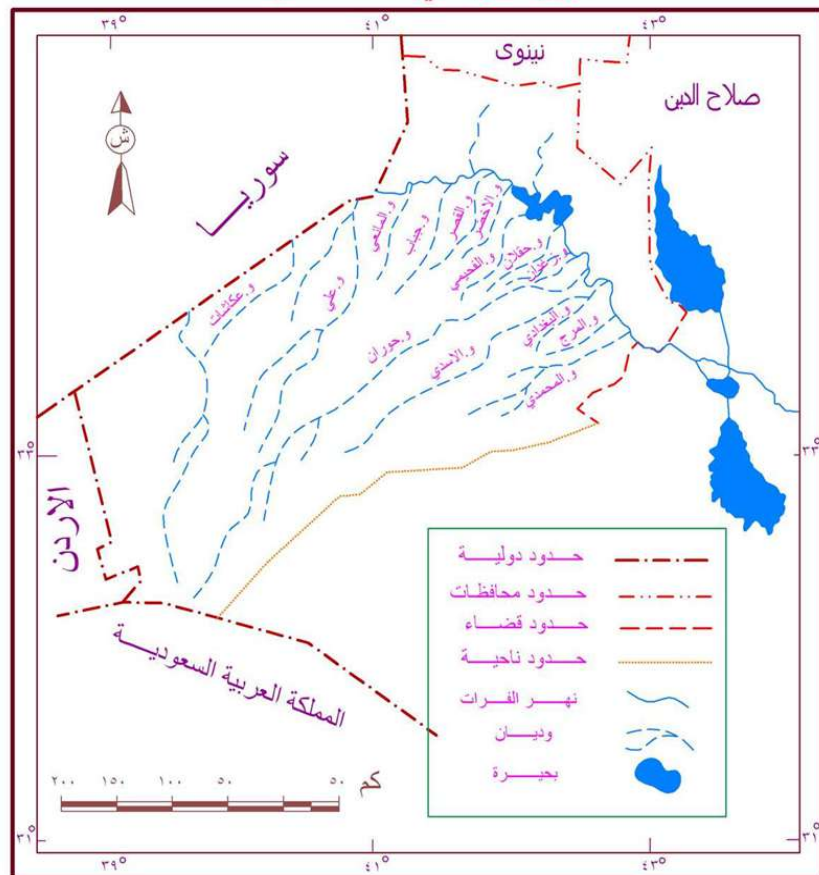
المصدر _ وزارة الري ، مديرية المساحة العامة ، خارطة محافظة الانبار الطبيعية ، ٢٠٠٠ ، مقياس ١:٥٠٠٠٠٠

٢-٢-١-٢: منطقة الوديان العليا: وتشمل المنطقة المحصورة بين خطي الكنتور (٧٠٠-٤٠٠) م عن سطح البحر وتتخللها مجموعة من الوديان منها وادي عكاشات ووادي حوران الذي يصرف مياهه الى نهر الفرات شرق مدينة حديثة بمسافة تصل الى ٢٠ كم ويعد من اكبر واطول وديان منطقة الدراسة اذا يصل طوله حوالي (٤٨٥) كم ومساحة حوضه تصل الى اكثر من (٥٣٢٠) كم^٢. (٩)

٢-٢-١-٣: منطقة الحجارة: وتشمل المنطقة المحصورة بين خطي (٤٠٠-٢٠٠) م فوق سطح البحر وحدودها بين الوديان العليا غربا والوديان السفلى شرقا، واكتسب التسمية نتيجة لكثرة احجار الكلس والصوان والتي تغطي سطحها على شكل بروزات وجلياميد حادة الجوانب (٣) .

٢-٢-١-٤: منطقة الوديان السفلى: تشغل هذه المنطقة الجزء المحصور بين نهر الفرات في الشمال والشرق ومنطقة الحجارة والوديان العليا جنوبا وغربا، ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر (٦٠-٢٠٠) م، وتتصف اوديتها بانها قصيرة اذ يتراوح طولها من (٢٠-٧٠) كم وتصرف مياهها الى نهر الفرات ومن هذه الاودية (المانعي، جباب، القصر، الاخضر، زغان، المرج، المحمدي)(خريطة ٦).

خريطة رقم (٦)
الواديان في منطقة الدراسة



المصدر _ وزارة الري، مديرية المساحة العامة، خارطة محافظة الأنبار الطبيعية، ٢٠٠٠، مقياس ١:٥٠٠٠٠٠

جنوباً ويمتاز سطحها بالتموج مع وجود بعض المرتفعات والتلال الصغيرة التي يصل أقصى ارتفاع لها (٣٠٠) م فوق مستوى سطح البحر.

فضلاً عن وجود بعض المنخفضات والاحواض الملحية ويغطي سطحها تكوينات جبسية وحصوية، فضلاً عن وجود اودية قصيرة تصرف مياهها الى نهر الفرات ولايتجاوز طولها عن ٢٥ كم ومنها (العريج، الشاهان، ميلان).

ونتيجة لانحدارها الشديد على نهر الفرات وارتفاعها الذي يتراوح من (٣٠-٥٠) م عن مجرى النهر وصعوبة اوصول المياه وقلة المياه الجوفية انعكس على صعوبة ممارسة النشاط الزراعي اذ اقتصر على الزراعة الدائمة فضلاً عن استخدامها كمراعي طبيعية للثروة الحيوانية

٢-١-٢-٦: منطقة السهل الفيضي: وتشمل المنطقة الواقعة على امتداد نهر الفرات وعلى ارتفاع يتراوح من (٦٠-١٥٠) متر فوق مستوى سطح البحر. وتتصف هذه المنطقة بانها عبارة عن اراضي منبسطة ذات ترب رسوبية تكونت من مواد رملية وطينية وغرينية الفت بها الرواسب لفيضانات نهر الفرات المتكررة. (الدليمي والموسى، ٢٠٠٩ ص ٢٣) الا ان هذه الترسبات التي تعطي تجديداً طبيعياً للتربة بدء ينخفض بعد انشاء السدود في تركيا وسوريا. اما بشريا فتعد هذه المنطقة مراكز للاستقرار الحضري لمدينة (القائم، عنه، راوه، حديثة، هيت) (خريطة رقم ٢). فضلاً عن عدد من المستقرات الريفية التي تتباين في حجمها وتوزيعها الجغرافي فضلاً عن انها تمثل منطقة مهمة لانتاج الغذاء في منطقة الدراسة لممارسة النشاط الزراعي بنوعيه النباتي والحيواني.

٢-١-٢-٥: منطقة الجزيرة: تمتد هذه المنطقة والتي تقع على ارتفاع يتراوح بين (١٧٥-٢٢٥) م فوق مستوى سطح البحر من الحدود السورية غرباً الى الحدود الشرقية لمنطقة الدراسة ومحافظة نينوى وصلاح الدين شمالاً الى نهر الفرات

٣-١-٢: المناخ:

يتميز المناخ في منطقة الدراسة بالصحراوي الجاف باستثناء بعض الاجزاء المرتفعة عن سطح البحر وبشكل خاص منطقة الحماد وهذا يعني اتساع المساحة الصحراوية المتأثرة بهذا النظام الذي من ابرز صفاته ومن خلال المعطيات المناخية مايتاتي:

١- ارتفاع درجات الحرارة لاشهر الصيف التي تراوحت معدلاتها من (٣٠-٣٤) م° (جدول ١) الا انه هناك حالات من التطرف اذ سجلت اعلى درجة حرارة في محطة عنه (٤٨) م° عام ٢٠٠٧ وان ابرز مايترتب على ذلك هو المتطلبات المائية لسد حاجة المحاصيل الزراعية وزيادة عدد الريات لها فضلا عن تأثيرها على راحة وصحة الإنسان.

أما شتاء فان معدلات درجات الحرارة تشير الى الانخفاض والتي تراوحت معدلاتها بين (٧-١٠) م° مع تسجيل درجات حرارية من الصفر الى دون الصفر وخاصة في محطة الرطبة والتي تقع على ارتفاع يصل الى ٦١٥ م فوق مستوى سطح البحر والتي سجلت اخفض درجة حرارة في ٢٢ ك° ٢٠٠٧ وقد بلغت (-٧) م° اما فصل النمو في منطقة الدراسة فانه يتجاوز ٢٧٥ يوما وهذا بطبيعته يعد جزءا من الامكانيات التنموية للجانب الزراعي.

٢- تمتاز الامطار الساقطة في منطقة الدراسة بقلتها والتي لايتجاوز مجموعها السنوي (١٥٠) ملم (جدول ١)، وهذا يعني انخفاض كمية المياه في منطقة الحوض التي تصل الى نهر الفرات وكذلك فان أي نشاط تنموي يجري في المنطقة يكون محدودا ام شاملا لابد ان ياخذ بنظر الاعتبار توفر المصدر المائي لانه يمثل اساس الحياة وبداية النشاط البشري وبمختلف انواعه.

٣- بلغ معدل الرطوبة النسبية لمحطات منطقة الدراسة ٤٦,٢ % ويوضح الجدول (١) نسب معدلات الرطوبة التي ترتفع خلال فصل الشتاء الذي يمثل موسم سقوط الامطار رغم قلتها مقارنة بفصل الصيف الذي ترتفع فيه درجات الحرارة وانعدام سقوط فضلا عن زيادة معدلات سرعة الرياح والتي تعمل على انخفاض الرطوبة النسبية.

٤- سيادة الرياح الغربية والشمالية في منطقة الدراسة صيفا وشتاء والتي تعمل على خفض درجات الحرارة وتلطيف الجو والجدول (٢) يوضح نسب الاتجاهات، اما النسب الباقية وعلى الرغم من قلتها فان تأثيرها السلبي يكون واضحا وخاصة في فصل الصيف الذي ترتفع فيه درجات الحرارة وانعدام سقوط الامطار وندرة الغطاء النباتي مما يجعل المنطقة مصدرا لهبوب العواصف الترابية ذات التأثير السلبي على الانسان والحيوان والنبات اضافة الى تأثيرها المباشر وغير المباشر على النشاطات الاقتصادية والتنموية وعلى اختلاف انواعها، وكذلك تأثيرها على زيادة معدلات التبخر التي تنعكس على زيادة الحاجة للمتطلبات المائية في سقي المحاصيل الزراعية.

جدول (۲)

النسب المئوية لمعدل تكرار واتجاهات الرياح في منطقة الدراسة للفترة ١٩٧٠-٢٠٠٥

شمالية	شمالية	شرقية	جنوبية شرقية	جنوبية	جنوبية غربية	غربية	شمالية غربية	سكون
١٠	٤	٥	٧	٦	٧	٢٦	١٧	١٨

المصدر: الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بغداد ٢٠٠٥، بيانات غير منشورة.

اتضح من خلال دراسة البنية الجيولوجية لمنطقة الدراسة وانواع الصخور المنتشرة والمناخ الجاف والتعرية الريحية المتعاقبة الى تواجد ترب صخرية ذات خصوبة واطئة بسبب انعدام او قلة الغطاء النباتي مما انعكس على وجود نوعين من الترب هما الترب الجافة والترب حديثة التكوين (١٣). ان افضل اصناف الترب في منطقة الدراسة للانتاج الزراعي هي ترب الترسبات النهرية والتي غالبا ما تتواجد على جانبي نهر الفرات والتي تمتاز بخصوبتها لاحتوائها على الرمل والغرين والطين وتتصف بتباين سمكها وعرضها، (خريطة رقم ٧) ولغرض المحافظة عليها باعتبارها مرتكزا تنمويا مهما للانتاج الزراعي وتحويلها الى صنف افضل من خلال اتباع نظم ادارة التربة واستخدام امثل لمياه الري. والقسم الاخر من الترب يتمثل بترب المنخفضات والتي تعد من الترب التي يمكن استغلالها للانتاج الزراعي عند توفر المياه ومن اهمها ترب منخفض الكعرة الذي تبلغ مساحته حوالي ١٢٠٠ كم^٢. اما الاصناف الاخرى من ترب منطقة الدراسة والتي توضحها خريطة اصناف التربة فيمكن استثمارها لزراعة المحاصيل الحقلية والبستنة بعد اتباع ادارة جيدة وتوفير حصص مائية واستخدام طرق الري الحديثة في المناطق الجافة كالري بالرش والتتقيط لغرض المحافظة على الضائعات المائية.

۲۸۳

٢-١-٥: الموارد المائية:

تعد الموارد المائية من الخصائص الجغرافية والطبيعية والتي لها دورا مهما في الامكانيات التنموية لمنطقة الدراسة ويمكن تقسيمها الى ما يأتي:

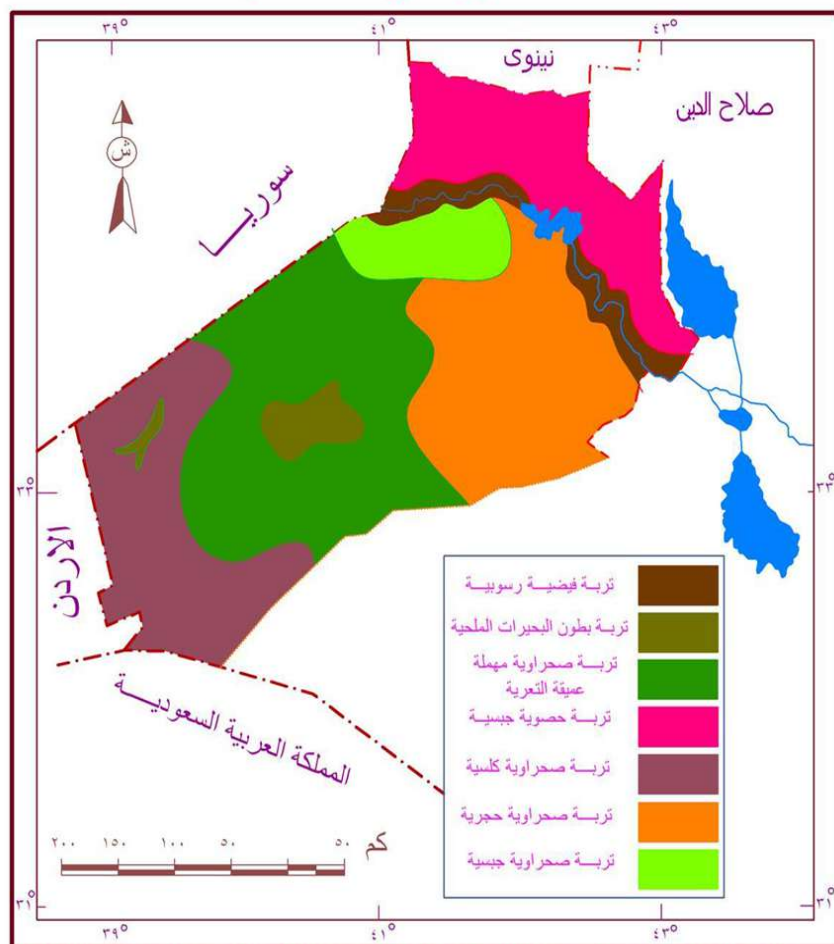
٢-١-٥-١: مياه الامطار: والتي تتصف بقلتها ولا تتجاوز معدلاتها السنوية ١٥٠ ملم (جدول رقم ١-١)، وانعكس ذلك انخفاض مساهمة منطقة الدراسة بتغذية نهر الفرات بالماء

٢-١-٥-٢: المياه السطحية: وتتمثل بنهر الفرات الذي يعد المصدر الوحيد في منطقة الدراسة والذي يصل طوله حوالي ٣٠٠ كم ويتحدد مجراه بين الحافة الغربية والجنوبية الغربية لهضبة الجزيرة من الشرق وبين الحافة الشرقية والشمالية لبادية الانبار الشمالية الغربية من الغرب، اما عرض النهر فانه متباين لا يتجاوز ١٥٠ م في اعرض منطقة اضافة الى بحيرة سد حديثة والتي يمكن الاستفادة من مياهها لغرض الزراعة والسياحة وتنمية الثروة السمكية.

٢-١-٥-٣: المياه الجوفية: تمتاز المياه الجوفية بان لها اهمية كبيرة في منطقة الدراسة لكونها من المصادر الرئيسية للمياه والتي يمكن الاعتماد عليها في تلبية متطلبات التنمية الاقتصادية اذا لا يمكن قيام أي نشاط اقتصادي بدون المياه ونظرا لقلّة مياه الامطار وعدم كفايتها وصعوبة اقبال المياه السطحية المتمثلة بنهر الفرات لبعد المسافة وطبوغرافية الارض المعقدة فقد اصبح الاهتمام والبحث عن المياه الجوفية التي تختلف من حيث الكمية والنوعية من مكان لآخر بسبب تباين الخصائص الهيدرولوجية ومنها العمق الذي يتراوح من (١٠-٣٠٠) متر (خريطة رقم ٨).

ومن الخصائص الاخرى المواد المذابة فهي قليلة في منطقتي الحماد والوديان اذ تتراوح كمية الملوحة من (١٠٠٠-٣٠٠٠) ملغم/لتر مع وجود مياه عذبة في اودية

خريطة رقم (٧) انصاف الترب في منطقة الدراسة

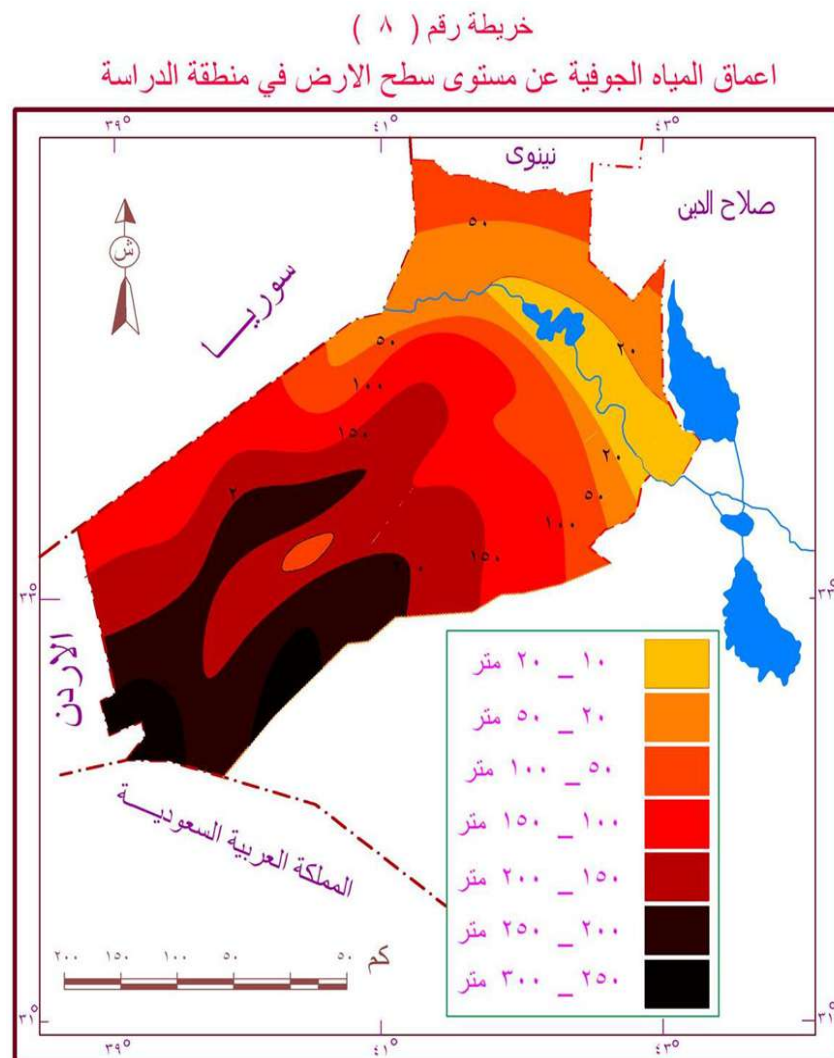


BURING, SOILS AND SOIL CONDITIONS IN IRAQ, MINISTRY OF AGRICULTURE, ١٩٦٠ EXPLORATORY, SOIL MAP OF IRAQ SCALE ١:١٠٠٠٠٠٠

صواب وحوار، ومياه تتراوح نسبة الملوحة من (٣٠٠٠-٦٠٠٠) ملغم/لتر في منطقتي الحجارة والوديان السفلى يمكن استثمارها لانتاج المحاصيل الزراعية وبشكل محدود بينما توجد مياه تزداد فيها نسبة الملوحة لتصل الى اكثر من ١٠٠٠ ملغم/لتر ضمن منطقة هيت، ومن خلال ملاحظة التوزيع المكاني لاقليم المياه الجوفية في منطقة الدراسة ومنها:

أ- اقليم ذات مياه غزارة عالية:

ويتمثل بالمنطقة المحيطة بمدينة كبيسة وذلك لانتشار العيون اذ تمتاز مياه هذا الاقليم بانها تتواجد على عمق يتراوح من (٥-٣٠م) وبمعدل انتاجية يتراوح من (٥٠٠-٢٠٠٠ لتر/دقيقة) (الداهري، ٢٠٠٩)



Bayan M. Hussien , Hytrsgeological Conditions Within AL-Anbar Govermente , University of AL-Anbar , Center of Desert Sudies , ٢٠٠٧ .

٢-١-٦: النبات الطبيعي:

يرتبط نمو النبات الطبيعي في أي منطقة بالعالم بالظروف المناخية وعلى الرغم من قلة سقوط الأمطار وارتفاع درجات الحرارة الذي يرافقه ارتفاع كمية التبخر ونوعية التربة الصحراوية السائدة إلا أن الغطاء النباتي تواجد وبشكل يتباين من منطقة إلى أخرى فنجد المناطق المنخفضة التي تتجمع فيها مياه الأمطار ذات نبات طبيعي كثيف وبأنواع مختلفة منها ماهو حولي والآخر معمر والتي تعد الأساس في تنمية الثروة الحيوانية وعلى اختلاف أنواعها، ومن هذه النباتات الحولية الخبز والسلماس والجريدة والزباد والمعمرة الشيخ والكيصوم والرمث والشوك فضلا عن استخدامها كمصدر للوقود ولاسيما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق بعد عام ٢٠٠٣ وبسبب الظروف الأمنية وارتفاع أسعار الوقود مما اضطر سكان منطقة الدراسة الى جمع هذه النباتات وقلمها من جذورها وبيعها في الأسواق التي يتراوح سعر السيارة ذات حمولة طن واحد من (٧٥-١٠٠) دينار (الدراسة الميدانية - ٢٠٠٩)

أما النباتات الطبيعية الأخرى هي التي تنمو على ضفاف نهر الفرات وفي الجزر النهرية ومنها القصب والحلفا والغرب والطرفا والتي تستخدم كمراعي للاغنام والابقار وذلك بسبب ارتفاع أسعار الأعلاف إضافة الى استخدام قسم منها للوقود والقسم الآخر يستخدم للأغراض الطبية وخاصة نبات السوس ونستنتج ما تم ذكره ان منطقة الدراسة تحتوي على أنواع عديدة من النبات الطبيعي سواء المعمرة او الحولية او ضفاف الأنهار والتي يمكن ان تتخذ أساسا لتنمية المنطقة ويتم اما بتحديد مناطق المراعي الجيدة او لتصنيف بعض النباتات ذات الفوائد الطبية والعمل على الاكثار منها وحمايتها

ب- اقاليم ذات مياه متوسطة الغزارة:

وتتركز في منطقة الضبعة التي تقع جنوب شرق مدينة الرطبة وتتواجد المياه على اعماق تتراوح من ٧٠-١٠٠م وبمعدل انتاجية يصل الى اكثر من ٢٠٠ لتر/دقيقة وهي صالحة لمختلف الاستخدامات وذلك لانخفاض نسبة الاملاح والتي يعتمد عليها سكان مدينة الرطبة والتي يمكن تنميتها والاهتمام بها من خلال انشاء محطات لتلمية المياه وتكون ذات صلاحية عالية جدا.

ت- اقاليم ذات مياه قليلة الغزارة:

ويظهر في منطقتين في منطقة الدراسة الاولى في منطقة عكاشات القريبة من الحدود السورية وبمعدل انتاجية يصل الى ١٥٠ لتر/دقيقة وعلى عمق يتراوح من (٣٠-٥٠) م ومياهها صالحة للاستعمالات نظرا لانخفاض تركزها الملحي (١٤) .
والثانية منطقة الجزيرة التي تتراوح انتاجية البئر من (٧٥-١٠٠) لتر/دقيقة ومياهها ذات صلاحية محدودة جدا للاستهلاك البشري وذلك لارتفاع نسبة الكبريتات وبناءا على ما تقدم فان المياه الجوفية تعد مصدرا طبيعيا مهما للامكانيات التنموية في منطقة الدراسة من خلال توفر الصفات الآتية:

- وفرة المياه الجوفية وسهولة استغلالها من حيث عمق الابار ونوعية مياهها ومدى صلاحيتها للاستعمالات المختلفة (المنزلية، الزراعية وبنوعيتها النباتي والحيواني، الطبية لعلاج المرض الذي يعانون من امراض جلدية)
- ملائمة منطقة الدراسة التي تعتمد على المياه الجوفية للاستيطان السكاني من خلال انشاء مستقرات ريفية وحضرية ذات نشاط اقتصادي متنوع (زراعي، صناعي، تجاري، تعدين، سياحي)

ثالثاً: الخصائص البشرية:

١-٣: السكان:

يعد السكان في أي منطقة جغرافية الأساس والهدف للتنمية وذلك باعتبارهم جزءاً مهماً من مرتكزات التنمية الاقتصادية، كما ان توزيعهم الجغرافي يعد من العوامل الأساسية المؤثرة في اتجاهات التنمية المكانية، ويكتسب هذا العامل أهمية في تحليل الواقع الجغرافي لمنطقة الدراسة من خلال التباين في التوزيع ونتيجة لهذه الأهمية والتباين ولغرض توضيح اعداد السكان حسب الوحدات الادارية التي يوضحها الجدول (٣).

جدول (٣)

سكان منطقة الدراسة موزعين حسب الوحدات الادارية (حضر، ريف) للمدة ١٩٩٧-٢٠٠٧ *

تقديرات ٢٠٠٧			تعداد ١٩٩٧			الوحدات الادارية
المجموع	ريف	حضر	المجموع	ريف	حضر	
١٣٧٥٦٧	٥٥٣١٥	٨٢٢٥٢	٩٥٠٨٧	٣٧٣٠٣	٥٧٧٨٤	القائم
٢١٨٦٦	٧٧٦٨	١٤٠٩٨	١٥١٤٢	٥٢٣٨	٩٩٠٤	عنه
١٨٧٥٥	٦٧٣٢	١٢٠٢٣	١٢٦٨٦	٤٥٤٠	٨١٤٦	راوه
٧٨٦٥٦	١٦١١٨	٦٢٥٣٨	٥٤٨١٣	١٠٨٧٠	٤٣٩٣٤	حديثه
١٢٩٠٠٣	٦٣٠٤٨	٦٥٩٥٥	٨٨٨٥٢	٤٢٥١٨	٤٦٣٣٤	هيت
٢٢٩٨١	٣١٢٣	١٩٨٥٨	١٩٦٠٦	٥٧٥٦	١٣٨٥٠	الرطبة
٤٠٨٨٢٨	١٥٢١٠٤	٢٥٦٧٢٤	٢٨٦١٧٧	١٠٦٢٢٥	١٧٩٩٥٢	المجموع

المصدر: وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج تعداد ١٩٩٧ محافظة الانبار

* وزارة التجارة، تقديرات السكان في العراق لعام ٢٠٠٧

الذي يتضح بتزايد سكان منطقة الدراسة من ٢٨٦١٧٧ نسمة عام ١٩٩٧ الى ٤٠٨٨٢٨ ونسبة تغير مقدارها (٧٠%) وكذلك اتضح بان جميع الوحدات الادارية في منطقة الدراسة سواء في المراكز الحضرية او المستقرات الريفية بتزايد سكانها يعد جزءاً مهماً من الامكانيات التنموية البشرية والذي يتطلب توفيرها لسكان منطقة الدراسة. ولغرض الاهمية لدراسة توزيع السكان ارتأت الدراسة توضيح النشاطات الاقتصادية في منطقة الدراسة تزخر بامكانيات متنوعة اتخذت اساساً لقيام هذه الانشطة اضافة الى وجود فرص وامكانيات اضافية لم تحظى بالاهتمام او انها لم تستغل لحد الان ومثال واضح على ذلك النشاط السياحي الذي يشكل احدى موجودات التنمية ومن ابرز النشاطات الاقتصادية هي:

١-٣-١: النشاط الزراعي:

تعد منطقة الدراسة من المناطق الصحراوية الجافة والذي تمت الاشارة اليه ولولا وجود نهر الفرات لاصبحت المنطقة امتداداً طبيعياً للمنطقة الصحراوية الجافة الامر الذي جعل نهر الفرات المصدر الرئيسي الذي يعتمد عليه النشاط الزراعي وبامتداده انتشرت المستقرات الريفية لتمارس نشاطاً زراعياً قائماً على انتاج المحاصيل الزراعية وتربية الثروة الحيوانية وعليه فان الزراعة عنصر اساسي في خطة التنمية الاقليمية لمنطقة الدراسة من خلال مساحات الاراضي الزراعية الموزعة حسب الوحدات الادارية التي يوضحها جدول (٤).

جدول (٤)

المساحات الزراعية للوحدات الادارية في منطقة الدراسة لعام ٢٠٠٨/دونم

ت	الوحدة الادارية	المساحة الكلية للزراعة/دونم
١-	القائم	٧٧٧١٣
٢-	عنه	١١١٢١

١٠٥٠٠	راوه	٣-
٧٣٨١	حديثة	٤-
٥٠٦٤١	هيت	٥-
١٠٢٥٠	الرطوبة	٦-
١٦٧٦٠٦	المجموع	٧-

المصدر: مديرية زراعة الانبار - الشعب الزراعية في منطقة الدراسة الانبار ٢٠٠٨،
بيانات غير منشورة

لذلك فان أي توجه لتوسيع رقعة النشاط الزراعي عليه ان ينطلق اساسا من
كيفية توفر المتطلبات المائية والخدمات الزراعية على اختلاف انواعها التي تهدف
الى التطور الراسي وزيادة معدل الانتاجية والانتاج الزراعي لمنطقة الدراسة والتي تقع
اراضيها على امتداد نهر الفرات. اما المناطق البعيدة عن نهر الفرات فالنشاط
الزراعي يعتمد على الامطار الساقطة رغم قلتها والمياه الجوفية التي تم التطرق اليها
ويتوزع في مناطق الفيضات والمنخفضات الصحراوية والمناطق التي تنصرف اليها
المسيلات المائية او الوديان ذات التصريف الداخلي مكونة ترب يتراوح سمكها اكثر
من ١٠٠سم في بعض المناطق ويتم استغلالها بالانتاج الزراعي لمحاصيل الحبوب
والخضراوات الصيفية والتي بدأت تنتشر تدريجيا معتمدة على البيوت البلاستيكية. اما
النشاط الزراعي الاخر فتتمثل بمشروع الواحات الصحراوية الذي بدا العمل فيه منذ
عام ١٩٧٣ ويعد من المشاريع التنموية التي تهدف الى استثمار المياه الجوفية
المتاحة في منطقة الدراسة لغرض الاستغلال الزراعي فضلا عن امكانية استثمارها
كمناطق سياحية مستقبلا وقد بلغت المساحات المزروعة في الواحات الصحراوية لغاية
عام ٢٠٠٧ ٧٨٦٧ دونما من مجموع المساحة الكلية لهذه الواحات والبالغة حوالي
١٥٤٢٧ دونما من مجموع المساحة الكلية والتي تتوزع على منطقة الدراسة جدول

(٥) وبمختلف انواع الاشجار المثمرة ومنها اشجار (النخيل والعنب والفسق والرمال
والخوخ والتين) ومصدات للرياح مثل اشجار (اليوكالبتوس، السرو، الكازولينا)
مستخدمة افضل طرق الري الحديثة (الرش والتنقيط) الا ان هذا المشروع وعلى الرغم
من اهميته البيئية والاقتصادية بدا يتعرض للاهمال وخاصة فترة الحرب الايرانية-
العراقية ١٩٨٠-١٩٨٨ مما اضطرت الدولة الى بيعها وفق القانون ٣٢ لسنة ١٩٨٦
الخاص ببيع وتاجير اموال الدولة وفي مرحلة التسعينات اعادت الدولة اهتمامها من
خلال انشاء واحات جديدة، الا انها تعرضت للتخريب ونهب ممتلكات هذه الواحات
اثناء فترة الاحتلال الامريكي للعراق. وفي عام ٢٠٠٦ تم اعادة العمل باستثمار هذه
الواحات وتشغيل الايدي العاملة الذي يعد احدى اهداف تنمية الموارد البشرية في
منطقة الدراسة، حيث بدأت تنتشر على امتداد طريق هيت القائم لتكون مستقبلا
مناطق سياحية يمكن استثمارها فضلا عن استغلالها لزراعة المحاصيل الزراعية.

جدول (٥)

التوزيع المكاني للوحدات الصحراوية في منطقة الدراسة

ت	اسم الوحدة	سنة الانشاء	الموقع	المساحة الكلية دونم	المساحة المستثمرة دونم
١-	رصيف	١٩٧٣	٤٠ كم عن حديثة	٦٦٠	٤٠٠
٢-	الكثيبي	١٩٧٤	٤٥ كم عن حديثة	١٢٠٠	٥٥٠
٣-	الشعور	١٩٧٤	٤٥ كم عن حديثة	١٣٠	٦٠
٤-	ام بلكة	١٩٧٦	٥٠ كم غرب الكشيبي	١٢٠٠	٦٠٠
٥-	المناح	١٩٧٨	٦٥ جنوب القائم	١٣٣٥	٣٠٠
٦-	فيحة الاولى	١٩٧٥	٤٥ كم جنوب القائم	١٦٧٣	٦٠٠
٧-	عالمج	١٩٧٧	٢٤ كم عن الكيلو ١٦٠	٧٨٣	٢٨٠
٨-	المحور ^{٦٨}	١٩٧٦	٦٨ كم عن الرمادي	٨٢٩	٢٦٠
٩-	المحور ^{٦٩}	١٩٧٧	٩٨ كم عن الرمادي	١١٧	٨٢
١٠-	جبل	٢٠٠٠	٣٥ كم عن عنه	١٢٠٠	٤٠٠
١١-	العبيدي	٢٠٠٠	٢٠ كم عن القائم	١٤٠٠	٦٠٠
١٢-	فيحة ^{٧٠}	٢٠٠٠	١٠ كم عن القائم	١٢٠٠	٨٠٠
١٣-	طريبي	١٩٩٨	مجمع طريبي	٣٠	١٥
١٤-	التنف	١٩٩٨	ناحية الوليد	١٥٠	١٠٠
١٥-	جبهة	٢٠٠٠	ناحية الوفاء	١٦	١٦
١٦-	البيادر	٢٠٠٠	٨ كم عن البغدادي شرقاً	١٢٠٠	١٠٠٠
١٧-	الوس	١٩٩٩	قرية الوس	١٢٠٠	١٢٠٠
١٨-	الريحانة	١٩٩٩	٥ كم عن عنه	٨٠٠	٣٠٠
١٩-	الصكرة	١٩٩٩	٣٠ كم عن عنه	٣٢	٣٢
٢٠-	الحسفة	١٩٩٩	١٥ كم غرب حديثة	٤٠	٤٠
٢١-	الخرش	٢٠٠٧	٤٠ كم جنوب غرب القائم	٢٠٠	٢٠٠
٢٢-	البوحياء	١٩٩٩	١٠ كم غرب البغدادي	٣٢	٣٢
				١٥٤٢٧	٧٨٦٧

المصدر: ليث ثابت عبد الفتاح الداهري، المياه الجوفية وأهميتها في تنمية هضبة الانبار الغربية، رسالة ماجستير، (غير منشورة) كلية التربية، جامعة الانبار ٢٠٠٩ صفحات مختلفة

١-٣-٢: النشاط التعديني:

اتضح من خلال دراسة جيولوجيا منطقة الدراسة تبيان ما يأتي:-

- أ- تباين التكوينات الجيولوجية من حيث الفترات التي نشأت فيها.
- ب- تباين انواع الموارد المعدنية المتاحة في منطقة الدراسة مما أعطى أهمية اقتصادية كبيرة سواء على مستوى المنطقة او المحافظة او على مستوى القطر العراقي.
- ج- على الرغم من امكانيات منطقة الدراسة لهذه المعادن والتي تعد مرتكزا تنمويا تعتمد عليه الصناعات داخل وخارج منطقة الدراسة غير ان ما يؤثر على خطط التنمية ان هذه المنطقة اصبحت تجهز الموارد الاولية الى خارج المنطقة والدليل على ذلك قضاء الرطبة باعتباره مصدر تجهيز فقط للصناعات المتوطنة في قضائي الفلوجة والرمادي اضافة الى ما يجهز خارج المحافظة اما الثروات المعدنية التي تلعب دورا مهما كموارد طبيعية مهمة في التنمية المكانية والاقليمية ومنها (رمل الزجاج، الفوسفات، اكاسيد الحديد، الكاولين، الدولومايت) اذ تشكل مواد اولية للصناعات التي تعتمد عليها واساسا للاستثمار من خلال انشاء المشاريع الصناعية وتشغيل الايدي العاملة الذي يعد هدفا مهما للتنمية البشرية

١-٣-٣: النشاط الصناعي:

من خلال عرض النشاط التعديني لمنطقة الدراسة والذي اتضح على امتلاك منطقة الدراسة امكانيات من حيث توفر الخامات المعدنية وبكميات اقتصادية يمكن استثمارها في انشاء العديد من الصناعات اذا ما تم تطوير استثمارها باتجاه تكون قاعدة صناعية متطورة في منطقة الدراسة اضافة الى ما موجود من صناعات تعتمد على الثروات المعدنية اضافة الى ذلك فان معظم الصناعات الموجودة في منطقة

هـ - امكانية واستثمار المنطقة سياحياً من خلال شواطئ نهر الفرات وبحيرة سد حديثة والجزر النهرية اضافة الى السياحة الصحراوية وبشكل خاص الواحات الصحراوية والبحيرات المقامة على سدود الاودية، وكذلك استثمار العيون الموجودة في هيت وكبيسة وحديثة ذات المياه المعدنية للاستخدامات الطبية كما هو الحال في معظم دول العالم ومنها الاردن. فضلا عن استغلال المناطق الاثرية واعادة تاهيلها كمأذنة عنه وصيانة المواقع الاخرى.

و- امكانيات انشاء محميات طبيعية للمحافظة على الحياة البرية سواء كانت حيوانية او نباتية لكي تكون جزءا من المناطق السياحية في المناطق الصحراوية كما هو الحال في المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة.

ز- امكانية تنمية الثروة السمكية وخاصة في بحيرة سد حديثة واستخدام الاساليب العلمية في زيادة انواعها كما كان معمول به سابقا اضافة الى منع الصيد غير القانوني كاستخدام المتفجرات والكهرباء والسموم.

ح- امكانية تنمية المنطقة اداريا باعتباره اقليما اداريا خاصا من خلال اصدار قرارا حكوميا لكي يكون على مستوى محافظة

الدراسة هي صناعات ذات طابع استهلاكي وخاصة الصناعات الغذائية او بعض الصناعات الانشائية الصغيرة.

رابعاً: الامكانيات التنموية:

اظهرت هذه الدراسة الى وجود امكانيات تنموية تهدف الى رسم صورة المستقبل لاي منطقة جغرافية ومنها منطقة الدراسة والتي لابد من تحليل هذه الامكانيات من خلال المقومات الجغرافية التي تم التطرق اليها. ويمكن تناولها كما يأتي: -

أ- امكانية استثمار وتنمية المنافذ الحدودية لمنطقة الدراسة على الدول المجاورة وزيادة نسبة مردودها المالي لتنفيذ مشاريع تنموية جديدة وادامة المشاريع الحالية.

ب- امكانية تنمية الموارد المائية متمثلة بمجرى نهر الفرات الذي يعد الاساس لتنمية السهل الفيضي من خلال استخدام امثل للاراضي الزراعية اضافة الى استثمار المياه الجوفية بشكل عقلاني وعلمي عن طريق استخدام افضل الطرق العلمية للري متمثلة بالري بالرش والتلقيط. اضافة الى استثمار مياه الامطار في فترة سقوطها عن طريق بناء السدود والخزانات للاستفادة منها ولكافة الاستعمالات البشرية كالاستعمال الزراعي بنوعيه النباتي والحيواني وتربية الثروة السمكية.

ج- امكانية استثمار الموارد الطبيعية وتنميتها عن طريق استخدام امثل للثروات المعدنية والمحافظة عليها اضافة الى استثمار النبات الطبيعي وتنميتها التي تعد اساسا للتنمية المستدامة.

د- امكانية تنمية منطقة الدراسة عن طريق استثمار الطاقات البديلة والمتجددة المتمثلة بالطاقات الشمسية والرياح لغرض انتاج الطاقة الكهربائية واستغلالها لتشغيل المشاريع التي تعتمد عليها.

خامساً: الاستنتاجات والتوصيات.

١-٥: الاستنتاجات

إن أهم ما يمكن استنتاجه من كل ما تقدم ويقدر ما يتعلق بمواضيع هذه الدراسة ما يأتي:-

١- لعب الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة ومجاورته لثلاث دول عربية فضلاً عن محافظتي نينوى وصلاح الدين أهمية اقتصادية ليس على مستواها فحسب وإنما على مستوى محافظة الانبار بشكل عام.

٢- أظهرت الدراسة أن للخصائص الجغرافية الطبيعية والبشرية ملائمة لممارسة جميع النشاطات البشرية من خلال استثمار الإمكانات التي تعد أساساً للتنمية وبكافة أشكالها.

٣- انتشار السكان في منطقة الدراسة بمراكز حضرية أو ريفية على امتداد نهر الفرات في الوقت الذي توجد فيه مساحات واسعة ذات تركيز سكاني قليل باستثناء مدينة الرطبة وعلى الرغم من تواجد المواد الأولية في هذه المناطق والتي يمكن استغلالها للصناعة.

٤- أظهرت الدراسة على قلة المساحات المستثمرة للوحات الصحراوية مقارنة بالمساحة الكلية لمنطقة الدراسة من جهة والمساحة الكلية لهذه الواحات من جهة ثانية علماً أن هذا المشروع له من الأهمية الأساسية المتمثلة بالتقليل من زحف الكثبان الرملية والحد من ظاهرة التصحر فضلاً عن الأهمية السياحية.

٥- أظهرت الدراسة إن هناك مناطق لتواجد المياه الجوفية وبكميات تؤهلها للاستغلال وبكافة أشكاله (الزراعي وبنوعيه النباتي والحيواني وكذلك الصناعي فضلاً عن الاستهلاك المنزلي).

٤-٥: التوصيات

بناءً على ما تقدم من استنتاجات توصلت الدراسة إليها توصي بالتوصيات الآتية:

١- تشجيع أصحاب الأراضي الزراعية على إتباع أفضل الأساليب العلمية في الزراعة لزيادة الإنتاج كما ونوعاً وبنوعيه النباتي والحيواني فضلاً عن المحافظة على الأرض الزراعية باعتبارها مورداً طبيعياً مهماً من خلال استخدام طرائق الري الحديثة (الري بالرش والتنقيط)

٢- العمل على توفير الخدمات الضرورية لسكان منطقة الدراسة سواء في المراكز الحضرية أو المستقرات الريفية والتشجيع على الاستثمار وفي كافة النشاطات ومنها الجانب السياحي الذي تتوفر معظم مقوماته والعمل على نشر ثقافة السياحة نظراً لأهمية هذا الجانب.

٣- المحافظة على الأراضي الزراعية الواقعة ضمن السهل الفيضي من خلال إصدار القوانين والقرارات التي تمنع الزحف العمراني إلا عن طريق استحصال الموافقة من الجهات الرسمية المتمثلة بالشعب الزراعية في منطقة الدراسة.

٤- الاهتمام بالصناعات الزراعية التي تعد توجهاً مستقبلياً من خلال أهمية دورها في التنمية الإقليمية باعتبار أن منطقة الدراسة تتوفر فيها الإمكانات الملائمة لها.

- ٥- التشجيع على استخدام عناصر الطاقة المتجددة والمتوفرة عن طريق الإشعاع الشمسي والرياح لتوليد الطاقة الكهربائية.
- ٦- على الدولة القيام بإنشاء مشاريع اقتصادية رائدة في منطقة الدراسة لغرض تنمية الموارد البشرية من خلال توفير فرص عمل للحد من انتشار ظاهرة البطالة فظلاً عن إحداث نوع من التوزيع المكاني للنشاط الصناعي.
- ٧- تشجيع المستثمرين من سكان منطقة الدراسة أو خارجها لإنشاء واحات صحراوية أو محميات طبيعية من خلال تقديم المساعدات وبكافة أشكالها من الدولة لأهمية المشروع البيئية والاقتصادية.
- ٨- العمل على تنمية منطقة الدراسة إدارياً من خلال قيام الدولة بإصدار قراراً سياسياً وجعلها محافظة لتقليل الانتقال إلى مدينة الرمادي التي تمثل مركزاً لمحافظة الأنبار إضافة إلى العمل لإنشاء جامعة أو معهد لتطوير المنطقة علمياً.
- ٩- إصدار القوانين والتشريعات وفرض الغرامات لمستخدمي طرق الصيد غير القانونية للثروة السمكية التي تعد مصدراً مهماً لتوفير الغذاء لسكان منطقة الدراسة وخارجها.
- ١٠- المحافظة على جميع أشكال الحياة البرية سواء نبات طبيعي أو ثروة حيوانية بوصفها مصدراً مهماً للتنمية في منطقة الدراسة.

المصادر:-

- ١- عبد صالح فياض، جيولوجية محافظة الأنبار، مركز دراسات الصحراء، جامعة الأنبار. ٢٠٠٨، ص ٦.
- ٢- عبد الله السياب وآخرون، جيولوجيا العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٢، ص ٣٨.
- ٣- دحام حنوش حمد الفهداوي، الهضبة الغربية في محافظة الأنبار، اطروحة دكتوراة "غير منشورة" كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ٤٩.
- ٤- سحر نافع شاكر، دراسة جيومورفولوجية البادية الشمالية في محافظة الأنبار، اطروحة دكتوراة "غير منشورة" كلية العلوم، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص ٢٠.
- 5- Parsons, R. m. Engineering company-ground water Resources of Iraq , northern desert , Vol-8-1995.
- ٦- مشعل محمود فياض الجميلي، الأشكال الأرضية لوادي نهر الفرات بين حديثة وهيت، اطروحة دكتوراة "غير منشورة" كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ ص ٢٥.
- ٧- يحي عباس حسين، الينابيع المائية بين كبيسة والسماء واستثماراتها، اطروحة دكتوراة "غير منشورة" كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢١.
- ٨- محمد محي الدين الخطيب، المراعي الصحراوية في العراق، بغداد، ١٩٧٨.
- ٩- عبد الوهاب احمد سلمان، الواقع الراهن للمياه السطحية في الصحراء الغربية، ١٩٨٨.
- ١٠- عبد الوهاب احمد سرحان، الواقع الراهن للمياه السطحية في الصحراء الغربية مركز الفرات للدراسات والتصاميم، ١٩٨٨، ص ٦.
- ١١- احمد هلال محمود، استخدامات الأرض الريفية في ريف ناحية العبور، رسالة ماجستير "غير منشورة" كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢٠٠٩، ص ٢٥.

- ١٢- محمد دلف احمد الدليمي، فواز احمد الموسى، وادي نهر الفرات في سوريا والعراق، دار الفرقان للغات، سوريا، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٣.
- ١٣- عصام خضير حمزة الحديثي، احمد عاصم الدباغ، ترب محافظة الانبار، مركز دراسات الصحراء، جامعة الانبار، ٢٠٠٨.
- ١٤- نافع ناصر القصاب، المسرح الجغرافي لمنطقة الهضبة الغربية في العراق ومؤهلاتها التنموية، مجلة الجمعية الجغرافية، العدد ١٨ بغداد، ١٩٨٩، ص ٥٤.
- ١٥- ليث ثابت عبد الفتاح الداهري، المياه الجوفية واهميتها في تنمية هضبة الانبار الغربية، رسالة ماجستير "غير منشورة" كلية التربية، جامعة الانبار، ٢٠٠٩، ص ١١٥.
- ١٦- الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي - قسم المناخ، بغداد ٢٠٠٥، بيانات غير منشورة.
- ١٧- مديرية زراعة الانبار، الشعب الزراعية في منطقة الدراسة، بغداد ٢٠٠٥، بيانات غير منشورة.
- ١٨- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج تعداد سكان محافظة الانبار، ص ٨.
- ١٩- وزارة التجارة، تقديرات السكان عام ٢٠٠٧، جدول (٢٦)، ص ٣٠.

Eupherales Higher Basin in Iraq

Asst.Prof. Dr. Kamal Salaih Kazkuooz
Colloge of Arit University of Anbar

Abstract:

Eupherales high basin in considered the widest of Anbar natural vicinity. It represents 56% of Anbar Governerte area. Where the widest variation of natural phenomenon can be observed. Population distributions and human activities are also varied whied which have its reflection on the development copabilities in agricuttusal, in dusterial and human development. The study concentration on the human and natural Geographic postuse of the higher basin of Eupherates. Human and natural resources are also studied. On the administrative level, the area under study comprises the following districts: (Qaim, Ana, Rawa, haditha, Rutba, and Hit). These are followed by eight sub-districts: (Obaidi, Oboor, Haklania, Barwana, Waleed, Baghdadi, Kubaisa, and Furat). These can be considered a sepavate admintrative unit at the govern orate level.

خصائص الشبكة النهرية لوادي منجور وآثارها الجيومورفولوجية

م.م. تغريد خليل محمد جبر

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الجغرافية

ملخص بحث

وادي منجور هو احد الاودية النهرية التي تقع الى الشمال من العراق ضمن نطاق الاراضي الشبه جبلية او اقدام الجبال ضمن محافظة صلاح الدين ولكون المنطقة تقع ضمن المرتفعات فهي ذات مظاهر متنوعة بلا شك حسب تدرج السطح من شمال الوادي الى جنوبه من المنبع إلى المصب . وقد تناول البحث محاور ثلاث كان المحور الاول ، عن الخصائص الطبيعية جيولوجيا المنطقة والتربة والمناخ.

المحور الثاني ،تناول خصائص الشبكة من حيث الخصائص التضاريسية ، الشكلية ، المورفومترية.

اما المحور الثالث ، اثار الشبكة الجيومورفولوجية على المنطقة والامكانيات المستقبلية للاستفادة من الوادي وشبكته.

خصائص الشبكة النهرية لوادي منجور واثارها الجيومورفولوجية

اشتمل البحث على ثلاث محاور:-

وقد تناول المحور الأول:-

خصائص منطقة البحث الطبيعية

من حيث الجيولوجيا والتربة والمناخ

اما المحور الثاني:-

فقد تناول خصائص الوادي التضاريسية والشكلية
والمورفومترية

اما المحور الثالث:-

فقد ركز على اثار الوادي في منطقة الدراسة

وقد اهتم البحث في كيفية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في تسخير المنطقة والظاهرة للاستفادة منها في استثمار المنطقة وبصورة علمية حديثة مما يخدم الواقع البيئي في العراق

مُتَكَلِّمَةٌ

الجيومورفولوجية التطبيقية علم يبحث في دراسة مظاهر سطح الارض وتفسيرها وفق اسس قياسية وعلمية بحثه وذلك لاعطاء الدليل الوافي والشبه كافي لتفسير الظاهرة المدروسة واعطاء التحليل المثالي لتطور تلك الظاهرة او تتبع نشوؤها وتطورها في المستقبل ومحاولة الحد من اخطارها او السيطرة عليها، وبالتالي فان الدراسات البحثية التي تتناول الودية او الشبكات النهرية هي احد تلك الدراسات المتفرعة من الدراسات التطبيقية لمظاهر الارض والسطح، وتعد الودية النهرية من الظواهر ذات الاهمية البالغة في تفسير العديد من الاشكال الارضية الناجمة عن تلك الانهار ووديتها، مما يساهم في توفير معلومات مهمة في تفسير الاشكال الارضية مع الاخذ بنظر الاعتبار الطرق القياسية في تحليلها وقياسها، ووادي منجور هو احد الودية النهرية التي تقع الى الشمال من العراق ضمن نطاق الاراضي الشبه جبلية او اقلام الجبال ضمن محافظة صلاح الدين ولكون المنطقة تقع ضمن المرتفعات فهي ذات مظاهر متنوعة بلا شك حسب تدرج السطح من شمال الوادي الى جنوبه من المنبع إلى المصب.

وبالاستعانة بالوسائل الحديثة والمرئيات الفضائية والرادارية المتوفرة نامل ان نتمكن من اعطاء صورة واضحة للوادي ضمن المنطقة وتفسير شبكته النهرية وتحليلها وقياسها، فضلا عن ابراز دور تلك الوديان اذا ما اعطيت العناية من حيث الدراسة والتحليل في خدمة الاراضي وتوفير المشاريع المهمة مستقبلا مما يتيح الفرصة لتوفير افضل الطرق وابسطها في استصلاح ارض الوطن والتقدم به نحو افاق اوسع من خلال توظيف العلاقة بين النظم البيئية للمنطقة والدراسة التطبيقية في خدمة الواقع الجغرافي العام.

الباحث

المحور الأول

خصائص المنطقة الطبيعية

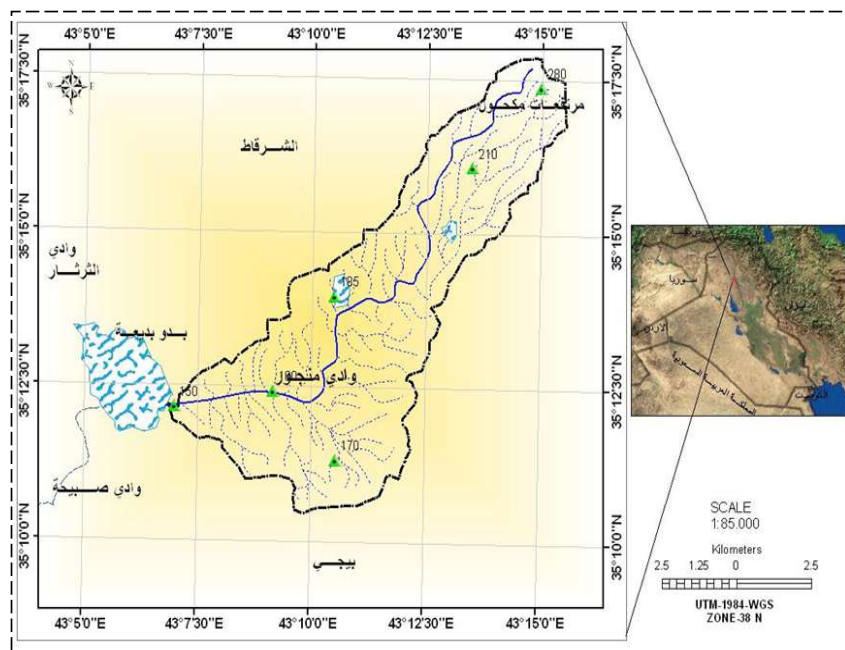
وقد شملت التالي:-

- ١- موقع منطقة الدراسة
- ٢- جيولوجيا منطقة البحث
- ٣- ترب منطقة البحث
- ٤- المناخ
- ٥- نباتات منطقة الدراسة

١- موقع منطقة الدراسة:-

تقع منطقة البحث فلكيا بين دائرتي عرض (٣٠° ١٧' - ٣٠° ١٠') شمالا وخطي طول (٤٣° ١٥' - ٤٣° ٥') شرقا، ويحدها من الشمال قضاء الشرقاط ومن الشرق مرتفعات مكحول ومن الجنوب قضاء بيحي ومن الغرب منطقة هظبية مرتفعة إلى حد ما، ضمن حدود محافظة صلاح الدين، شمال منطقة السهل الرسوبي. تبلغ مساحة الوادي (٥ ، ٦٤ كم) وطول الوادي بلغ (١٩ كم)، ويعد الوادي من الودية المنحدرة من اقدام المرتفعات ويصب في بحيرة موسمية، يلاحظ خارطة (١).

خارطة (١) موقع وادي منجور في العراق



المصدر:- الاعتماد على برنامج: Arcmap 9.1-Globalmapper8.

٤- جيولوجيا منطقة البحث:-

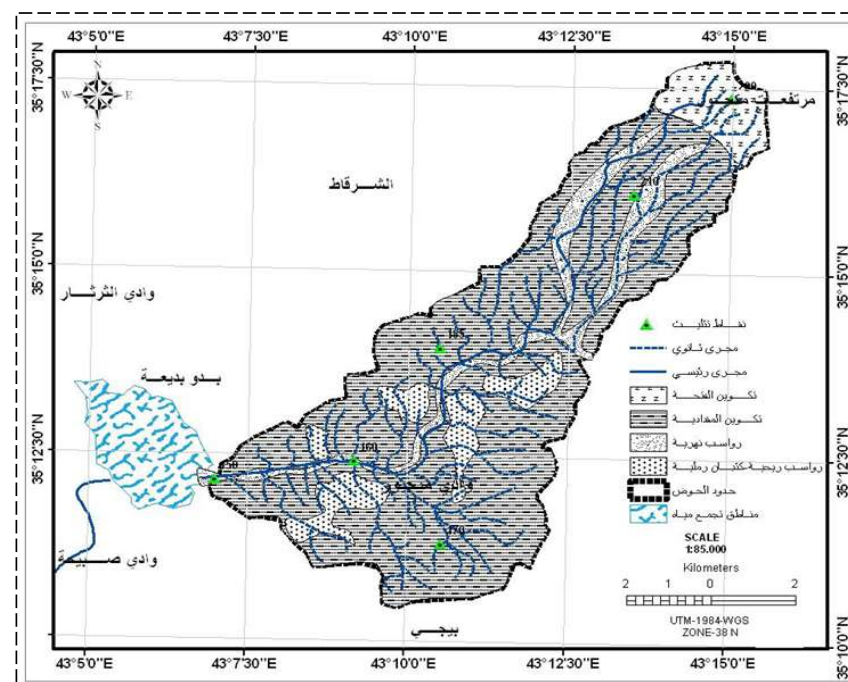
شملت ترسبات منطقة البحث على ترسبات العصور التالية:-

١- ترسبات العصر الثالث:- وقد اشتملت على التكوينات التالية:-

أ- تكوين الفتحة (الفارس الاسفل):- ينكشف هذا التكوين في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة الوادي، اذ يتكون من عدد من الطيات من الحجر الجيري مع الانهدايت وحجر المارل (١).

ب- تكوين المقدادية:- ينكشف هذا التكوين في اغلب أجزاء الوادي، ويتألف من حجر المارل القهوائي والحجر الطيني المتعاقب مع الحجر الرملي الناعم والحاوي على بعض الحصى المتنوع في حجمه ونوعه وهو يتكون في الغالب من الصوان الرصاصي والقهوائي والحجر الجيري، وتكون احجام حبيباته الرملية متوسطة الخشونة وبيئه الترسيب في هذا التكوين نهرية، يلاحظ خارطة (٢).

خارطة (٢) التراكيب والتكوينات الجيولوجية لحوض وادي منجور



المصدر:- ١- مصطفى برواري ونصيرة عزيز صليوة، لوحة سامراء، تعريب ازهار علي غالب، وزارة الصناعة والمعادن، الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين، ١٩٩٤، ص ٨-

٩.٢- Arcmap 9.1.

٢- ترسبات العصر الحديث:- ومن ابرز ترسبات هذا العصر والتي تركزت في

الوادي هي كالآتي:-

أ- الرواسب النهرية:- وتشمل تلك الترسبات الحصى والرمل والاطيان، ومواد رابطة كلسية وجبسية^(٢) وتنتشر على طول منطقة وادي منجور.

ب- الترسبات الريحية:- وشملت الكثبان الرملية والألواح الرملية وتتكون من مواد رملية ممزوجة مع رمل ناعم متوسط الحبيبات بني مصفر^(٣)، ويصل ارتفاع الكثبان الى (٣م) في بعض الأجزاء.

٣- المناخ:-

لقد تم الاعتماد على محطة بيجي في معظم الاحصاءات المناخية لمنطقة البحث وذلك لصغر مساحة الوادي وقرب محطة بيجي اذا تقع جنوب منطقة الدراسة ومن ابرز العناصر المناخية ذات التأثير المباشر على العمليات الجيومورفولوجية في منطقة البحث هي:-

١- الاشعاع الشمسي:- لا يختلف مناخ منطقة الدراسة بشكل خاص عن مناخ العراق بشكل عام، يلاحظ ارتفاع درجات الحرارة صيفا وانخفاضها شتاء، اذ بلغت معدلات الاشعاع الشمسي خلال اشهر الصيف في محطة بيجي (٣٥،٤ ساعة/يوم)، اما في فصل الشتاء فقد بلغ المعدل (١٧،٩ ساعة/يوم) وبلغ المعدل العام للاشعاع الشمسي (٨،٥١ ساعة/يوم)، يلاحظ الجدول (١).

جدول (١) معدلات السطوع الشمسي ساعة/ يوم لمحطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)

الشهر	السطوع الشمسي ساعة/ يوم	الشهر	السطوع الشمسي ساعة/ يوم
حزيران	١١،١	شباط	٦،٢
تموز	١٣،١	ك١	٥،٦
اب	١١،٢	ك٢	٦،١
المعدل	١١،٨	المعدل	٥،٩
الشهر	السطوع الشمسي ساعة/ يوم	الشهر	السطوع الشمسي ساعة/ يوم
ايلول	١٠،٥	اذار	٨،١
ت١	٤،٩	نيسان	٧،٦
ت٢	٥،٩	ايار	١١،٩
المعدل	٧،١	المعدل	٢،٩

وزارة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، السجلات المناخية، معدلات السطوع الشمسي لمحطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)، بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٢- الحرارة:- تعد الحرارة من اهم عناصر المناخ اذ ان التغير في معدلاتها بين الانخفاض والارتفاع يؤدي الى حدوث عمليات التجوية^(٤)، وقد بلغت المعدل الشهري لدرجات الحرارة في فصل الشتاء لمحطة بيجي (١١،٢ م°) اما فصل الصيف (٣٣،٩ م°) والربيع (٢٠ م°) اما الخريف (٢٣،٩ م°)، يلاحظ جدول(٢).

جدول (٢) درجات الحرارة ومعدلاتها ضمن محطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)

شتاء	المعدل الشهري	الصغرى	العظمى
الشهر			
ك ١	١١،٧	٧	١٦،٥
ك ٢	١٠	٥،١	١٥
شباط	١٢	٦،٥	١٧،٥
المعدل	١١،٢	٦،٢	١٦،٣
صيف	المعدل الشهري	الصغرى	العظمى
حزيران	٢٩،٢	٢٢	٣٦،٥
تموز	٣٥،٦	٢٦	٤٥،٢
اب	٣٧	٢٧،٥	٤٦،٥
المعدل	٣٣،٩	٢٥،١	٤٢،٧
ربيع	المعدل الشهري	الصغرى	العظمى
اذار	١٢،٣	٦،٤	١٨،٣
نيسان	٢٣،٣	١٦	٣٠،٦
ايار	٢٤،٦	٢٢،٣	٢٧
المعدل	٢٠	١٤،٩	٢٥،٣
خريف	المعدل الشهري	الصغرى	العظمى
ايلول	٢٧	١٦	٣٨،١
ت ١	٢٦،٥	١٨،٥	٥٣،٤
ت ٢	١٨،٣	١٦،٦	٢٠،١
المعدل	٢٣،٩	١٨	٣٠،٩

وزارة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة العامة للانواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، السجلات المناخية، معدلات السطوع الشمسي لمحطة بيجي لعامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧)، بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٣- الأمطار:- تعد الامطار من عناصر المناخ ذات التأثير في تشكيل معالم سطح الارض وذلك من خلال دور المياه الجارية بنقل الرواسب والمخلفات الناتجة عن عمليات التجوية والتعرية الى المنخفضات وبطون الوديان، ومنطقة البحث تعد من مناطق اقدام الجبال وبالتالي يبرز عامل الامطار في نقل الرواسب وحمولة الانهار او رواسب المنطقة المحيطة ولاسيما مرتفعات مكحول وما يجاورها، اذ بلغ المجموع السنوي للمعدلات الشهرية (٦٥ملم) أما المعدلات الشهرية فقد بلغت (٠،١ - ٧،١٢ - ٦،٣٦ - ٦،١٥)، لشهور الصيف والشتاء والخريف والربيع على التوالي، تعد سنتي ٢٠٠٥، ٢٠٠٦ من السنين الجافة نسبة للمعدل السنوي للامطار مما كان له الدور الكبير في عمليات التعرية الريحية في منطقة الوادي وتكون الوديان الأخدودية ضمن منطقة الوادي مما ساهم في زيادة التراكم من التلال الرملية (الكثبان الرملية) وهذا ما سيتطرق له المبحث الثالث، يلاحظ جدول (٣).

جدول (٣) المعدلات الشهرية للتساقط في محطة بيجي لعامي (١٩٥٨-٢٠٠٦)

الصيف	المحطة	الشتاء	المحطة
الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)	الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)
	ملم		ملم
حزيران	٠.٢	ك ١	٣٩.٥
تموز	٠.١	ك ٢	٣٦.٣
اب	٠.١	شباط	٣٤.٢
المعدل	٠.١	المعدل	٣٦.٦
الخريف	المحطة	الربيع	المحطة
الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)	الشهر	بيجي (١٩٥٨-٢٠٠٦)
	ملم		ملم
ايلول	١.٥	اذار	٣٥.٧
ت ١	٩.٧	نيسان	١١.٢
ت ٢	٢٧	ايار	٠
المعدل	١٢.٧	المعدل	١٥.٦

وزارة العلوم والتكنولوجيا، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي،
قسم المناخ، السجلات المناخية، معدلات السطوع الشمسي لمحطة بيجي لعامي
(١٩٥٨-٢٠٠٦)، بيانات غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٧.

٤- ترب منطقة الدراسة:-

احتوت منطقة البحث على الأنواع التالية من الترب:-

١- التربة البنية:- تتواجد هذه الترب شمال الوادي وتمتاز بكونها ذات سمك ضحل
وباحتوائها على تجمعات كلسية وتبلغ مساحتها (٣٢٠٠ دونم).

٢- التربة البنية الحمراء:- وهي ترب تنتشر وسط الوادي وتمتاز بكونها عميقة
وتحتوي على تجمعات من الكلس وتكون صالحة للاستصلاح الزراعي وتبلغ
مساحتها (١٣٢٤٠ دونم).

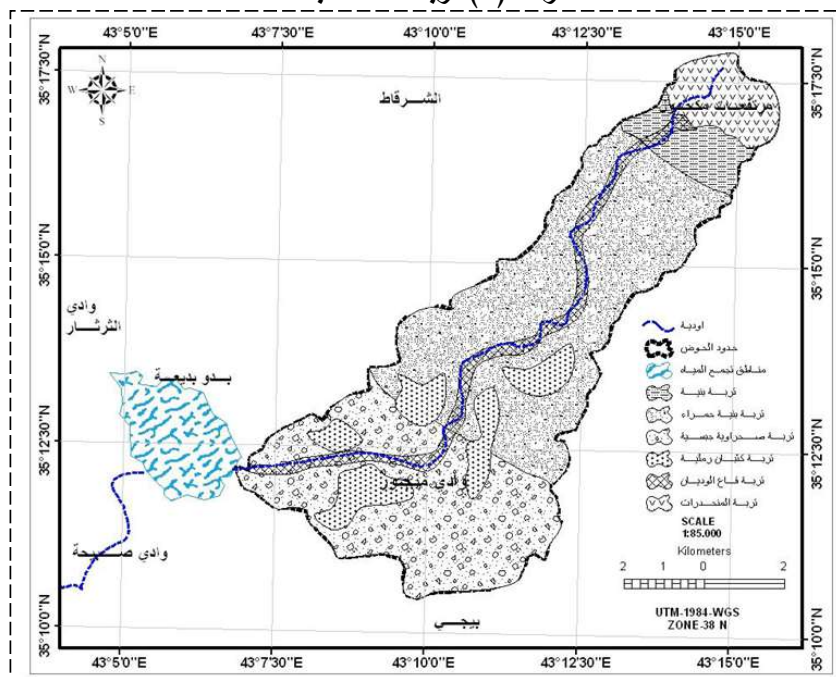
٣- التربة الصحراوية الجبسية:- تنتشر جنوب وادي منجور وتمتاز بكونها مفتتة
وباحتوائها على الجبس والأملاح المعدنية، وهي لا تصلح للزراعة بل تنمو فيها
الإعشاب وشجيرات بعد التساقط. وتبلغ مساحتها (٩٨٤٠ دونم) (٥).

٤- تربة الكثبان الرملية:- تنتشر وسط وجنوب الوادي على جانبية اليمين واليسر
وتتكون من حبيبات الرمل بنسبة ٩٥% اما النسب الاخرى فهي عبارة عن
حبيبات السلت وبعض البقايا العضوية الأخرى وتتراوح حبيبات الرمل ما بين
(٠،٠٢ - ٠،٢)، بلغت مساحتها (٢٥٦٠ دونم) (٦).

٥- تربة المنحدرات:- تنتشر شمال منطقة البحث وتمتاز بكونها تكونت بفعل الرياح
او مجاري الأنهار وهي فقيرة بالمواد العضوية والمعدنية وقليلة الفائدة من الناحية
الزراعية بسبب طبوغرافيتها وانجرافها وتبلغ مساحتها (١٧٢٠ دونم) (٧).

٦- تربة قاع الوديان:- تنتشر في قاع الوادي على طول مجراه وتمتاز بكونها رملية
غرينية وتحتوي على الحصى في بعض أجزاء الوادي (٨) تبلغ مساحتها (١٨٠٠
دونم) (٥)، يلاحظ خارطة (٣).

خارطة (٣) ترب منطقة البحث



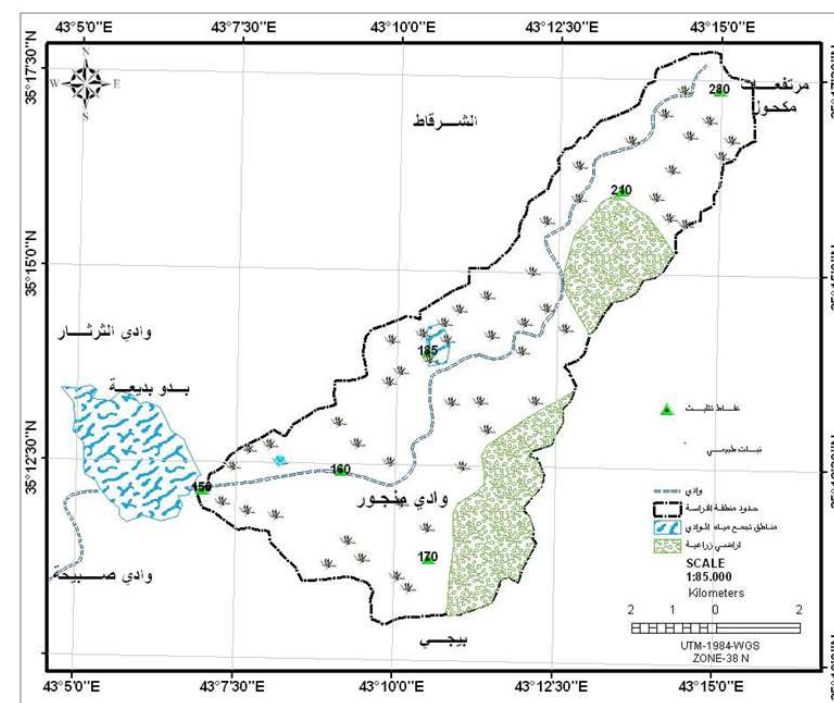
المصدر:-

Buring. Soil and Soil condition in Iraq. Iraqi Ministry of Agricultural, Baghdad, Iraq 1960.

٥- نباتات منطقة الدراسة:-

يعد النبات من العوامل المؤثرة على العمليات الجيومورفولوجية ولاسيما التعرية الريحية والمائية لما له دور في اعاقه التعرية او زيادتها عندما تكون المنطقة جرداء او كثيفة النباتات وفي منطقة الوادي يوجد نوعان من النباتات منها النبات الطبيعي او الاراضي الزراعية وهي كالتالي:-

- ١- **النبات الطبيعي:-** يوجد النبات بشكل متفرق في بطون الاودية الثانوية وحول المستنقعات ومناطق الكثبان الرملية وهو عبارة عن نباتات شوكية ونباتات القصب في المستنقعات ونبات الحلفة الصحراوية، يلاحظ الخارطة (٤).
- ٢- **الأراضي الزراعية:-** اما الاراضي الزراعية فقد تركزت في الجانب الشرقي للوادي اذا بلغت مساحتها (٤٨٤٠ دونم)، ومن ابرز المحاصيل التي تزرع (البصل، خيار، باذنجان، الباقلاء، البطاطا، البطيخ)^(١)، يراجع خارطة (٤).



المصدر:- الاعتماد على برنامج:- Arcmap 9.1-Globalmapper8 .

المحور الثاني

خصائص وادي منجور

لكل وادي او شبكة نهريّة خصائص تقاس على اساس وصفي وكمي وقياسي اذ يمكن اعطاء الوادي والشبكة الصفات العامة لها او له ومن اهم الخصائص التي لابد دراستها في شبكة الوديان هي الخصائص الشكلية والمورفومترية والتضاريسية اذ تساعد على معرفة الخصائص العامة للأحواض وأوديتها وقنواتها^(١٠)، وقد تم دراسة تلك الخصائص بالشكل التالي:-

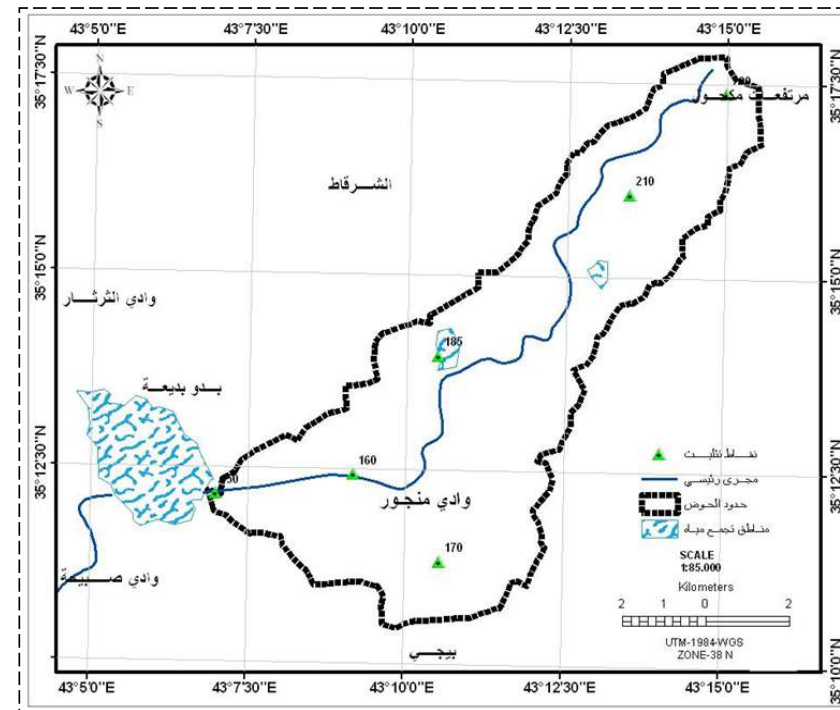
أولاً:- الخصائص الشكلية والمساحية للوادي:-

ان أي حوض تصريف مائي هو عبارة عن نظام system مورفولوجي تتحكم به وتضبطه خواص هندسية وقوانين ذات علاقات وظيفية متبادلة^(١١). عند دراسة وادي معين او حوض تصريف مائي لابد ان تتم دراسة خواصه وتعد الخصائص الشكلية والمساحية للوديان ومجاريها مهمة لانها تعطي صورة واضحة لنظام التصريف المائي داخل الحوض او الوادي المدروس وقد شملت تلك الخصائص التالي:-

١- حدود الوادي:-

حدود الوادي يقصد به خط تقسيم حوض النهر او الوادي^(١٢)، ويعبر عنه بخط يحيط الحوض مارا باعلى النقاط المرتفعة المحيطة به ليمثل الحد الذي يفصله عن حوض او وادي اخر^(١٠)، يلاحظ خارطة (٥).

خارطة (٥) حدود وادي منجور



المصدر:- الاعتماد على برنامج ARC/INFO.

٢- مساحة الوادي:-

بلغت مساحة وادي منجور (٦٤,٥ كم^٢) (٤)، ولمساحة الأحواض المائية علاقة وطيدة بالتركيب الجيولوجي والمناخ للمنطقة، ففي المناطق الرطبة تنشط عوامل النحت المائي وتزداد مساحة الاحواض المائية ووديانها نتيجة زيادة اعداد الشبكات المائية ضمن الاحواض المائية، يعد وادي منجور من الوديان التي تنتمي الى مجموعة الاحواض المائية جنوب مرتفعات مكحول والتي تصب في بحيرة موسمية

وبدورها تشكل جسر يربط بينه وبين عدد من الاودية التي تصب في وادي الثرثار وكون المنطقة هي ذات مناخ رطب جاف نسبيا فان شبكة الوديان تكون واسعة ومتعددة المساحات ووادي منجور يعد من الوديان المتوسطة المساحة نسبيا الى بقية الاودية والاحواض المتكونة منها مايقع شمال او جنوب منطقة البحث، فضلا عن طبيعة الصخور المكونة للمنطقة والتي في اغلبها صخور جبسية رملية ومذملكات مما ادى الى تكون الكتبان الرملية بكثرة عند اقدام تلك المرتفعات، وبالتالي تساعد على تشكل أخاديد واسعة نتيجة عوامل التعرية المائية وتشكل أودية طوليه بالاتجاه المعاكس لسلسلة مكحول مما يساعد على قصر المراتب من حيث أطوالها وهذا بالنسبة لوادي منجور، إذ الأحواض جنوب وادي منجور تمتاز بخصائص مختلفة من حيث اطوال المجاري المائية لكونها تقع ضمن أراضي سهلية اكثر او بالاتجاه جنوبا.

٣- معامل شكل الوادي:-

ان أي نقطة اينما كانت هي جزء من حوض نهري، لذلك فان الاحواض والودية تأخذ اشكالا مختلفة (١٢)، وادي منجور يعد من الاودية الطولية وتصل مياهه متعاقبة من اقرب نقطة الى المنفذ ثم الى ابعد نقطة في الوادي، يراجع الخارطة (٥).

٤- قياس عرض الوادي:-

بلغ عرض حوض الوادي عند كل نقطة من النقاط التالية:

- ١- النقطة الاولى ٢،٦ كم
- ٢- النقطة الثانية ٢،٧ كم
- ٣- النقطة الثالثة ٤،٩ كم

٤- النقطة الرابعة ٦،٦ كم (٤)

وبلغ متوسط عرض الوادي (٢،٤ كم)، يلاحظ الخارطة (٦).

٥- قياس طول الوادي:-

يعبر عن طول الوادي بانه ناتج قياس مسافة النهر او الوادي من مصبه الى اقصى نقطة عند محيط الوادي والتي تمثل نهايته وتفصله عن الحوض المجاور من جهة المنبع (١٣)، وبلغ طول الوادي (١٩ كم ٢).

٦- نسبة الاستطالة:-

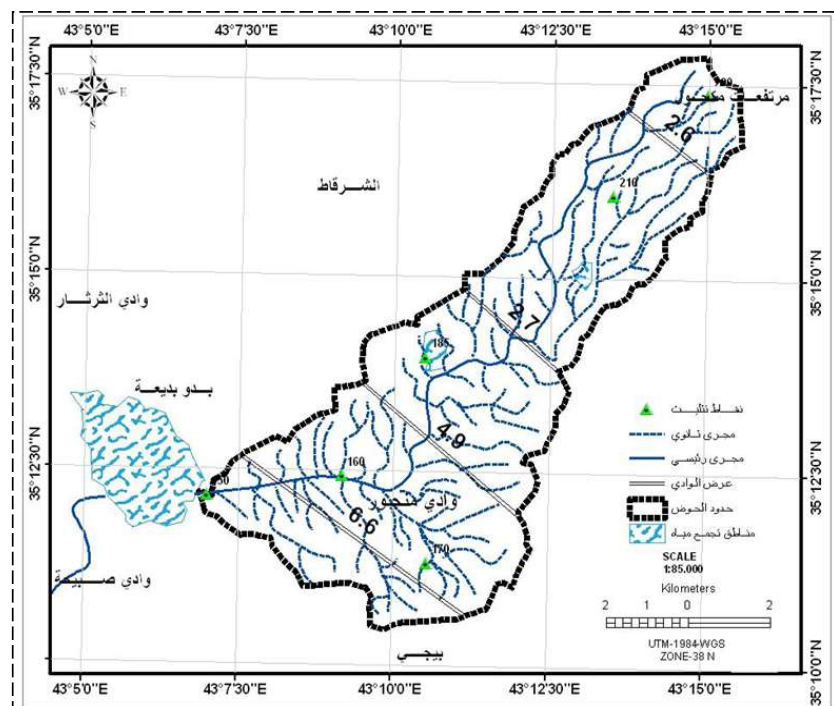
هي امتداد الحوض مقارنة مع شكل المستطيل، اذ تظهر النسبة عالية اذا كانت الاحواض او الاودية مستطيلة وتنخفض في الاودية الغير مستطيلة ويتم استخراج النسبة من المعادلة التالية:-

طول قطر دائرة مساحتها تساوي مساحة الحوض كم

$$\text{أقصى طول للحوض كم} = \frac{٥١}{٧/٢٢} = \frac{٠,٠٦}{٢ كم ١٩} = ٠,٠٣ \%$$

وبما أن النسبة قريبة إلى (١) فان الشكل قريب جدا إلى الاستطالة.

خارطة (٦) نقاط قياس عرض الوادي



المصدر:- الاعتماد على برنامج ARCMAP9.1.

٧- نسبة الاستدارة:-

نستخرج نسبة الاستدارة من المعادلة التالية:-

$$\epsilon = \frac{22}{7} * \text{مساحة الحوض}$$

مربع محيط الحوض

$$\text{والنتائج كان} \quad \epsilon = \frac{810.12}{45369} = 0.0176\% \quad \text{أو} \quad \epsilon = \frac{213}{2} * 3.14 = 335.34 \text{ كم}^2$$

وهذا يدل على أن الشكل غير دائري، فإذا ارتفعت القيمة اقترب الشكل إلى الدائري.

٨- معامل شكل الوادي^(١٤):-

$$\text{ويتم استخراج المعادلة التالية:-} \quad \text{مساحة الوادي كم}^2 \quad \text{مربع طول الوادي كم}^2$$

وكانت النتيجة (٠,١) يدل ذلك الانخفاض في النتيجة الى زيادة نسبة الطول للوادي^(١٥)

وتلك كانت ابرز الخصائص الشكلية والمساحية للوادي، اذ من خلال النتائج اصبح واضحاً ان الوادي يتميز بالاستطالة وصغر المساحة كصفات عامة.

ثانياً:- الخصائص المورفومترية للشبكة النهرية للوادي:-

تعد الخصائص المورفومترية للشبكات النهرية من اهم الصفات التي تدرس لكونها تعطي الصورة الدقيقة والواضحة لطبيعة الجريان والشبكة النهرية داخل الاحواض او الاودية النهرية ومن اهم تلك الخصائص التي تدرس هي التالي:-
خصائص الشبكة النهرية:-

١- رتب المجاري النهرية:-

تعرف الرتب النهرية بانها الروافد الموجودة في الحوض النهرية او الوادي والتي تغذي القناة الرئيسية بالماء. وقد تم الاعتماد على طريقة (strahler 1964) (١٢)، اذ ان الجداول الصغيرة او الافرع الصغيرة التي ليس لها تفرعات تسمى الترتيب الاول (first ordre) وعندما يلتقي فرعان من الترتيب الاول معا يُشكل الترتيب الثاني (second order) وهكذا، يلاحظ خارطة (٧)، من خلال الخارطة يتم التعرف على نوع شبكة الرتب، اذ ان المناطق الجبلية والشبه جبلية تكون فيها مساحة

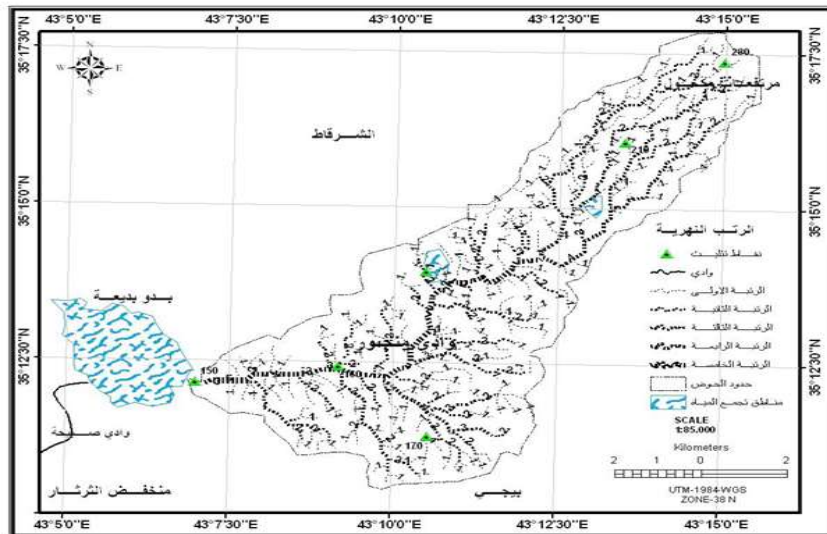
الرتب الاولى قليلة والعكس اذا كانت الاراضي منبسطة او جافة فقد تصل الى مئات من الكيلو مترات، جدول (٤) (١٦).

جدول (٤) المراتب النهرية لواحي منجور

اسم الوادي	المرتبة	عدد المجاري	مجموع طول المجاري/كم	معدل طول المجاري/كم	نسبة التشعب
وادي منجور	١	٢٢٢	٧٥	٠,٣	٣,٧
	٢	٥٩	٤٢	٠,٧	٤,٢
	٣	١٤	٣١	٢,٢	٧
	٤	٢	٥	٢,٥	٢
	٥	١	١٠	١٠	
المجموع		٢٩٨	١٦٣		

*من عمل الباحثة

خارطة (٧) المراتب النهرية ضمن وادي منجور



المصدر:- الاعتماد على برنامج ARCMAP9.1.

٢- نسبة التشعب:-

التشعب هو العلاقة بين عدد المجاري في كل مرتبتين متتاليتين (١٠)، وقد تكون النسب غير متساوية للوادي. ويتم استخراج نسبة التشعب من القانون التالي:-

عدد المجاري في مرتبة ما

عدد المجاري في المرتبة التي تليها

وعند تطبيق القانون تم استخراج نسبة التشعب حسب المراتب الخمسة، يراجع جدول (٤)، وبما ان هناك علاقة طردية بين نسبة التشعب والتصرف فان الرتبة (٤-٣) هي الاكثر تصرفا من بين الرتب، اذ كلما كانت نسبة التشعب عالية فان نسبة التصريف ترتفع

٣- معدل اطوال المجاري:-

يتم استخراج معدل اطوال المجاري من خلال المعادلة التالية

مجموع أطوال المجاري في المرتبة

معدل أطوال المجاري في مرتبة ما =

عدد المجاري في المرتبة

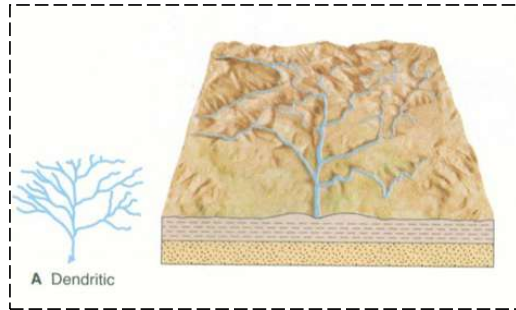
وقد بلغ معدل طول المجاري (٠,٣ - ٠,٧ - ٢,٢ - ٢,٥ - ١٠)، يراجع جدول (٤)، اما مجموع اطوال المجاري فقد بلغ (٧٥ - ٤٢ - ٣١ - ٥ - ١٠) لكل مرتبة.

٤- نوع شبكة التصريف:-

يحدد نوع شبكة التصريف بالنسبة للوادي طبيعة الجريان في الوادي والتصريف النهر وشبكة التصريف في وادي منجور هي من النموذج الشجري وشبه الشجري، اذ ينتشر هذا النوع في المناطق ذات المقاومة المتشابهة او المتساوية للتعرية، أي في المناطق التي تحتوي على صخور صلبة ويشمل الوادي تفرعات

باتجاهات مختلفة وتصل المياه في جميع اجزائه بالتساوي من المنبع الى المصب،
يلاحظ شكل (١).

شكل (١) الشبكة الشجرية



Physical geology (Earth Revealed), Carison. Plummer. Mcgeary, seventh Edition, 2006, ch 14, p4220.

٥- كثافة التصريف:-

تعتمد كثافة التصريف على الانهار الدائمة هي تعتبر دليل عن مدى وجود
الماء في الوادي، ويعبر عن كثافة التصريف من خلال المعادلة التالية:-

مجموع أطوال الأودية في الحوض / كم

= كثافة التصريف

مساحة الحوض / كم^٢

والناتج كان (٢,٥ كم) أي ان كل (١ كم^٢) يتضمن (٢,٥ كم) وهذا يعني ان
التصريف قليل ضمن الوادي وشبكة المراتب التي تحتويه قليلة بشكل عام وبالتالي ما
يصرُف من مياه قليل ايضا (٤). وتعد كثافة التصريف للوادي او النهر مهمة من
الناحية المرفولوجية والهيدرولوجية لانها تدل على طبيعة الجريان السطحي في الوادي
والتي تتأثر بالتراكيب الجيولوجية والانحدار والغطاء النباتي والتساقط.

ثالثا:- الخصائص التضاريسية للوادي:-

وقد شملت الخصائص التضاريسية دراسة التالي:-

١- الانحدار في الوادي:-

ويعني المتوسط العام لانحدار الأرض داخل الوادي بالنسبة للمستوى الأفقي
للسطح ويحتاج الى استخراج ظل زاوية الانحدار والفاصل الراسي وعدد خطوط
الكنطور وذلك ضمن المنطقة المحددة للوادي. وقد تم استخراج النسب التالية الانحدار
وهي:-

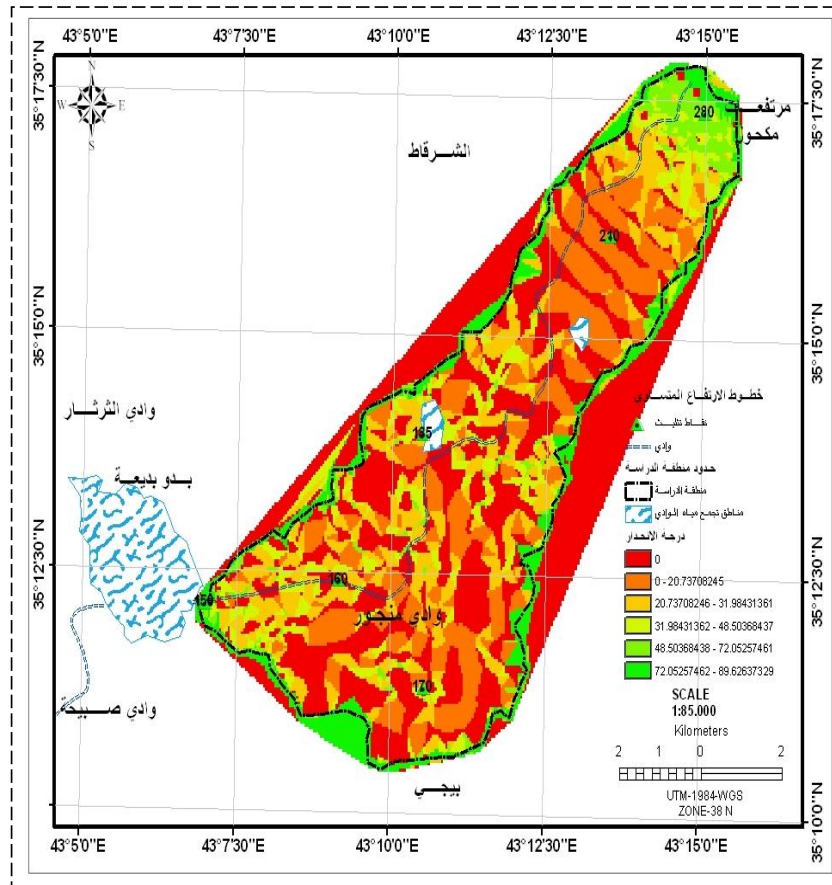
أ- درجة الانحدار:- اذا بلغت في وادي منجور (٠° - ٨٩°) (١٧)، وهي قيمة تراوحت
بين الصفر وذلك ضمن الاراضي المنبسطة عند المصب و(٨٩°) عند المنبع
وذلك لوقوع المنطقة ضمن نطاق اقدام الجبال وهي مناطق شبه عامودية، يلاحظ
خارطة (٨)، وخارطة (٩)، وقد اشتملت درجات الانحدار ضمن المنطقة المدروسة
على الدرجات التالية:-

جدول (٥) درجات انحدار

ت	درجة الانحدار	نوع الانحدار
١	٠°	أراضي منبسطة
٢	٠° - ٢٠°	أراضي متوسطة الانحدار
٣	٣١° - ٤٨°	أراضي معتدلة الانحدار
٤	٤٨° - ٧٢°	أراضي شديدة الانحدار
٥	٧٢° - ٨٩°	أراضي شديدة الانحدار جدا

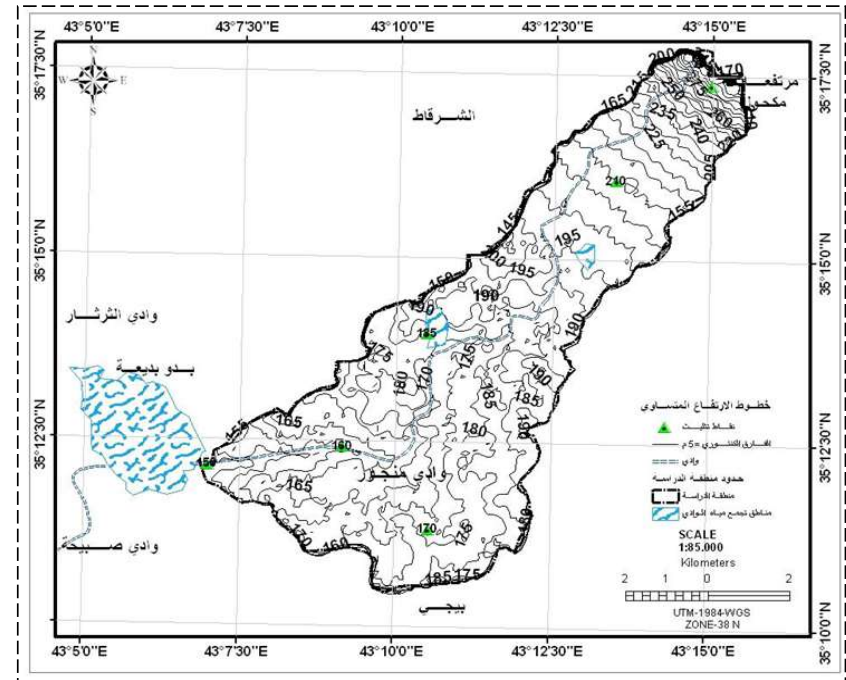
ITC. Volume v II chapter 6

خارطة (٨) تصنيف الوحدات الارضية ضمن الوادي حسب درجات الانحدار العامة



* ITC. Volume v II chapter
** ARCMAP9.1

خارطة (٩) خطوط الارتفاعات المتساوية



المصدر:- الاعتماد على برنامجي Arcmap 9.1-Globalmapper8.

ب- معدل الانحدار

$$\text{بعد تطبيق المعادلة التالية:-} = \frac{\text{الفاصل الراسي}}{\text{المسافة الأفقية}} = \frac{130}{19} = \text{أي ان كل (م) تنحدر (م).}$$

ج- نسبة الانحدار ^(١٨):-

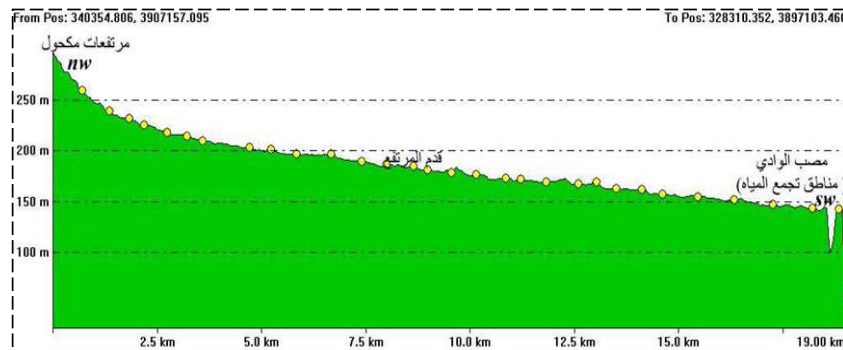
$$\text{وتستخرج من المعادلة التالية} = \frac{\text{الفاصل الراسي}}{\text{المسافة الأفقية}} * 100 =$$

والنتائج هو ٦.٨ %.

٢- القطاع الطولي للمجرى النهرى:-

يعد القطاع الطولي للمجرى النهرى ضمن أي منطقة مهم لكونه يمثل ارتفاع كل جزء من المجرى والمسافة التي يشغلها، وامتاز القطاع الطولي لمجرى وادي منجور بالانحدار من منطقة المنبع الى المصب بالتدريج حسب انحدار السطح ودرجاته، يلاحظ شكل (٢).

شكل (٢) القطاع الطولي للمجرى النهرى ضمن حدود الوادي



المصدر:- الاعتماد على برنامج Globalmapper8.

٣- معدل التضرس:- (١٠)

الفرق بين اعلى وادنى منسوب في الحوض / م

ويتم استخراجها من المعادلة التالية

طول الحوض / م

وبلغ معدل التضرس لواحي منجور (٦م) وهذا يدل على ان الوادي متضرس في مناطق شملت ثلث مساحة الوادي لكون الوادي يقع عند اقدام المرتفعات الى الشمال من الوادي (١٩).

والتضاريس ترتبط مع مساحة الوادي او الحوض بعلاقة عكسية فكلما زادت نسبة التضرس قلة مساحة الوادي وكلما قلة نسبة التضرس زادت مساحة الوادي وفي وادي منجور نسبة التضرس عالية عند منابعه الاولى مما يدل على صغر مساحة الوادي ونشاط عملية التعرية النهرية التي تكون في المرحلة الاولى لها او الثانية، وقلتها عند نهاياته وذلك برز من خلال اتساع مساحة الوادي بالاتجاه جنوبا وبالتالي اتساع شبكة التصريف والترتب النهرية وهي حالة معكوسة في مناطق الوادي الشمالية.

٤- الوعورة:-

اما الوعورة فتعد من الخصائص التي تعطي صورة واضحة لعلاقة (التصريف والانحدار و طول الحوض) ويتم استخراجها وفق المعادلة التالية:-
كثافة التصريف (الفرق بين اعلى وادنى منسوب في الحوض)
قيمة الوعورة =

طول محيط الحوض/م

٢٠٥ * ١٣٠

وعند تطبيق المعادلة كالتالي = ١٧ وهي قيمة عالية مما

١٩

يدل على وعورة منطقة الوادي.

٥- النسيج الحوضي:-

يعد هذا العامل مهم لأنه مؤشرا لمدى تضرس وتقطع سطح الأرض وكثافة الصرف فكلما تزايدت خطوط الشبكة النهرية ازداد عدد الأودية وزاد اقترابها من بعضها دون الأخذ بالطول وحسب المعادلة التالية:-

إعداد أودية الحوض

النسيج الحوض =

طول محيط الحوض/م

وعند تطبيق المعادلة كانت النتيجة تدرج النسيج الحوضي كالتالي:-

١٠٤ خشن أي ارتفاع السطح وكثرة تقطعه وتضرسه وهذا بالنسبة إلى منطقة الحوض عند المنبع.

٠٠٢ - ٠٠٩ إلى أدنى نقطة في الحوض إلى الأراضي السهلية وهذا يدل على انبساط السطح وقلة تضرسه وكثرة الرتب القصيرة وتقاربها مع قلة الطول (٢٠).

٦- العلاقة بين الانحدار والمجري المائي ورتبه:-

يمكن استخراج العلاقة بين الارتفاعات واطوال المجاري المائية في كل مرتبة من خلال استخراج معدل الارتفاع لكل المراتب كالتالي (٢٧٠، ١٩٧، ١٩٠، ١٨٥، ١٧٩)، وقد تم استخراج تلك القيم من المعادلة التالية:-

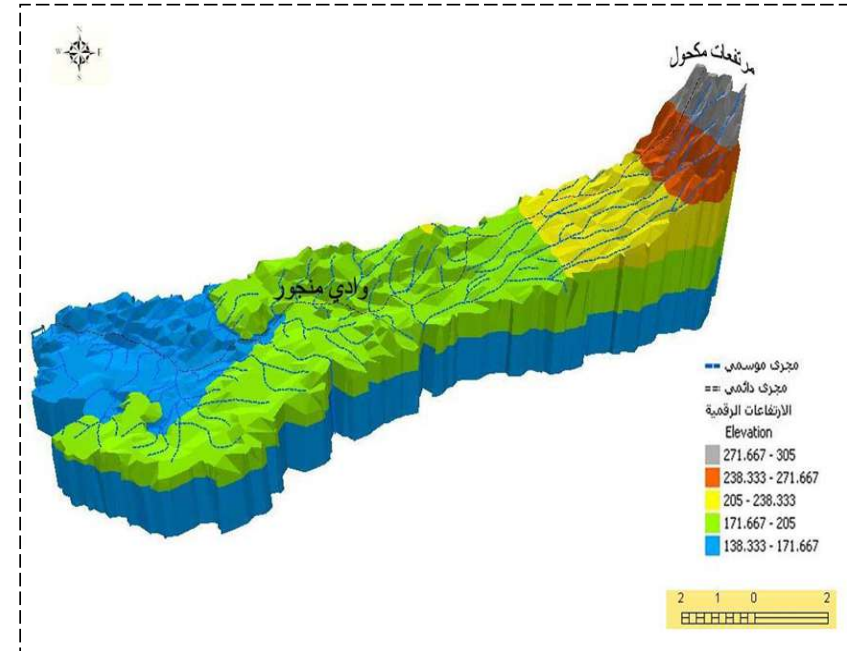
مجموع الارتفاعات في كل مرتبة

معدل الارتفاع لكل مرتبة (٢١) =

عدد المجاري في كل مرتبة

ومن خلال معرفة العلاقة بين الارتفاع ومعدلاته يمكن لنا ان نحدد ارتفاع كل مرتبة عن الأخرى وذلك ما ينبغي معرفة لتحليل مدى ارتفاع الوادي او الحوض النهري وبالتالي دراسة خصائص الارتفاع لكل وادي مما يساعد في عمليات بناء السدود والخزانات للدراسة الهيدرولوجية والمورفولوجية والهندسية، يلاحظ شكل (٣).

شكل (٣) نموذج الارتفاعات الرقمية للوادي ومراتبه النهرية



ArcScene 9.1

المحور الثالث

المظاهر الجيومورفولوجية وطرق السيطرة عليها

تعتبر منطقة وادي منجور من مناطق اقدام الجبال وهي ذات تراكيب صخرية وتمتاز منطقة جبال مكحول عند قدماتها الجنوبية تبعاً بانحدارها الشديد كما أوضحنا سابقاً وفصلاً عن ذلك تعد منطقة كثنان رملية اذ تنتشر ضمن منطقة الوادي، يلاحظ خارطة (١٠) ومن ابرز المظاهر الجيومورفولوجية البارزة ضمن وادي منجور هي:-

١- اشكال ارضية ناتجة عن التعرية المائية:-

وقد شملت

١- شبكة الاودية:- اذ برزت ضمن منطقة الوادي الانواع التالية من الاودية وهي:-

أ- الاودية التابعة:- وهي اودية تتبع في الغالب انحدار الارض وتعد من اول انواع الاودية ظهورا ووادي منجور هو احد تلك الاودية.

ب- الاودية المضربية:- تلك الاودية تتبع في مسارها مناطق الضعف الصخري وغالبا ما تتسم بالعرض بسبب تاثيرها بالتعرية.

٢- بقايا تلال التعرية:- وهي تلال ذات قمم قبابية الشكل تتكون عند استمرار نشاط عوامل التعرية في نحت المرتفعات ينتج عن تراجع المنحدرات وبتكرار عمليات التلم والتقطيع ونشاط عوامل النحت المائي عندئذ لا يبقى إلا أجزاء قليلة الارتفاع في بعض مناطق سطح الارض، وتنتشر التلال في معظم اجزاء وادي منجور.

٣- أشكال أرضية ناتجة عن التعرية الريحية:-

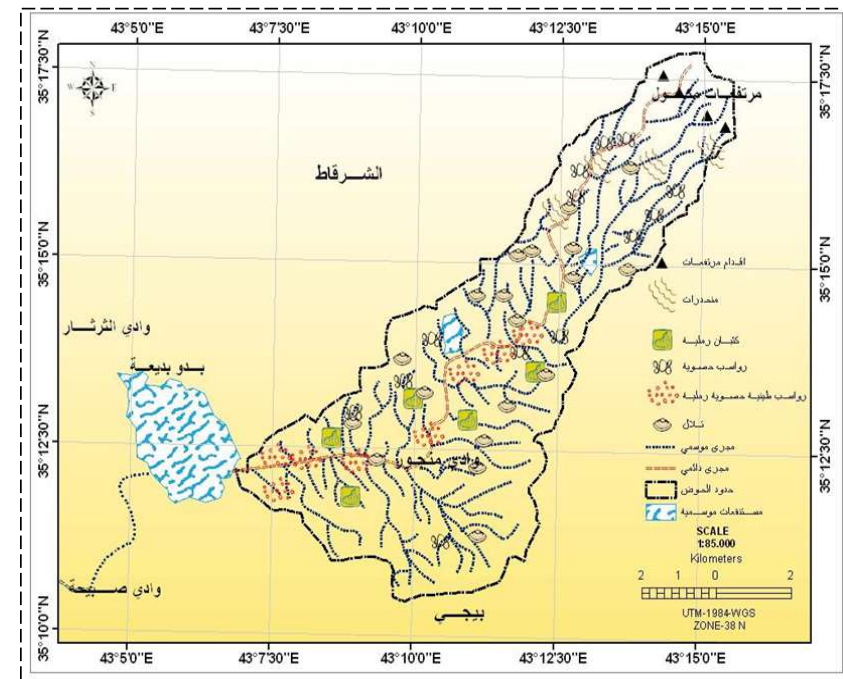
الكثبان الرملية:- تنتشر الكثبان الرملية في الطبيعة بأشكال مختلفة متأثرة بالرياح وكمية الرمال وطبيعة مظاهر السطح في المنطقة المتواجدة فيها والكثبان عبارة عن تل او تراكم من الرمال كونته الريح^(٢٢)، يراجع خارطة (١٠)، وفي وادي منجور يوجد نوعان من الكثبان وهي:-

أ- الكثبان الطولية:- والتي تتخذ شكلا طويلا لاتجاه الرياح العام وتكون محدبة او مقوسة من الاعلى تبعا لهبوب الرياح في اتجاه واحد وتغير اتجاهها لفترة قصيرة او لايام معدودة حتى تتحول الى نوع ثاني من الكثبان، وتنتشر تلك الكثبان على امتداد وادي منجور وجوانبه.

ب- الكثبان الهلالية:- وهي نتاج التغيرات التي تتعرض لها الكثبان المستعرضة القصيرة الامتداد، ونتيجة تكون تيارات دوامية او دورانية في اتجاهات مختلفة

واصطدامها في الارض مع ما تحملة من رمال على اطراف الكثبان وجوانبة فتتمو الكثبان الهلالية (٨) وتنتشر على الجوانب القريبة للوادي.

خارطة (١٠) المظاهر الجيومورفولوجية في وادي منجور



*مرئية فضائية لمنطقة الدراسة (ETM)، البند (٣،٤،٧)، ١٩٩١.

**تفسير مرئية رادارية لمنطقة الدراسة، لسنة ٢٠٠٠، بالاعتماد على تفسير خطوط الكثور.

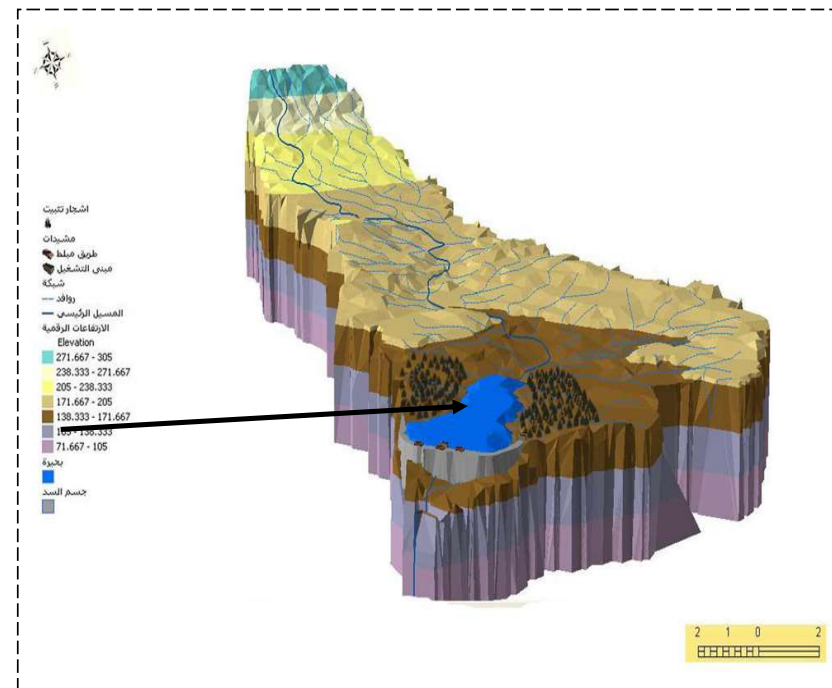
نظرا للمشاكل الكبيرة التي تنجم عن حركة الكثبان الرملية وذلك بتهديدها المستمر للمنشآت الصناعية والسكنية والطرق والمزارع فقد كان من الضروري العمل على تثبيت الكثبان الرملية والتخلص من أضرارها ثم تحويلها إلى منتزهات وأراضى منتجة وتعتبر الطرق المتبعة في الوطن العربي والخاصة بتثبيت الكثبان الرملية

متشابهة من حيث المبدأ والأهداف ولا تختلف إلا على مستوى التنفيذ الذي يخضع بدوره إلى مدى توفر أو عدم توفر المواد الأولية المستعملة والامكانيات الفنية المتوفرة لدى كل دولة. ويخضع تثبيت الكثبان الرملية إلى عمليتين رئيسيتين: ١- التثبيت الميكانيكي أو المؤقت. ٢- التثبيت البيولوجي أو الدائم.

إن الهدف من تثبيت الكثبان الرملية تثبيتاً أولياً سواء ميكانيكياً أو كيمياوياً هو إنشاء غطاء شجري أو شجيري لتثبيتها تثبيتاً نهائياً إذ أن التثبيت الأولي الميكانيكي أو الكيماوي هو عبارة عن وسيلة لتثبيت سطح الكثبان الرملية لمدة زمنية معينة (٢-٤ سنوات) وهي فترة كافية لنمو الأشجار أو الشجيرات التي تغرس على الكثبان الرملية المثبتة بهذه الوسيلة حيث يتكون مجموع جذرى يساعد على تماسك حبيبات الرمال وكذلك مجموعة خضرية فوق سطح الرمال يساعد على كسر قوة الرياح وحماية سطح الرمال من الانجراف الهوائي^(٢٣)، كما ويمكن إجراء اقتراحات ثانوية مهمة وتعد حلول جذرية لعموم المنطقة وذلك من خلال اعطاء الحلول المناسبة للحد من هذه الظاهرة والحد من تأثيرها على الاستغلال الزراعي في منطقة الوادي اذ لوحظ تجمع مساحات من المياه بشكل دائم في مصب الوادي دون استغلالها اذ تم رصد هذه المياه عند ملاحظ المرئيات المختلفة امتداداً من المرئية الملتقطة سنة ١٩٧٤ من نوع (mss) وصولاً الى مرئيات (Google earth) الملتقطة سنة ٢٠٠٨، ولغرض استصلاح الاراضي المتواجدة على جانبي الوادي وتوفير المياه المناسبة والكافية فقد تم كاقترح انشاء السد في منطقة الوادي وتم اقتراح استثمار المياه بشكل ملائم من خلال هذا المشروع، اذ يبلغ ارتفاع السد المحتمل (٢٠ م) ومساحة البحيرة الافتراضي (٣،٢ كم^٢) اماطول البحيرة (٨،٣ كم^٢) وطول السد المحتمل الصاد للمياه (١،٩ كم) عند أنشاء السد إلى الاتجاه جنوبي غربي نحو المصب، ويتخذ من المنحدرات العميقة ما بين المصب ونهاية المجرى الرئيسي للوادي مشكلاً منطقة تخزين مثالية للسيطرة على المياه وتوزيعها اسفل السد الى جانبي الوادي اذ تنخفض الاراض المحيطة عن جسم السد بشكل يضمن انسياب جيد للمياه لهذه الاراضي وبالتالي احيائها وتحويل

المصب القديم الى مفيض في حالات الفيضان المفاجئة وبالتالي تحويل المصب القديم الى اراضي زراعية خصبة يلاحظ الخارطة (١١).

خارطة (١١) السد المحتمل والبحيرة



*Arc Scene 9.1

الخاتمة

تناول البحث ظاهرة من مظاهر السطح المهمة وهو وادي منجور ضمن حدود محافظة صلاح الدين وهو واحد من الاودية الكثيرة التي تقع الى الشمال من العراق ضمن مجموعة احواض واسعة، وقد تناول البحث خصائص الوادي الطبيعية وخصائصه الشكلية والتضاريسية والمورفومترية بشكل شبه مفصل مما يساهم في اعطاء الوصف العلمي الدقيق لخصائصه بالاعتماد على احداث البرامج المتاحة، فضلا عن الحلول والمقترحات التقليدية والحلول الجديدة التي تساهم وبشكل اكبر في السيطرة على مخاطر الظاهرة المتواجدة ضمن الوادي والتي تعد العامل المهم في قلة استثمار الارض او عدمها في احد اجزاء الوادي وذلك بسبب طبيعة المنطقة الجيومورفولوجية ولاسيما السطح وعوامل التعرية الريحية، ونرجوا ان نكون قد اعطينا الصورة الواضحة والحلول الممكن تطبيقها في المستقبل.

النتائج والتوصيات

- توصل البحث الى عدد من النتائج والتوصيات التي يمكن ان تاخذ المنحنى الواقعي من حيث امكانية التطبيق والاستفادة منها قدر المستطاع وهي كما يلي:-
- ١- إجراء دراسات تفصيلية لمناطق مشابهة لمنطقة البحث ولاسيما ان أراضي العراق تنتشر فيه مثل تلك الخصائص التضاريسية في الأجزاء الشمالية من أراضي.
 - ٢- توفير الإمكانيات المتطورة من حيث الأجهزة الحاسوبية وأجهزة القياس الخاصة لعناصر المناخ ودراسة خصائص التربة والصخور مما يوفر المعلومات الدقيقة عن الظاهرة المدروسة.
 - ٣- مراقبة ظاهرة الوديان والكثبان الرملية المرتبطة بها وذلك لأثارها الخطيرة على البيئة والأراضي الزراعية، في حالة حدوث زحف لتلك الظواهر.

- ٤- إتباع الطرق الحديثة في معالجة مشكلة الكثبان الرملية لضمان عدم تكرار حدوثها مستقبلا.
- ٥- التركيز على دور الجيومورفولوجية التطبيقية في رصد الظواهر الأرضية من خلال دراسة غطاء السطح وجيولوجية المنطقة وذلك لإمكانية إعطاء الصورة المتوقعة في المستقبل والعمل على ربطها مع الظاهرة في تطوير وتسخير تلك الظواهر.
- ٦- امتاز الحوض بالاستطالة وصغر المساحة في الأجزاء الشمالية نتيجة للتضرس والوعورة وهي حالة معكوسة إلى الجنوب من الحوض في أجزاء السفلى.
- ٧- اتصفت الشبكة النهرية بارتفاع معدلات الأطوال للمجاري إلى الشمال من الحوض وتعكس الحالة إلى الجنوب من الحوض مما اثر على نسب التصريف والكثافة النهرية أذ قلة قيم التصريف والكثافة إلى الشمال بالاتجاه نحو المنبع وازدادت بالاتجاه نحو المصب نتيجة لكثرة الرتب وتشعبها.
- ٨- الحوض النهرى ضمن المنطقة الشبه جبلية والمنبسطة تبعا من الشمال إلى الجنوب مما أعطى تأثير كبير للصفات العامة للحوض والخاصة كما ذكرنا فضلا عن دور الشبكة النهرية في إعطاء المنطقة الصفات الجيومورفولوجية البارزة كونها منطقة وديان تابعة ومظربية نتاج التعرية المائية للحوض.

هوامش البحث

- (١) خالد وليد البياتي، دراسة جيولوجية هندسية لاستقرارية المنحدرات الصخرية لسد العظيم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ١٥.
- (٢) عبد الله السياب وآخرون، جيولوجيا شمال العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٢، ص ٣٠.
- (٣) مصطفى برواري ونصيرة عزيز صليوة، لوحة سامراء، تعريب ازهار علي غالب، وزارة الصناعة والمعادن، الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين، ١٩٩٤، ص ٨-٩.
- (٤) عبد الله زوقي كربل، علم الاشكال الارضية ج٢، ط١، منشورات جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص ٨٥.
- (٥) برنامج ArcMAP9.1.
- (٦) <http://aradina.kehanaona.line>.
- (٧) فليح حسن الطائي، حصر وتقييم موارد التربة والاراضي في تخطيط مشاريع التنمية، "بحث مقدم للمؤتمر الفني الدوري الاول لاتحاد المهندسين الزراعيين، الخرطوم نكانون الاول، ١٩٧٠"، بحث غير منشور، بغداد، ١٩٧٠، ص ١-٧.
- (٨) Buring. Soil and Soil condition in Iraq. Iraqi Ministry of Agricultural, Baghdad, Iraq 1960. P. 137.
- (٩) عبد الله زوقي كربل، علم الاشكال الارضية ج٢، ط١، منشورات جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص ٨٥.
- (١٠) مديرية زراعة صلاح الدين، التخطيط والمتابعة، المساحات المزروعة في صلاح الدين، (١٩٩٠-٢٠٠٦)، بيانات غير منشورة.
- (١١) خلف حسين علي الدليمي، التضاريس الارضية (دراسة جيومورفولوجية عملية تطبيقية)، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠٠٥، ص ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٠.

- (١٢) احمد احمد سطحية، الخرائط الكنتورية (تفسيرها وقطاعتها)، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ص ١٥٩.
- (١٣) صباح توما جبوري، علم المياه وادارة احواض الانهر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ٥٦، ٥٩، ٦٤.
- (١٤) محمد صبري محسوب، واحمد البدوي، الخريطة الكنتورية قراءة وتحليل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٥٩.
- (١٥) صهيب حسن مضر، بناء أنموذج جغرافي للجريان المائي السطحي في الجزء الشمالي في منطقة الجزيرة، العراق، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص ٤٠.
- (١٦) لطفي راشد المفلاح المومني، هيدرولوجية حوض وادي الموجب الرئيسي في الاردن، دراسة في الجغرافية التطبيقية، استشعار عن بعد، مطبعة وزارة الثقافة، الاردن، ١٩٩٧، ص ٨١.
- (١٧) برنامجي Arcmap 9.1-Globalmapper8.
- (18) ITC. Volume v II chapter 6. p.12..
- (١٩) ياسين عبيد، المساحة الهندسية، دار الحكمة للنشر، البصرة، ١٩٩٠، ص ١٢٢-١٢٥.
- (٢٠) برنامجي Arcmap 9.1-Globalmapper8.
- (20) stunly A. schumum. the flwial system of America, jough wile and sons , 1977 , p 67.
- (٢١) محمد صبري محسوب، واحمد البدوي، الخريطة الكنتورية قراءة وتحليل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٥٩.
- (٢٢) آرثر. ن. ستريلر، إشكال سطح الأرض، ترجمة، د. وفيق حسين الخشاب، وعبد الوهاب الدباغ، جامعة بغداد، ١٩٦٤، ص ٣٣٥.
- (٢٣) المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة، مراقبة التصحر ومكافحته، البادية السورية، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢٣٤ - ٢٤٧.

وادي شيشين

أ.م.د. عبد الفتاح حبيب رجب

جامعة / تكريت / كلية التربية / قسم الجغرافية

مُتَكَلِّمًا

تعد دراسة الأودية الموسمية الجريان من المواضيع الحيوية المهمة خاصة في المناطق الجافة من خلال الاستعمال الأمثل للمورد المائي الذي مصدره الأمطار الساقطة لتلبية متطلبات الحياة بصورة عامة والإنتاج الزراعي بصورة خاصة.

وتأتي أهمية دراسة حوض وادي شيشين من أجل تحديد المساحات المزروعة وتغيرها من خلال المرئيات الفضائية وبالاغتماد على برنامج ERD AS وبرنامج ARC GIS وفي تكوين نظام تصنيفي خاص للظواهر على أساس التشابه والاختلاف لاستعمالات الأرض.

وعند الوقوف على مقدار تغير استعمالات الأرض الزراعية لمنطقة الدراسة لابد من إعطاء فكرة عن جيومورفولوجية الحوض ومورفومتريته لما لها من تأثير على أنواع التربة وانعكاس ذلك على المحاصيل المزروعة

تتحصّر مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل يعد وادي شيشين وادياً زراعياً؟ وما هي طبيعة التغير الذي طرأ على المساحة المزروعة؟ وكيف تسهم تقنية الاستشعار عن بعد في تحديد المساحة المزروعة للأعوام ١٩٧٣، ٢٠٠١؟ معتمداً في ذلك على بعض الفرضيات لاستعمالات الأرض: وجود تغير في الاتساع المساحي بين سنة الأساس ١٩٧٣ وسنة المقارنة ٢٠٠١. وهناك دور للمرئيات الفضائية في تحديد المساحة المزروعة ونوع المحصول.

تهدف الدراسة لتصميم خرائط باستخدام تقنيات معاصرة للكشف عن التغيرات لاستعمالات الأرض الزراعية لوادي شيشين ووضع الحلول المناسبة لها عن طريق

تكوين نظام تصنيفي خاص للظواهر التي يتم اختيارها على أساس خاصية التشابه والاختلاف في البناء الأرضي واستخدامات الأرض^(١).

وقد اتبعت الدراسة في منهجها المنهج التصنيفي من قبل المعهد الهولندي (I.T.C)^(٢). إذ انه منهج ملائم لمنطقة الدراسة والمعتمدة على تحليل وتفسير المرئيات الفضائية لتجميع الأفكار وتنظيمها.

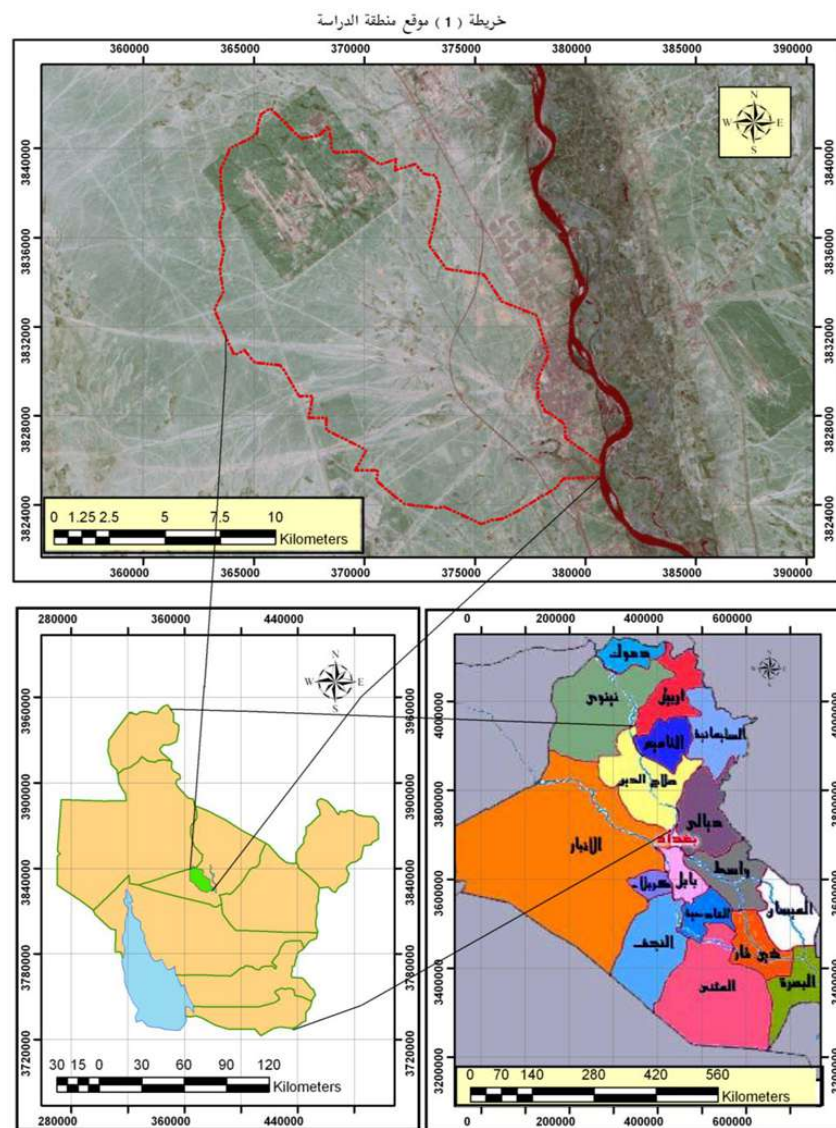
وتكمن أهمية البحث في توضيح دور الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات في تحديد المساحة المزروعة باستخدام الانعكاس الطيفي للمحاصيل الزراعية عن طريق برنامج (ERDAS IMAGIN 8.4) واستخراج المساحات والأطوال من خلال برنامج (ARC GIS 9.1).

يقع وادي شيشين ضمن مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين إحدى محافظات القطر العراقي، وينحصر فلكياً بين دائرتي عرض ٣٢° - ٣٤°، ٣٤° - ٤٢° شمالاً وخطي طول ٣٠° - ٤٣° شرقاً (انظر خارطة رقم ١)

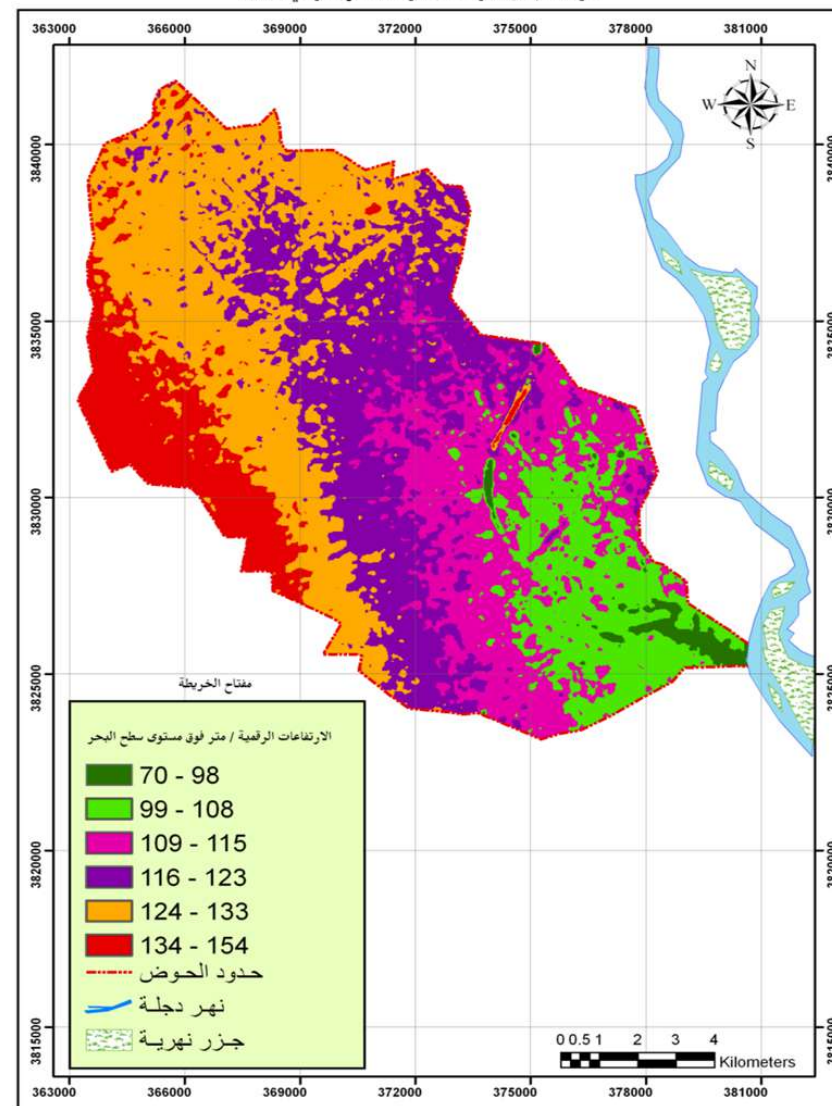
يبلغ أقصى طول للوادي ٢٣.٣ كم ويعرض ٨.٢ كم ويعمق ٣٠ م وبمساحة تساوي ١٩٧ كم^٢ وارتفاعه عن مستوى سطح البحر ينحصر بين (٧٠-١٥٤ م) كما تبينه الخريطة الفضائية رقم (٢) المشتقة من البيان الراداري لمنطقة الدراسة سنة ٢٠٠١.

يأخذ شكل حوض الوادي من المستطيل وأن نسبة استدارته هي (٠.٤٦). وانه يتميز بتصاريف مائية منتظمة زمانياً مع تلكؤ وصول التصاريف المائية بسرعة لأنها تقطع مسافة اطول مما يعرض جزءاً من المياه للضياع بفعل التبخر والترسيب^(٣).

اما خصائص الشبكة المائية فقد تضمنتها الدراسة المورفومترية لحوض وادي شيشن والتي اثرت عليها تطور الظروف الطبيعية والبنوية متمثلة



خريطة (2) الارتفاعات الرقمية لحوض وادي شبيشين



المصدر : البيان الوادى لمنطقة الدراسة لسنة 2001

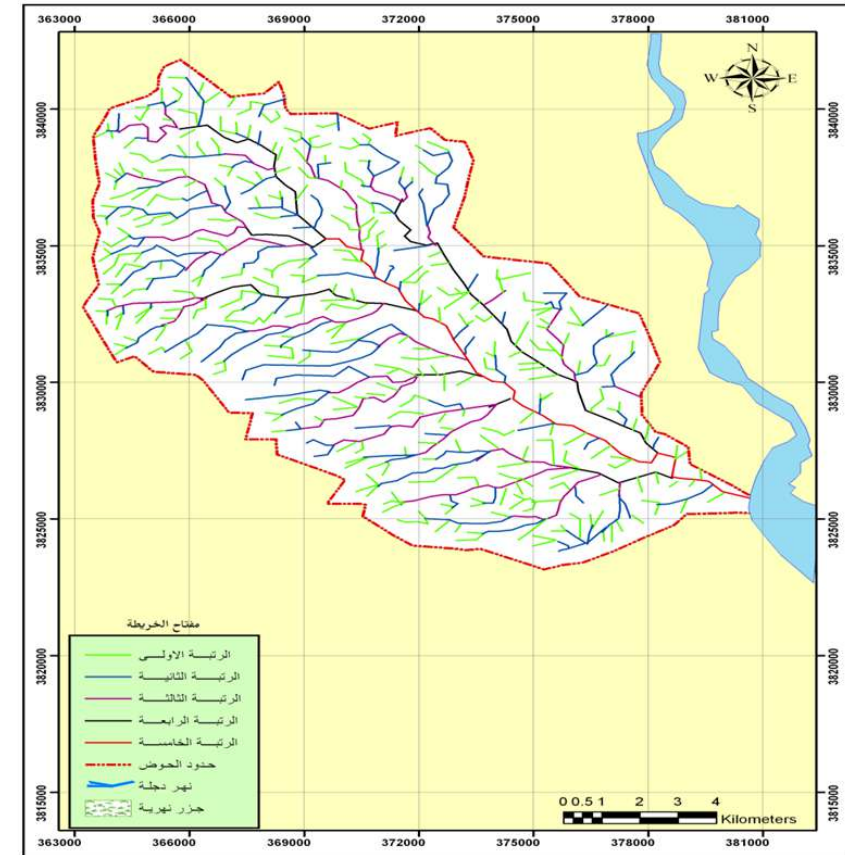
وتعاني منطقة الدراسة من نقص واضح في الموارد المائية السطحية الدائمة الجريان والذي ينعكس اثرها على تدني المساحات المزروعة بالمحاصيل وذلك لوقوعها ضمن المناطق الجافة والتي لا يحدث فيها أي جريان مائي الا بعد سقوط الامطار.

بالمراتب النهرية، وفيها يتم تحليل الشبكة باستخدام طريقة (STARAHLEA)^(٤). وتتص على ان المجاري المائية الصغيرة التي لا تصب فيها مسيلات او وديان اخرى تنتهي الى المرتبة الاولى والتقاء رافدين من المرتبة الاولى يشكل مجرى من المرتبة الثانية والتقاء وديان من المرتبة الثالثة يكون مجرى من المرتبة الثالثة، وهكذا يصل النهر الى المجرى الرئيسي الذي يحمل اعلى مرتبة. كما في خريطة رقم (٣) التي تمثل تصنيفاً للمراتب النهرية.

ويلاحظ من جدول (١) الذي مصدره المرئية الرادارية ان رتب حوض وادي منطقة الدراسة تراوحت بين الاولى والخامسة وهذا يؤكد السيادة للمجاري المرتفعة الرتب، وان مجموع اطوال المجاري تزداد كلما تطورت من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا وان ٤٤.٨% من اجمالي اطوال الشبكة المدروسة تعود للمرتبة الاولى، كما كانت نسبة عدد المجاري ٧٧.٦% من مجموع مجاري الحوض. بينما نسبة اطوال الوديان للرتب الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة هي: ٢٤.٣%، ٢٠.٢%، ١٧.٦%، ٤% على التوالي. في حين كانت نسبة عدد المجاري لنفس الرتب اعلاه تساوي: ١٧.٧%، ٣.٩%، ٠.٦%، ٠.١% على الترتيب هذا وان الهدف من معرفة المراتب النهرية للوادي هو تحديد كمية الصرف المائي الذي له انعكاس على تقدير قابليته الحثية والأرسابية. وعند معاينة المرئية الفضائية للوادي نجد ان عدد المقاطع العرضية لأعلى الشبكة المائية تكون ضحلة العمق وواسعة الامتداد وانها تشكل منخفضات مفتوحة تهب عليها ارسابات ناعمة مشتقة من صخور ورواسب الاصل فهي اكثر المواقع صلاحية للزراعة قياساً لأجزاء الحوض الاخرى كما يلاحظ ذلك في الجزء الشمالي الغربي من منطقة الدراسة.

اما نسبة التشعب للوادي فكانت (٤.٣ - ٦ كم) فهي مفيدة للتحكم في معدلات التصريف.

خريطة (3) تصنيف المراتب النهرية لحوض وادي شبشين



المصدر : البيان الراداري لمنطقة الدراسة لسنة 2001

هذا وتعد شبكة الصرف المائي الموسمية الجريان هي الوحيدة التي يمكن من خلالها استثمار المساحات المزروعة اذا ما استثمرت مياهها من خلال انشاء السداد الترابية. ولغرض معرفة كمية الجريان السنوي المتوقع للوادي استخدمت معادلة بيركلي^(٥).

$$R = CIS^{1/2} (W/L)^{0.45}$$

حيث ان:

R = حجم الجريان المتوقع مليار م^٣

$C = ٠.٣٠$ معامل ثابت يستخدم المناطق الجافة وشبه الجافة

I = حجم التساقط مليار م^٣

S = معدل انحدار متر / كم

W = معدل عرض الحوض / كم

L = طول الوادي من المنبع الى المصب

حجم التساقط المطري مليار م^٣ =

مجموع التساقط المطري السنوي (ملم) X مساحة الحوض / كم^٢ $X ١٠٠٠ X ١٠٠٠$

١٠٠٠٠٠٠٠٠

١٠٠

وعند تطبيق المعادلة على منطقة الدراسة يتبين ان حجم الجريان السنوي للمياه في الوادي هو (٠.٠٦٦) مليار م^٣. اما معدل المطر السنوي فهو ١٨٤ ملم. من هنا يظهر ان كمية المياه بهذا الحجم غير كافية للاستعمالات الزراعية، لذا يجب استثمار المورد المائي في السنوات المطيرة الرطبة من خلال انشاء سد متوسط الحجم يكون موقعه مناسب في الاجزاء الجنوبية الشرقية لحوض الوادي وذلك لألتقاء المراتب النهرية فيها وذلك تساعد على حصر اكبر كمية من مياه الامطار.

جدول رقم (١)

عدد المجاري المائية واطوالها/كم^٢ حسب الرتب لوادي شبيشين

الرتبة	التشعب	عدد المجاري	%	مجموع اطوالها / كم	%
١	٤.٣	٧٧٤	٧٧.٦	٢١٢	٤٤.٨
٢	٤.٥	١٧٦	١٧.٧	١١٥	٢٤.٣
٣	٦.٥	٣٩	٣.٩	٩٥.٦	٢٠.٣
٤	٦	٦	٠.٧	٣١.٧	٧.٦
٥	٠	١	٠.١	١٩	٤
المجموع		٩٩٦	١٠٠	٤٧٣	١٠٠

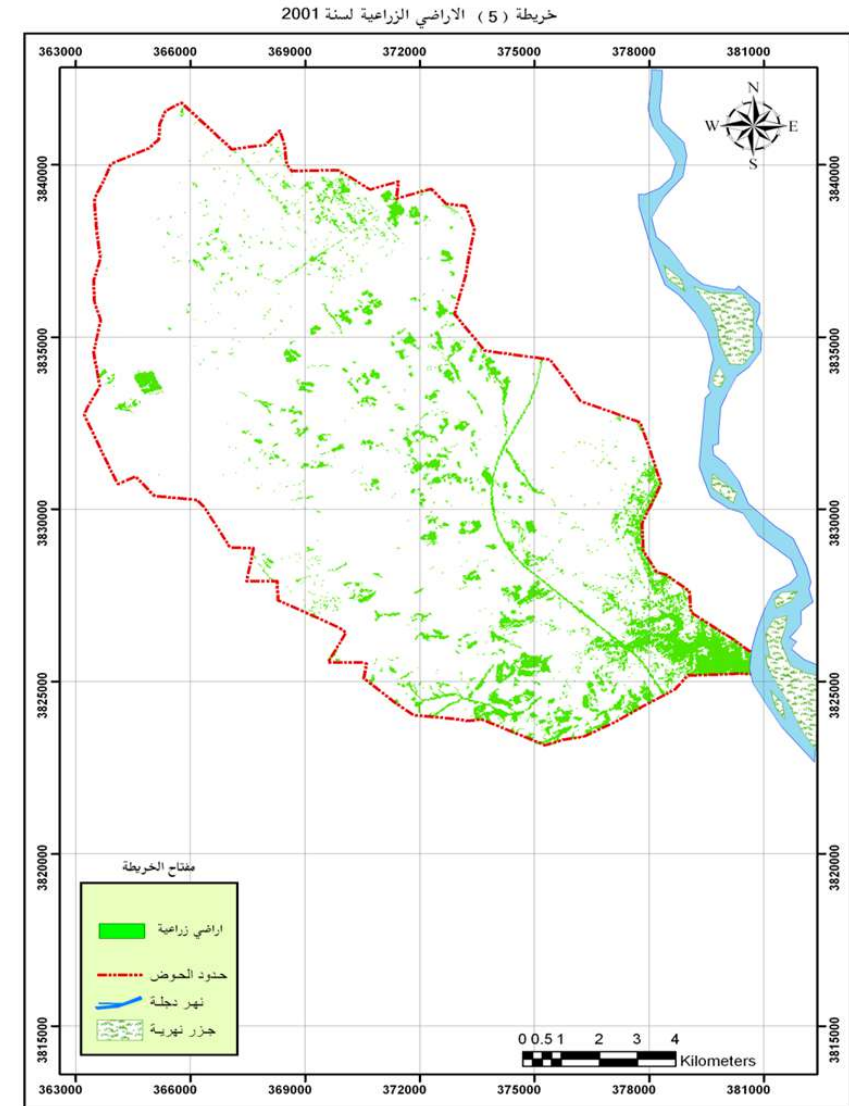
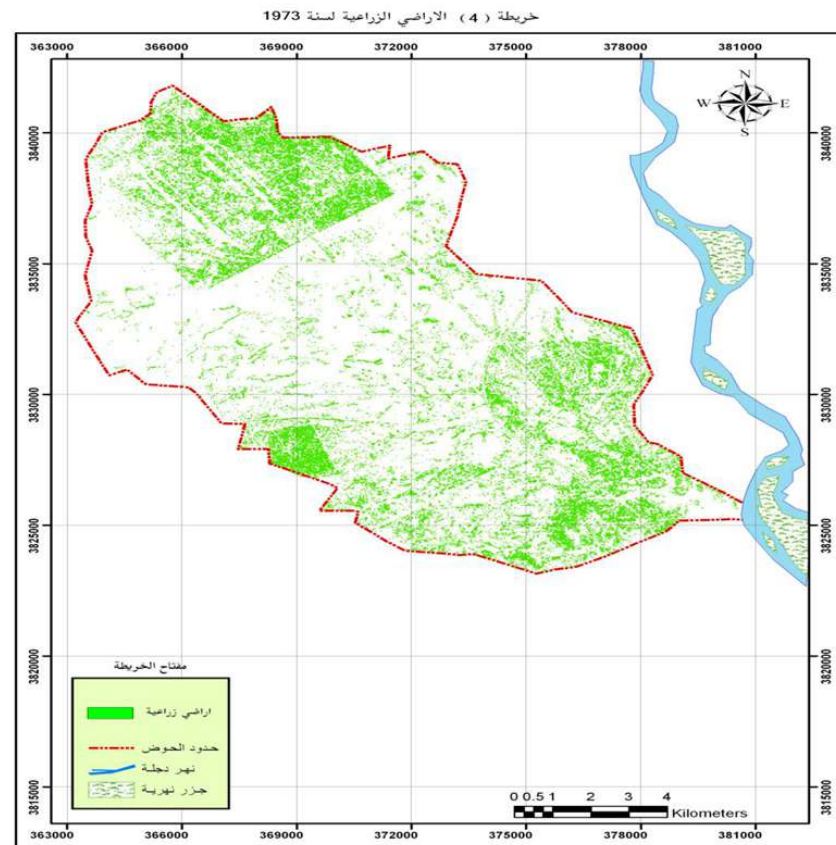
المصدر: عمل الباحث

ويتضح من تحليل المرئية الفضائية لمنطقة الدراسة لسنة ١٩٧٣ كما في خريطة (٤) للمتحمس (MSS) ان هناك اتساع للمساحة المزروعة بالمحاصيل والبالغة ٢١٨٥ دونم تتوزع على معظم اقسام الوادي باستثناء جهته الشرقية لكون اراضيها اخودية لاتصلح للزراعة.

هذا وقد اتسمت السنة المذكورة اعلاه من كونها سنة رطبة ازدادت فيها كمية التساقط المطري الى ٣٥٢.١ ملم^(٦). ارتفعت مناسب نهر دجلة واخذت المجاري المائية للوادي تمتلئ بالمياه للمراتب العليا منه.

وعند تحليل المرئية الفضائية لسنة ٢٠٠١ للمتحمس (ETM) كما في خريطة (٥)، يلاحظ تقلص المساحة المزروعة الى (١٥٩٠) دونم محققة نسبة تغير قدرها (٣٧%) عن سنة الاساس ١٩٧٣ جاء تركزها في الاجزاء الوسطى والجنوبية من الوادي بينما كانت اقسامه الشمالية والغربية خالية الزراعة لأنها تخضع لمحددات بشرية خاصة بالدولة.

وتتعرض منطقة الدراسة للجفاف شأنها شأن غالبية مناطق العراق نتيجة لقلة الامطار الساقطة ويرافق ذلك انخفاض في مناسب نهر دجلة لقيام دول الجوار وخاصة تركيا بأقامة السدود حتى وصل تأثير مياه نهر دجلة لوادي شبيشين الى المراتب الاخيرة من دون وصولها الى المراتب العليا، ناهيك الى حصول زحف عمراني لمدينة تكريت بتجاه اقسامه الجنوبية الشرقية بسبب زيادة عدد سكان المدينة من جهة وارتفاع المستوى المعاشي لها من جهة اخرى.



هذا وقد صنف الغطاء الارضي لحوض وادي شبيشين بالاعتماد على الحزمة (٢,٤,٧) للمريئة الفضائية للقمير الصناعي LAND SAT للمتحسس (ETM) بالمقارنة مع المريئة الماخوذة من برنامج (GOOGLE EARTH) انظر جدول (٢) ومنه يظهر ان المستقرات البشرية من وحدات سكنية وابنية هي المسيطرة على استخدامات الارض من الوادي وينسبة ٥٢.٣% تليه في الاهمية الاراضي القاحلة وينسبة ٣٢% من اجمالي مساحة الوادي والتي شملت على الترب الملحية والرملية والحصوية. مما يدل على ان معظم اراضي الوادي غير صالحة للزراعة، في حين كانت مساهمة الاراضي المزروعة ٧.٤٥% من مجموع استخدامات الارض وبلي ذلك المراعي الطبيعية والمستنقعات الموسمية ٥.٧%، ٢.٤% على التوالي كما يلاحظ في خريطة (٦) والتي تشتمل على تصنيف الغطاء الارضي لحوض الوادي.

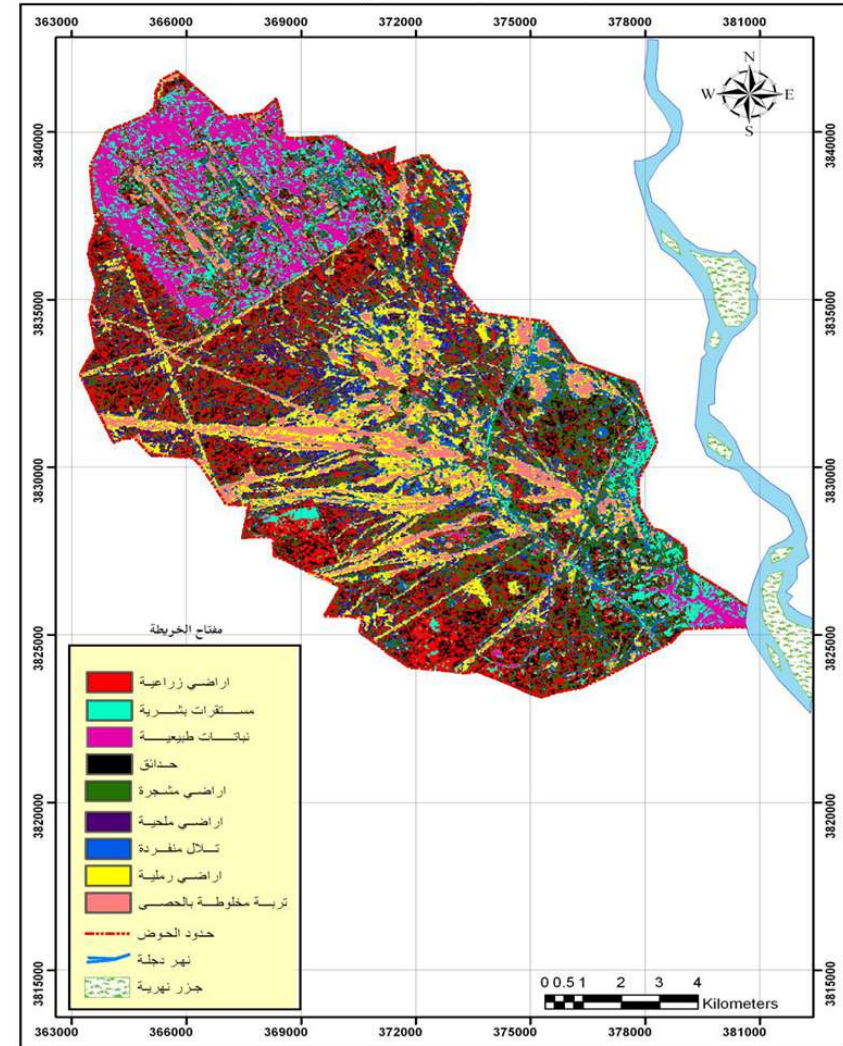
جدول (٢)

استخدامات الارضي لحوض وادي شبيشين لعام ٢٠٠١

نوع الاستعمال	المساحة/دونم	%
اراضي زراعية	١٥٩٠	٧.٤٥
اراضي قاحلة	١٣٦٨٦	٣٢.١
مراعي طبيعية	١٢١٨	٥.٧
مستنقعات موسمية	٥٢٠	٢.٤
مستقرات بشرية	١١١٦٤	٥٢.٣
المجموع	٢١٣٣٥	١٠٠

المصدر: عمل الباحث

خريطة (٦) تصنيف الغطاء الارضي لحوض وادي شبيشين



المصدر: المريئة الفضائية (ETM) لسنة 2001

ومن ملاحظة خريطة (٧) والتي تمثل اصناف الترب في منطقة الدراسة والتي تم اعدادها على خريطة (بيورنك)^(٧). حيث تمثل تربة حصوية جبسية في جهات واسعة من الحوض وترب قاع الوديان في الجزء السفلي للحوض في المناطق القريبة من النقاء حوض الوادي لمجرى نهر دجلة.

وايضاً يتضح من خريطة (٨) التي تمثل قابلة الارض الزراعية والتي تم اعدادها من خلال خريطة القابلية الانتاجية للزراعة في العراق^(٨). بأن الاجزاء الشمالية والشمالية الغربية والاجزاء الجنوبية تمثل تربة جيدة للرعي او الغابات وعواملها المحددة للزراعة بسيطة وانها تشغل ٥٤% من مساحة الوادي.

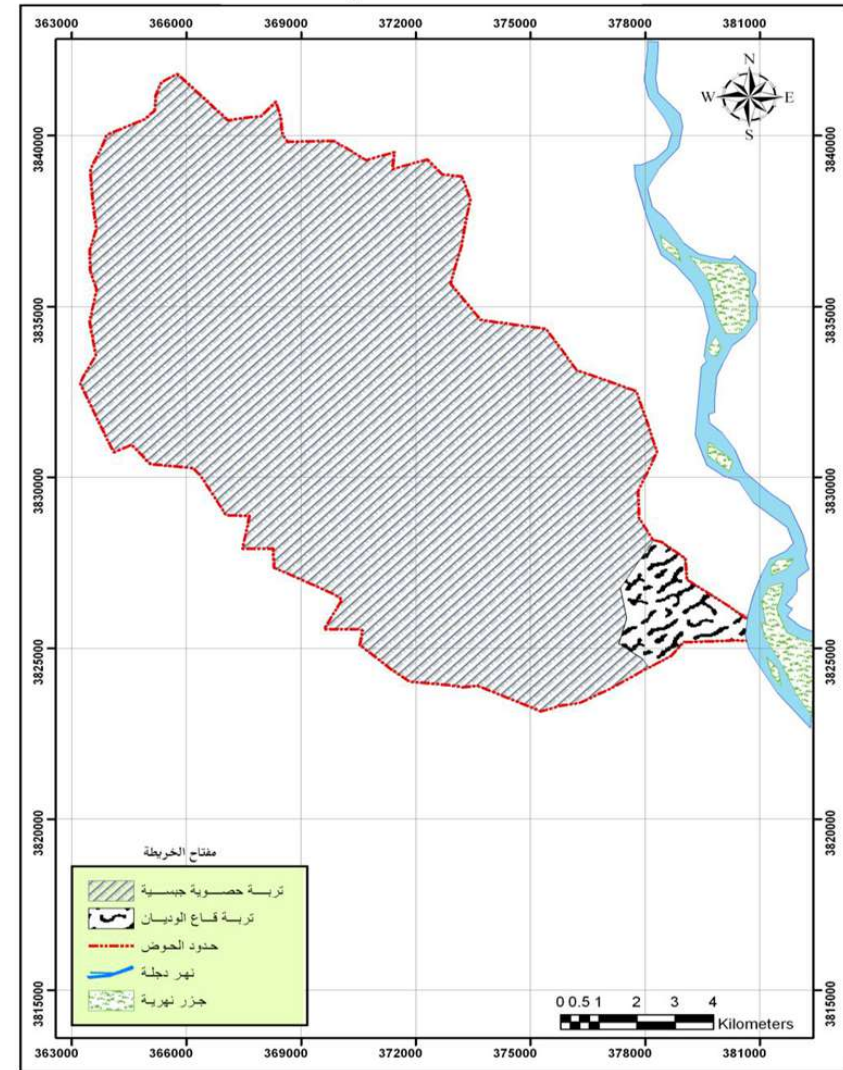
اما الاجزاء الوسطى والشرقية والجنوبية الشرقية من وادي الحوض تمثل منطقة متوسطة الجودة للزراعة وعواملها المحددة شديدة لكون تربها جبسية ورملية لا تساعد على قيام الزراعة فيها. هذا وتسهم هذه الاجزاء بمساحة تساوي ٤٦% من منطقة الدراسة.

ان الغاية من دراسة القابلية الانتاجية لأراضي منطقة الدراسة هو الوصول الى تحديد انسب الاستخدامات لمساحات التربة الصالحة للزراعة لأن في ذلك كشف لأمكانات التوسع الزراعي لمحاصيل معينة لها القدرة على النمو في ترب بمواصفات معينة.

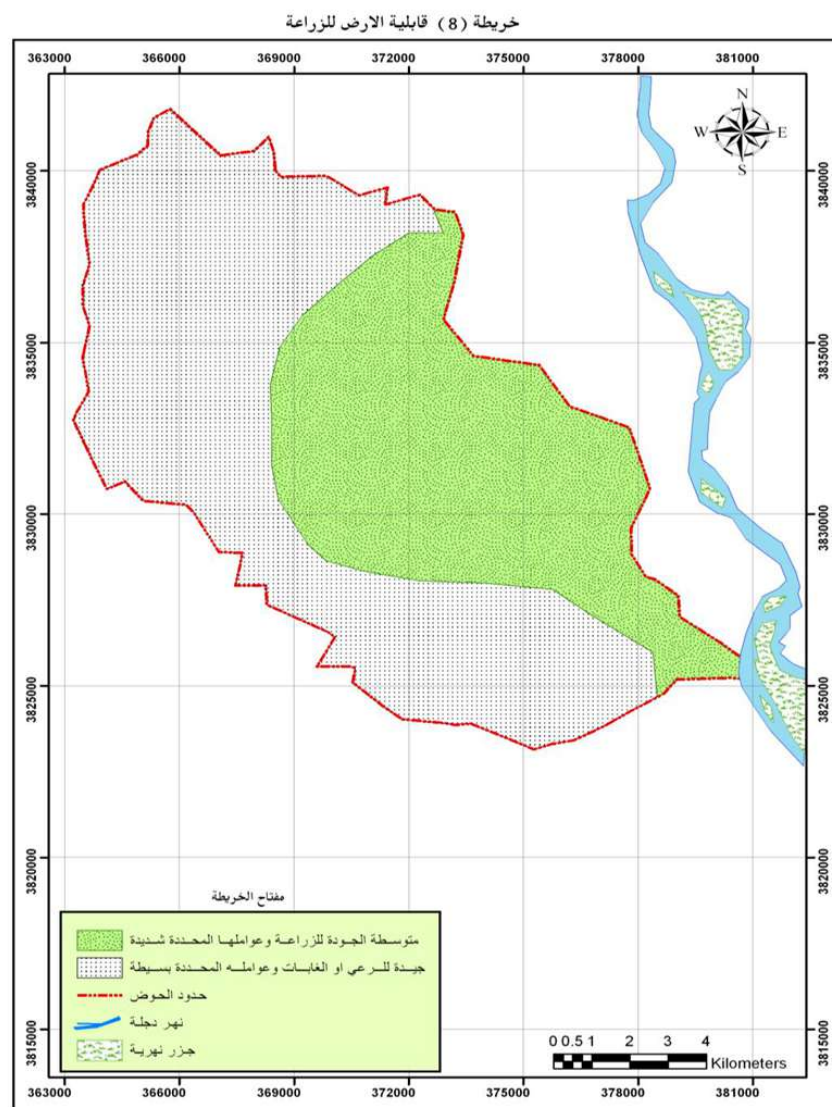
ومن المؤكد ان المحاصيل المختارة والملائمة لترب حوض الوادي محدودة الجودة كما اظهرتها المراثيات الفضائية وخارطة القابلة الانتاجية لترب العراق التي وضعتها ضمن الصنفين الرابع والسادس وذلك بسبب شدة العوامل المحددة كضخالة التربة اذ يكون العمق فيها اقل من ٥٠سم فضلاً عن قساوة الظروف المناخية فهي تتطلب كميات كافية من الامطار لانتقل عن (٣٠٠-٤٠٠ملم) اضافة الى ارتفاع نسبة الملوحة فيها ما بين (١٦-٢٥مليموز/سم) وكذلك بأنحدارها من (٥-٨%) والتعرية ما بين المتوسطة والشديدة^(٩).

وكل ذلك فان مثل هذا النوع من الاراضي يتطلب عناية كبيرة وتطبيق للاستراتيجيات العلمية الحديثة للزراعة من اجل ايقاف تدهور امكاناتها الانتاجية وذلك باتخاذ تدابير من شأنها ان تقلل من عواملها المحددة.

خريطة (٧) اصناف الترب في منطقة الدراسة



المصدر : خارطة بيورنك / وزارة الزراعة. قسم التربة 1960



المصدر: خارطة قابلية الأراضي للزراعة في العراق/فليح حسن الطائي 1990

وفي الاونة الاخيرة على ما يبدو ان هناك اهتمام يبذل من قبل غالبية مزارعي منطقة الدراسة متمثلة بادخال الطرق والاساليب العلمية الحديثة في الزراعة منها تحسين خواص التربة باستخدام الاسمدة الكيماوية والعضوية وتقنين في مياه الري من خلال ادخال منظومات الري بالرش المحوري اعتماداً على المياه الجوفية كعنصر مكمل للمطار لسقي المحصول، علاوة على استخدام البذور المحسنة ومكافحة للآفات والأمراض التي تصيب المحصول. فكل هذه الأمور اسهمت في زيادة انتاجية الدونم في الوحدة المساحية كما هو الحال في زراعة الحبوب (القمح) فقد وصلت ما بين ٦٥٠-٧٥٠ كغم.

وايضا اخذت الزراعة الصيفية تاخذ دورها رغم محدودية المساحة نظراً لطبيعة سطح ارض الوادي وقلة مورده المائي زرعت بمحاصل الخضراوات والذرة الصفراء لان مثل هذه المحاصيل لا تحتاج الى عمق شديد لامتداد الجذور اضافة الى ان مجاري اودية الشبكة تستخدم كتصريف للمياه الزائدة كي تمنع من انتشار الملوحة بها.

الهوامش:

- (١) احسان خليل ابراهيم عمر، القوى الاقليمية في قضاء داقوق دراسة مقارنة بين طرائق التصنيف البصري والتصنيف الرقمي، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠١، ص ١٠.
- (2) R.A. Van Zuidam and f.I. Van Zuidam , Terrain analysis and classification using Arial photographs geomorphologic approach (I.T.C) , NETHER LAND , 1979. P. 34.
- (٣) دلي خلف حميد الجبوري، حوض وادي الفضا من المنطقة المتموجة من العراق دراسة في الهيدرولوجيا التطبيقية رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠٠٥، ص ٥٥.
- (4) A.N, Strahler, Quantities analysis of water shod, geomorphology, strans Amer, Geophy unran, jol.138, 1959. pp.78.92.
- (*) استخرجت نسبة التشعب بقسمة عدد مجاري مرتبة ما على مجاري مرتبة لاحقة. انظر: اسباهيه يونس المحسن، جورج ياقين بحو، التحليل المورفومتري لحوض نهر الخازر باستخدام البيانات الفضائية، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، العدد (١٦)، ١٩٩٤، ص ٣٠٩.
- (٥) مد الله عبد الله محسن الجبوري، التشكل المائي لنهر دجلة ما بين مصب الزابين واستثماراته في العراق دراسة في الجغرافية الطبيعية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٩٨، ص ٧٧.
- (٦) وزارة النقل والمواصلات هيئة الانواء الجوية، بغداد، بيانات غير منشورة.
- (**) تم تصنيف الغطاء الارضي لوادي شيشين بالاعتماد على الحزمة (٢،٤،٧) للمريئة (M E T) بالمقارنة مع المرئيات المأخوذة من برنامج (Google earth) وتم فتح البرنامجين وبعدها اجري التصنيف.
- (٧) بيورنك، وزارة الزراعة، قسم التربة، ١٩٦٠.
- (٨) فليح حسن الطائي، خارطة القابلية الانتاجية للعراق بمقياس ١/١٠٠٠٠٠٠٠ لعام ١٩٩٠.
- (٩) عطا الله سليمان الحديثي، استثمار الموارد الطبيعية في تحقيق الأمن الغذائي في العراق، اطروحة دكتوراه (غير منشور) جامعة بغداد كلية الاداب، ١٩٩٥، ص ٣٧.

الخلاصة والاستنتاجات

- نظرا لاهمية المورد المائي في المناطق الجافة وانعكاسه على استعمالات الارض الزراعية فقد جاءت الدراسة بعدة امور:
- ١- إن معدلات الأمطار الساقطة على حوض وادي شيشين غير كافية لسد حاجة المحاصيل الزراعية.
 - ٢- كان لاستخدام التقنيات الحديثة متمثلة بالاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية دور مهم في تحديد المساحات المزروعة واستخدامات الغطاء الأرضي.
 - ٣- تبين من خلال الدراسة وخرائط القابلية الإنتاجية ان ترب حوض الوادي محدودة الزراعة لوجود محددات تقف عائق أمامها
 - ٤- كان نصيب المساحة المزروعة عام ٢٠٠١ من مجموع الغطاء الارضي للمنطقة الدراسة هو ٧.٥% وكان نسبة التغير ما بين سنة الاساس ١٩٧٣ والسنة المذكورة سلبية وذلك للتوسع الحضري لمدينة تكريت على حساب وادي شيشين.
- وتوصي الدراسة الى ما يأتي:**
- (١) انشاء سد ترابي في الاجزاء السفلى من الحوض وذلك للاستفادة من مياه الخزن لغرض الزراعة واستخدامات اخرى
 - (٢) العمل على استثمار المياه الجوفية لمنطقة الدراسة بشكل مدروس وباستخدام الطرق العلمية الحديثة كمنظمات الري بالرش المحوري لسقي المحصول الدراسي تجنباً للهدر والضياع للمياه.

المصادر:

- ١- عمر، إحسان خليل ابراهيم، القوى الاقليمية في قضاء داقوق دراسة مقارنة بين طرائق التصنيف البصري والتصنيف الرقمي، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠١.
- 2- Van Zuidam , A.A , Van Zuidam , F.I , terrain analysis and calasifiction using arial photo graph geomer phologic approach , (I.T.C) , nether land , 1979
- ٣- الجبوري، دلي خلف حميد، حوض وادي الفضا من المنطقة المتموجة في العراق دراسة في الهيدرولوجيا التطبيقية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تكريت، كلية التربية ٢٠٠٥.
- 4- Strahler , a.n , Quemtities analysis of water shod , geomor phology , strans amer , geophys unran , jol. 138. 1959.
- ٥- المحسن، اسباهية يونس و جورج ياقين بحو و التحليل المورفومتري لحوض نهر الخازر باستخدام البيانات الفضائية و مجلة التربية والعلم و جامعة الموصل و العدد (١٦، ١٩٩٤).
- ٦- الجبوري، مد الله عبد الله محسن، التشكيل المائي لنهر دجلة ما بين مصب الزابين واستثماراته في العراق دراسة في الجغرافية الطبيعية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٩٩٨.
- ٧- ببيرونك، وزارة الزراعة، قسم التربة، ١٩٦٠
- ٨- الطائي فليح حسن، خارطة القابلية الانتاجية للعراق بمقياس ١/١٠٠٠٠٠٠٠ لعام ١٩٩٠.
- ٩- الحديثي عطا الله سليمان، استثمار الموارد الطبيعية في تحقيق الامن الغذائي في العراق، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٥.

Abstract

The study of seasonal vales circulation is one of the important subject especially in dried district using through the resources of water which depend on rain full to serve the requirement of life in general and agricultural in particular.

It comes the importance of this study in sump of shesheen vale is to identify the cultivated areas and its change through visually space which depend on programmes ERD AS and ARCGIS in forming a classification system in particular to the aspects based on the similarities and differences uses of land.

When it is stood on proportion changes of the uses of agricultural land in the study of the district; therefore, it should give the idea on Geomorphology sump of shesheen vale, morephometa and the effect on the various soils and reflect them on the cultivated crops.

الإعلام ... فلسفة القوة الإعلام الأمريكي إنموذجاً

د. سلام خطاب أسعد

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الإعلام

مُتَكَلِّمٌ

تزايد خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين دور وسائل الإعلام الجماهيرية واسعة الانتشار عالمياً لاسيما برامج التلفزيون المنقولة عبر الأقمار الصناعية، رغم تباين النظم السياسية والأيدلوجية ودرجات النمو الاقتصادي والثقافي والاجتماعي لدول العالم المختلفة، ورغم عدم التكافؤ الواضح بين الفئة القليلة التي تثبت السيل الهائل من المعلومات على مدار الساعة يومياً وبين الغالبية العظمى من دول العالم التي تستقبل ما يرسل إليها بغض النظر عن وضعها الاقتصادي غنية كانت أم فقيرة لأنه من يضع ويحلل تقنيات وتكنولوجيا الاتصال ويتحكم بصياغة المادة الإعلامية هو المسيطر على عملية التبادل الإعلامي الدولي دون منازع أو منافس يذكر، ومن عداه فهو مستهلك التكنولوجيا وتقنيات الاتصال والمادة الإعلامية باهظة النفقات والتكاليف.

إن الدور الوسيط تلعبه وسائل المواصلات العصرية بنقل وتسهيل وسائل الإعلام، أو تنحصر أهميتها في كونها وسّعت دائرة الاتصال في نطاق الجماعة والمجتمع الصغير إلى دائرة العالم بأسره، ولا شك أنها بذلك ساعدت في نقل الخصائص الحضارية من مكان إلى آخر، ومن الناحية النفسية فإن العالم تحول كله

إلى مجال نفسي أشبه بالمجال الأول الذي نشأ فيه المجتمع الإنساني – أي القبيلة – ومن الناحية الجغرافية أصبحت أطراف الأرض المتباعدة متدانية إلى حدٍ يمكن أن نلاحظ فيه أن بعض البلدان المتباعدة ارتبطت حضارياً على نحوٍ قد لا يتهيأ لبلدان متجاورة، وهذا يعني إعادة رسم خارطة العالم على أساس اجتماعي ونفسي، وأصبح من المتعذر تتبع أثر الاتصال وضبطه في نطاق الدائرة المقصود إحداث هذا الأثر لكي تتوسع إلى دوائر أخرى.

إن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على إمكانية الإعلام ووسائله في إحداث التأثير المطلوب على مستوى الفرد والمجتمع، وعلى مستوى النظام السياسي وطنياً وعالمياً باعتباره قوة لا يُستهان بها تضاف إلى قوة الدولة التقليدية العسكرية والسياسية والاقتصادية.

مشكلة البحث:-

يشكل موضوع فهم الفلسفة الفكرية التي تقوم على ركائز الرسالة الإعلامية الاتصالية المقدمة عبر وسائل الإعلام المختلفة إشكالية كبيرة لاسيما فيما يتعلق بالوسائل الإعلامية التي تسود العالم حالياً والمنطلقة من قاعدة اقتصادية وتكنولوجية متطورة ومن نظام إعلامي عالمي يتَّسم بعدم التوازن والعدالة ويسود فيه ويسيطر عليه مركز إعلامي متفرد يتمثل بالإعلام الأمريكي.

فرضية البحث:-

إن فلسفة النظام السياسي متمثلة بالأفكار والعقائد والقيم التي يؤمن بها أو يزّوج لها ويعتقها تعطي أثراً واضحاً على أداء نشاط وسائل الإعلام المرتبطة به

المبحث الأول

الإعلام وفلسفة الوظائف

يشير عالم الاجتماع الإعلامي (هارولد لاسويل)^(١) إلى أن الإعلام في جميع صوره ووسائله يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية هي:-

أ- الإحاطة بالبيئة.

ب- تفاعل فئات المجتمع مع البيئة.

ت- انتقال التراث الاجتماعي من جيل إلى الجيل الذي يليه.

وهذا يعني أن الإعلام جانب إخباري يختص بجمع المعلومات ومن ثم تفسيرها، أي الجانب الدعائي، وأخيراً الهدف الثقافي الذي يتضمن انتقال المعرفة بين المجتمعات والأجيال المختلفة، وهناك من يرى أن للإعلام أهدافاً أخرى^(٢) مثل:-

أ- التسلية أو الترفيه بإشغال وقت فراغ الإنسان بما هو مفيد أو غير مفيد.

ب- تحقيق التناسق الاجتماعي.

ت- التعبئة في وقت الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

ج- تدعيم الضبط الاجتماعي وكذلك التنشئة الاجتماعية.

ح- مساعدة الفرد على دعم الهوية الشخصية، (القيم الفردية وتوحيدها مع قيم الجماعة والمجتمع).

ويشير مفهوم الإعلام (information) إلى عمليتين تكملان بعضهما، فهو من جهة يدل على عملية استقصاء واستخراج المعلومات والحصول عليها، ومن جهة أخرى الكيفية التي تصاغ بموجبها هذه المعلومات وتبث للجمهور المستهدف من وراء هذا (المستقبل) ولا يمكن أن تتم أي من العمليتين إلا عن طريق وسائل الإعلام التي هي مجموعة الأدوات والأجهزة تستقبل أو تبث هذه المعلومات. ومن المعروف تاريخياً أن المجتمعات الإنسانية في مراحل تطورها المختلف كانت دائماً وأبداً تستخدم

وهي بذلك تتمحور ضمن وظائف هذه الوسائل وقوتها والمضامين الفكرية واللغوية وطريقة صياغة رسالتها الاتصالية.

منهجية البحث:-

يعتمد البحث على المنهج الوصفي لتحليل ووصف هذه الظاهرة والمتعلقة بقوة وسائل الإعلام من حيث تأثيراتها الفكرية والسياسية؛ إذ أن لهذه الوسائل كمضامين وأدوات تكنولوجية تقنية قوة وسيطرة على ميول واتجاهات الجماهير.

هيكلية البحث:-

تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاث مباحث رئيسة تناول المبحث الأول فلسفة الوظائف الأساسية التي تقوم بها كل وسائل الإعلام في العالم تقريباً، مع اختلاف درجة أدائها لهذه الوظائف من بلد إلى آخر، أما المبحث الثاني فقد يتناول أطر التأثير لهذه الوسائل الإعلامية من الإمكانيات الفنية التقنية وكذلك البناء الفكري الفلسفي لها، أما المبحث الثالث فقد تناول دراسة الإعلام الأمريكي باعتباره أنموذجاً واضحاً و ملموساً لقوة وفعالية هذه الوسائل فضلاً عن الخاتمة والاستنتاجات.

جزءاً من تصوراته وقناعاته، كما وإن عدم وصول هذه المعلومات الكاملة إلى الجمهور لكي يعرف الحقيقة كاملة عليه أن يعرف الطريقة التي ينظروا بها للواقع.

وعلاوة على هذا فإن المعلومات التي يستقيها الجمهور من وسائل الإعلام لاسيما الأمور الجديدة على الإنسان لديها القدرة على التأثير في الشخص خالي الذهن من تلك الموضوعات، وعلى سبيل المثال التلفزيون لديه القدرة على التأثير على الشباب الذين هم في مرحلة التنشئة الاجتماعية وهم مستعدون لاستقبال أي معلومة جديدة لتعلمها والافتتاع بها، وبهذا يصبح هذا الجهاز المرئي أحد وسائل التنشئة الاجتماعية الهامة في المجتمع رواجاً فإن وسائل الإعلام التي تؤثر في معرفة الإنسان عن طريق المعلومات التي تؤثر على سلوكه وعواطفه وقيمه وآرائه، لأن المعرفة تشتمل في أحيان كثيرة على نماذج جديدة في السلوك والقيم والآراء والاتجاهات.

ويرى عالم الاجتماع (كويستوك)^(٥) أن هناك ثلاث عمليات نفسية ترافق الوسيلة الإعلامية بتأثيرها في الجمهور هي: تصور المشاهد الفوري لما يشاهده، وتفسيره لمضمون الرسالة الإعلامية وهي عملية ذاتية تتم داخل الفرد، ومن ثم الظروف المحيطة التي تسيطر وتتحكم في الفرد من حيث ماذا وكيف سيتعلم ؟.

إن هذه العمليات الثلاثة التي يتم عن طريقها التأثير السلوكي تتوقف وترتبط بعدة عوامل منها:-

- أ- مستوى الفرد التعليمي.
- ب- موقفه الفكري.
- ت- قدرته النقدية للمعلومة.

وسائل الاتصال ونقل المعلومات بين أفرادها وبين أفراد وجماعات تنتمي إلى مجتمعات أخرى، وكانت وسائل الاتصال التقليدية وما زالت في كثير من البلدان تلعب دوراً مهماً في دعم العلاقات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي، وتشير الدراسات الحديثة^(٣) في حقل الإعلام إلى أنه عملية اجتماعية ذات طابع ديناميكي نظراً لاحتوائه على مجموعة من العناصر، كالمرسل والمستقبل والوسيلة والأداة والتأثير أو رجع الصدى، وهي عناصر تقوم بدور مهم في المجال التربوي والمعرفي نظراً لتأثيرها على بنية المجتمع وعناصره الأساسية.

إن الإنسان المعاصر الذي أصبح محاطاً بوسائل تدفق المعلومات لا يستطيع بشكل أو بآخر أن يستغني عن هذه الوسائل التي ظهر تأثيرها البالغ على حياة أفراد المجتمع، بل وساهمت في تشكيل أنماط سلوكهم ومفاهيم رؤيتهم للحياة والكون. ومما تقدم نجد أن الإعلام هو جزء من عملية اتصال شاملة لذا كانت دراسة دوره وتأثيراته لا تتم بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. فالعمل الإعلامي لا يتم من فراغ أو بمعزل عن فهم وتحليل النشاطات الاجتماعية الأخرى، ويتحدث عالم الإعلام (ولبر شرام)^(٤) بالقول: (إن الحديث عن الإعلام بعيداً عن الآثار الاجتماعية والثقافية يشل أهداف العملية الإعلامية، ويقود إلى فشل وسائل الإعلام بفقدان الهدف فضلاً عن عوامل أخرى مثل انعدام الكفاءة وانعدام الموجه والحس الإعلامي و ضعف الإمكانيات البشرية والمادية) فإن اعتمادنا على المعلومات التي نتلقاها من وسائل الإعلام يتضمن جملة من التأثيرات على الفرد والمجتمع، إذ إن وسائل الإعلام لها القدرة الهائلة على توجيه أنظار الجمهور إلى ما تم نشره من معلومات، والجمهور عادة ينظر إلى هذه المعلومات على أنها هامة ومن ثم فإنها تؤثر في قناعاته، عندها فإن بمقدور هذه الوسائل أن تنشر صورة محرّفة أو منحازة حول الظروف المحيطة بنا، وإذا كان الجمهور غير قادر على نقد مضمونها ستصبح

غير المباشرة طويلة الأمد، وقد ارتبط هذا مع حركة التطور الاجتماعي التي أفرزت تغييرات ثقافية قيمة كان لها تأثيرها المباشر على العلاقات والنظم الاجتماعية، وقد ترتب على هذه التغيرات السريعة تغيرات في الموروث الاجتماعي والثقافي والقيم وكثير من أنماط السلوك الفردي والمجتمعي.

هذه النظرة تقدم بلا شك فكرة واضحة عما يمكن أن تفعله وسائل الإعلام الأخرى، وإذا كانت الرقابة التجارية والسياسية تحدان من حرية الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ويمنعان المواطن حقّه في الحصول على الحقيقة كاملة، فإن الخطر الأشد على حرية الصحافة والإعلام يكمن في حصر وسائل الإعلام في أيدي عدو يملك الأفراد والإمكانات ويسخرها للتأثير على مجريات الأمور وعلى تصرف وسلوك الملايين من البشر وعلى إعدادهم الفكري بما يتناقض مع مصالحهم الحقيقية، ويذكر الإعلاميون الغربيون أن تطوير التلفزيون في بلدان يتم على حساب زيادة حجم الإعلانات، الأفلام والبرامج المسلية والمبتذلة تروج للقوة والعنف والجريمة والإثراء السهل والسريع وهوس التجسس والجنس ... الخ وبدلاً من الإعلام والمعلومات تظهر (الدعاية الموجهة) المتحكمة في وعي المشاهدين، ومن دواعي إثارة القلق البالغ تلك الصلة المتبادلة بين ما يظهر في التلفزيون وزيادة نسبة الجريمة بين الشباب في الدول الرأسمالية، وليس في ذلك ما يدعوا إلى العجب إذا علمنا أن الناشئ الأمريكي البالغ ١٤ سنة من العمر يكون شاهدٌ نحو إحدى عشرة ألف عملية قتل، في هذا الإطار تفيد الإحصاءات أن الأسرة الأمريكية المتوسطة تخصص (٢ - ٦) ساعات يومياً للتلفزيون، وفي بريطانيا يقضي المواطن العادي وسطياً اثني عشرة (١٢) سنة من حياته البالغة سبعين عاماً أمام التلفزيون، وفي اليابان يشاهد حوالي ٩٥% من سكان الشاشة الزرقاء يومياً، وفي فرنسا يخصص ٨٧.٤% من الشعب الجانب الأكبر من وقت فراغهم لمشاهدة التلفزيون، والكلام نفسه يمكن أن نسحبه وإن بدرجة أقل تأثيراً على وسائل الإعلام الجماهيري الأخرى من صحافة وإذاعة وسينما^(٧).

المبحث الثاني

ث- قوة الإيضاح الأولي الفوري لتلقي المعلومة بالمقارنة مع مضمون المعلومات الشخصية السابقة.

وتتطلب نظرية التأثير المباشر لوسائل الإعلام من كون الظاهرة الإعلامية ظاهرة اجتماعية بكل معنى الكلمة، وعليه يجب امتلاك رؤية شاملة ومتكاملة للعناصر المكوّنة لها، فإن أي دراسة لعنصر فيها يجب أن لا يحجب تأثيره على بقية العناصر ممّا يتطلب منها إزالة الالتباس بين الوسيلة الاتصالية أو المؤسسات الإعلامية بقصد تجنب الخلط بينها حتى لا تغيب رؤيتنا إلى العملية الإعلامية باعتبار الوسيلة الاتصالية مجرد بناء ميكانيكي أو إلكتروني، والتوقف عند خصائصها التقنية لا يكشف إلا جانباً واحداً من جوانبها وهي قدرتها التوصيلية، ويطمس جوهرها المتمثل في نقل ونشر التصورات والأحكام والقناعات، أي العالم الذي تنتجه المؤسسة الإعلامية التي هي مؤسسة اجتماعية تتمخض فيها علامات الإنتاج وتتعكس في محتوى المادة الإعلامية وفي الرؤية إلى الجمهور. ويتطلب التعامل مع مضمون المادة الإعلامية معايير محدّدة منها^(١):-

أ- نمط إنتاج هذا المضمون وتأثيراته.

ب- الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ظهر منها المضمون المذكور.

ت- الجمهور الذي يتوجه له هذا المضمون.

ث- الإرث الثقافي للوسيلة والمجتمع.

ج- إمكانية الوسيلة الإعلامية وقدرتها على النقل والتغيير الناجح عن المضمون المذكور.

إن المتتبع لمجريات الأحداث اليوم يلاحظ قدراً هائلاً من المادة الإعلامية تتدفق كل ساعة، بل كل لحظة إلى أفراد المجتمع ومضمون المادة الإعلامية في معظم الأحيان ينشر جو من القلق والخوف والمخاطر التي تهدد أمن هذه المجتمعات عن طريق إفرازات هذا المضمون أو المادة على المجتمع وتأثيراتها المباشرة الآنية أو

الإعلام – فلسفة التأثير

لقد أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري من تلفزيون وكتب وصحف وشتى ضروب الكلمة المطبوعة أو المسموعة أو المرئية إلى أدوات يستعين بها الإنسان في الدعاية لفكرة ما أو لمقاومة أنظمة سياسية أو التصدي لأفكار ونظم الآخرين، على نحو جعل الصراع بالكلمات تسبق أو تصاحب أو تلاحق قعقة السلاح.

لقد كانت محاولة التأثير في الرأي العام قديمة جداً بدأت بالاتصال المباشر بين إنسان وإنسان آخر بعد أن أصبح لهذا الإنسان لغة وأفكار، وانتهت في عصرنا الراهن إلى صناعة الرأي الذي يقوم على المعلومات والحقائق أو الأكاذيب التي تبثها أجهزة الإعلام بشكل خاص يضمن صياغة هذا الرأي وبنائه وتكوينه، ونرى السياسة الخارجية المعاصرة تحتمي تحت مظلة الإعلام ممّا ضاعف في حجم تأثير الإعلام وطور في سياسته، حتى أصبح يترجم سياسة الدول وأفاقها في الطرح الحضاري الأبعد والأشمل، ولم تعد السياسة الخارجية تسير بالدبلوماسية التقليدية والعسكرية، وإنما وظفت الدعاية والإعلام كوسائل فعالة لنجاح السياسة الخارجية والقوة المسلحة، مهما كانت فلسفة هذه الدول أو تلك ونظرتها السياسية، ممّا أعطى للإعلام القدرة ليس فقط على عملية التلاعب بالعقول كما يقول الكاتب الأمريكي (هربرت شيلر)^(٨) بل وصل إلى مرحلة إخضاعها والسيطرة عليها، وإن توسع الإعلام ووسائله أن يمارس دوره كأداة في الطرح الحضاري عن طريق التغير في القنوات بأقل التكاليف وأوسع المديات زماناً ومكاناً، كما إن فاعليته تكون واضحة إذا ما اعتمدت الأساليب العلمية واستندت إلى الخبرة التي تدرك تحديد أهميتها بدقة.

وقد أدرك الغرب عن طريق توسيع الآفاق العلمية وتأسيس منهجية لها أن فلسفة الغرب باستخدام الإعلام لا يمكن أن تتفصل عن الوجود الغربي والحضارة الغربية، كما إن ذلك مرتبط بالتشابك الواضح بالمصالح التي نشأت بين الرأسمال

الغربي الذي ساهم في تطوير وسائل الإعلام والثورة الصناعية التي بدأت تبحث عن أسواق عالمية لمنتجاتها.

هذا الترابط يقول أن التطور الصناعي ساند عملية تطور الإعلام بالمقابل، فإن وسائل الإعلام أصبحت في خدمة الشركات الرأسمالية الكبرى وقد أدى هذا التشابك إلى قيام تحالفات مخططة، إذ أن علاقة طردية بهذا الاتجاه:-

نمو الرأسمال ← نمو واسع في الإعلام

تطور واسع في الإعلام ← نمو الأسواق الرأسمالية

وكون هذه المؤسسات الكبرى الصناعية هي التي تسيطر أو تقود اتجاهات المؤسسة السياسية الحاكمة في الغرب فإن ذلك أدى بدوره إلى عدم وجود تقاطع جوهري بين المؤسسة الإعلامية التي تسيطر على الشركات الرأسمالية وبين المؤسسة السياسية، وقد أدت العلاقة بينهما في كثير من الأحيان إلى تحالف في أي مواجهة خارجية، وبالتالي فإن مؤسسات الإعلام تحولت بموجب هذه النظرة إلى استثمار لاحتلال العقول من جهة ومن جهة أخرى لتحقيق أرباح اقتصادية وتشير إحصائيات منظمة اليونسكو لعام ٢٠٠٠^(٩) لأن حجم الاستثمار العالمي في حقل الإعلام بلغ ٢٠٠ مليار دولار سنوياً وهذا يشكل ٤٠% من حجم الإنتاج الصناعي العالمي وفي العام نفسه كانت ٥٠% من حجم صادرات الولايات المتحدة الأمريكية في مجال المعرفة والإعلام.

يعمل في كوكبنا حالياً ٣٠٠ مليار جهاز تلفزيون و ٥٠٠ مليار جهاز راديو، ويوجد أكثر من عشرة آلاف صحيفة يقارب عدد نسخها خمسة مليارات نسخة، وتبلغ حصة البلدان النامية ومنها الدول العربية التي يبلغ عدد سكانها ٧٠% من سكان الأرض ١٧% من عدد الصحف و ١٨% من عدد أجهزة الراديو و ٥% من عدد أجهزة التلفزيون، وهناك خمسة وكالات كبرى تسيطر على نسبة ٩٠% من تداول

٧٥% من إنتاج الأفلام السينمائية.

إن الفلسفة التي يقوم عليها الإعلام الغربي بشكل خاص تعتمد الفلسفة الذرائعية ويعد الأمريكي (جون ديوي ١٨٥٩ - ١٩٥٢)^(١١) من أبرز منظريها، ومن مبادئها الهامة:-

١- الانصراف الكلي المطلق للحصول على الأرباح والفوائد لدحر المنافسين وفتح ميادين جديدة لمشاريع الأعمال.

٢- فلسفة للعمل وحشية وقاسية في تعبيرها عن الفردية الرأسمالية.

٣- إنها نظام للتضليل الاجتماعي.

٤- تحاول توسيع سيطرتها على الشعوب الأخرى تحت ستار معارضة النظرة للقومية القديمة والسيادة الوطنية.

٥- تحت ستار الدفاع عن الحرية الفردية تحاول أن تتجاوز الحقوق الإنسانية.

٦- السعي للمصلحة الذاتية والتحلل من القيود والمثل العليا.

٧- تضع الأحكام الذاتية بدلاً من الأحكام المثالية.

٨- يكون تحقيق الغاية مبرر لنوع الوسيلة المستخدمة.

ويقول عالم الاجتماع الأمريكي (رالف بارتون)^(١٢):- (من الخطأ الافتراض

بأن فكرة النجاح الأمريكي قاصرة على النجاح المادي، وإن ما هو أمريكي بصورة متميزة على الأخص ليس استبعاد الفن والأدب والعلم والدين بالركض وراء الثروة، بل هو أن تدخل في الفن والأدب والعلم والدين شيئاً من تلك الروح والموقف الذي يمثل الركض وراء الثروة أبرز خصائصه).

لذلك فإن هناك شكل من الاغتراب تخلقه وسائل الإعلام كنتيجة متحققة

للفلسفة التي تعتمدها، ومن أشكالها^(١٣):-

أ- الاغتراب الروحي: بطغيان الاتجاهات والمفاهيم السحرية والخرافية وضعف الروابط العقيدية التي ينطلق منها الأفراد في تفاعلهم الإنساني.

الأنباء العالمية هي (يونيتد برس، واسيوشيتد برس الأمريكيتان، ورويتر البريطانية ووكالة فرنس برس للأنباء الفرنسية، وتاس الروسية، وهنالك ٢٥ وكالة إعلان عالمية كبرى، منها ٢٢ وكالة إعلان أمريكية ولتنظر إلى المؤشرات التالية:-

٩٥% من مجموع الاستثمارات في تقنيات علوم الإعلام والاتصال يتم في البلدان المتقدمة (دول الشمال) بينما حصة بلدان الجنوب (الدول النامية) هي ٥%.

٨٠% من خريطة بث البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية في البلدان النامية يعتمد على ما تستورده من أشرطة ومسلسلات غربية يتم بثها من دون رقابة أو مراجعة واعية.

٩٠% من إنتاج المعلومات في العالم تتحكم به ثلاث أطراف رئيسية هي الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا واليابان. هنالك ٣٠٠ شركة ووكالة أخبار ومعلومات دولية منها ١٤٤ شركة أمريكية ٨٠ شركة أوروبية ٤٩ شركة يابانية.

تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية نصف مجموع محطات تلفزيون في العالم (١٥٧٣) أكثر من ٩٠٠٠ محطة إذاعية و ١٥٠٠ مجلة و ١٧٠٠ صحيفة يومية وهي تسيطر أي الولايات المتحدة الأمريكية على حركة الإعلام العالمي عن طريق المؤشرات التالية^(١٤):-

٦٥% من تدفق الأنباء في العالم.

٦٤% من الإعلان التجاري.

٤٥% من التسجيلات الصوتية الموسيقية.

٩٠% من أشرطة ال CD.

٣٥% من الورق المستخدم في الطباعة.

٧٥% من إنتاج البرامج التلفزيونية.

٧٢% من صناعة أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية.

الدول النامية ومنها المجتمعات العربية قد أفرز العديد من الظواهر الاجتماعية كالتحضّر، وهي ظواهر جلبت معها الكثير من مستجدات السلوك الانحرافي وعلى رأسها الجريمة.

لقد تعرّضت البنية الاجتماعية لهزّات عميقة شملت المؤسسات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد ترتّب على ذلك حالة تميّع القيم ممّا فتح الباب على مصراعيه لأشكال الجريمة، وكذلك نجد أن زيادة معدّل تطوّر نسق الثقافة المادية عن أنماط الثقافة المعنوية أحدث إرباكاً وخلاً دخلا البناء الاجتماعي للمجتمع، وبسبب ذلك ارتفعت معدلات الجريمة في الوطن العربي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد إذ أن تطوّر وسائل الاتصال قُرب من المسافات بين الدول وعمل على سرعة ذبوع وانتشار نماذج وأشكال جديدة من الجرائم والانحرافات السلوكية.

وإنه لمن حسن الطالع أن معدّلات الجريمة في الوطن العربي ما زالت منخفضة بالقياس إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذا القول لا يمنع من ضرورة اتخاذ تدابير لحماية المجتمع ووقايته من آثار الجريمة ومن الآثار السلبية وضرورة استخدام وسائل الإعلام بالتركيز على مراميها ومضامينها الإيجابية انطلاقاً من أن نسبة الأميّة مرتفعة في أغلب أقطار الوطن العربي، كما أن نسبة كبيرة من المتعلمين هم أشبه بالأميين لاسيّما في ظل التطوّر الحديث والمتسارع لوسائل الإعلام والمعلومات، إذ إنهم لا يمتلكون الحس الناقد القادر على التمييز، ومن العملية النفسية الذاتية التي تتم داخل الفرد ذاته يكمن خطر التأثير الإعلامي المنحرف في تكوين شخصية سلبية معتادة إلى ما تتلقاه من معلومات وأفكار تقع تحت مسميات الحرية الثقافية والإعلامية، وتحمل مضامين وقيم غريبة وشخصيات خارج إطار المجتمع العربي في بعده المحلي والقومي، كما أنها تقود إلى سلوك منحرف يتناقض مع منظومة القيم الاجتماعية والعقائدية والفكرية والإنسانية للمجتمع.

المبحث الثالث

الإعلام الأمريكي أنموذجاً

ب- الاغتراب الفكري: إن دفع الناس لاعتناق توجهات فكرية وأيدلوجية غريبة فهم تفقدهم القواسم الفكرية المشتركة وما يتبع ذلك من تقلّص عناصر التفاهم وعدم الانسجام مع معطيات الواقع المطلوب لتغييره.

ج- الاغتراب القيمي الثقافي: إن الثقافة التي ينشأ عليها الإنسان هي التي تتحكّم به وتنظّم صلاته الذهنية والعاطفية بالناس، وتعد القيم جوهر ثقافة المجتمع لأنها تشكل أرضيتها العقائدية والأخلاقية والذوقية والجمالية، إن وسائل الإعلام المعاصرة خلقت أشكالاً قيمية جديدة تعمل على إضعاف بنية المجتمع وعلاقات الناس مع بعضهم.

د- الاغتراب التقني الاقتصادي: بتقييد حرية الإنسان لصالح الآلة وتقلل في إرادته وإنسانيته لأنه سيخضع للآلة التي كان يتحكّم بها ويطوّرها، وهذا يقود إلى إضعاف الروابط الإنسانية وتنامي النزعة الاستهلاكية المفرطة.

هـ- الاغتراب الاجتماعي: بتعزيز روح العزلة والاعتزال الاجتماعية عن طريق ضعف تلاحم الفرد مع الجماعة وتتحوّل العلاقات الإنسانية من طراز المعرفة الشخصية الوثيقة وما توفّره من دفء عاطفي إلى نموذج شكلي وسطحي للعلاقة الإنسانية ممّا يؤدي إلى اهتزاز الاستقرار الاجتماعي كذلك.

و- الاغتراب المظهري: الاستهلاك المظهري يؤلف جوهر الحياة في عالمنا المعاصر وما يثير الانتباه أن الإعلانات التجارية والسلع الكمالية تشكّل رقعة واسعة من نشاط وسائل الإعلام ما يجعلها أداة تحضيرية للإسراف والتبذير.

من الملاحظ أن المجتمع العربي يجد نفسه بفعل هذا الزخم في موقف لا يحسد عليه من حيث تأثره بعوامل التصدّع الاجتماعي ومواجهة تحديات التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والتي أخذت رايحها تهب بعنف على أرض الواقع، وقد لعبت عوامل عديدة دورها في زيادة موجات التغيير الاجتماعي لاسيّما بعد القفزة التكنولوجية الهائلة التي شملت وسائل الاتصال إذ ذاع انتشار الكثير من الأفكار والقيم وأنماط الثقافات، وفي المقابل نجد أن ارتفاع معدلات التنمية في

أما (لويس دوللو) فيؤكد على أن تركيز الولايات المتحدة الأمريكية لجهودها في تصدير المواد الثقافية والإعلامية من كتب ونشرات واسطوانات وغيرها إلى الخارج هو ((الوصول إلى الجماهير الواسعة أكثر من الوصول إلى أشخاص يمثلون النخبة))^(١٦). ويذهب الدكتور حامد ربيع إلى أن ((الدعاية الأمريكية وهي ترفض التسليم بإمكانية التحكم في المواطن عن طريق التحكم في الوسط الاجتماعي إنما يجعل التحكم يتم عن طريق التنقيف وهي تتجه إلى الطبقة المثقفة في المجتمع))^(١٧). إلا أنه من الواضح أن الخطاب الدعائي الأمريكي هو خطاب مركز يتجه بقواه كافة نحو موضوعات عامة وخاصة في نفس الوقت. إذ يجعل جميع فئات الرأي العام تتجه باهتماماتها نحو نقاط معينة حقيقية أو مصنعة فهو خطاب ذو عنصر خاص يتجه إلى فئات معينة من المجتمع وعنصر عام يتجه إلى جميع الفئات، أي أن الإعلام الأمريكي في خطابه الموجه إلى الخارج إنما يتجه بموضوعاته إلى ثلاث فئات رئيسة باللغة والرموز التي يفهمها والتي تكون مؤثرة فيه وهي:-

١- صناع القرار (السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي).

٢- الفئات المثقفة في المجتمع (النخبة).

٣- قطاعات الرأي العام الأخرى (الجماهير بشكل عام).

إن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية، بنوعها كبير والصغير، عبارة عن مشروعات تجارية ترمي إلى التسويق التجاري والثقافي، فهي الذراع الثقافية للصناعة الأمريكية، وهذه الحقيقة الأولية عن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي أن لا تبعد الأنظار عن معنى جوهرى آخر لهذه الوسائل وعلاقتها بالنظام الاجتماعي والسياسي الأمريكي، وهي أن هذه الوسائل تعتبر بمثابة الأجهزة الأيديولوجية للنظام الحاكم وهي تعبّر عن نسق السيطرة السائدة في المجتمع الرأسمالي، وفي الوقت نفسه وسيلة لتعزيز هذا النسق.

وعلى هذا فإن منهج ومضمون وهدف وسائل الإعلام الأمريكية هو باتجاه نشر الأيديولوجية الغربية الرأسمالية بين دول العالم وتعزيزها وتكريسها داخلياً وخارجياً وهي تستخدم وسائل الإعلام من قبل ((المؤسسة الأمريكية الحاكمة تحت شعار حرية الفكر وإشاعة التعبير الديمقراطي وغيرها من الأساليب الواضحة أو المستترة لبث أفكارها وقناعاتها ومفاهيمها الأيديولوجية، وإن هذا التخريب الفكري الذي تضطلع به المؤسسة الأمريكية يحمل قدراً كبيراً من التمويه المغلف بذرائع مختلفة تلائم السياق الذي تفرضه حالة دون أخرى))^(١٨).

أولاً: أهداف الخطاب الأمريكي:

يستهدف الإعلام الأمريكي في توجّهه الخارجي الوصول إلى أشخاص يمثلون النخبة في المجتمع وهو ما يراه الكاتب الأمريكي (جون بويتمان) الذي يرى أن المضامين الإعلامية الأمريكية ذات الطابع الدعائي التي ((يتم تسريبها إلى الخصم لخداعه إنما قوامها المعلومات الصحيحة والكاذبة والهدف هو صانعوا القرارات وليس الجمهور عموماً، وهي موجهة نحو تضليل (الهدف) بخصوص قضايا أساسية))^(١٩).

ثانياً: المضامين الرمزية للخطاب الإعلامي الأمريكي

يجري على نطاق واسع توظيف الفلسفة الأمريكية (الذرائعية) في هذا الخطاب عن طريق التبشير بالأخلاقية الذرائعية الساعية وراء (النجاح) وهي ((فلسفة أمريكية الهوى تقوم على وصف الحال والخضوع لأحكام الأمر الواقع من غير أن تمنح الإنسان فرصة التشبث بالمبادئ الأخلاقية والدينية والمثل العليا، وهي نسيج من المفاهيم الخيالية للماعة التي تداعب الغرائز وتوحي بأنها صفة سحرية تحل مشكلات الإنسان))^(١٨) كما أنها تمثل نظام التضليل الاجتماعي وفلسفة للعمل (وحشية، مستهترة وقاسية) في تعبيرها عن الفردية الرأسمالية، تحاول الطبقة الرأسمالية الأمريكية عن طريقها توسيع سيطرتها على الشعوب الأخرى تحت ستار معارضة المفاهيم القديمة للقومية والسيادة الوطنية كما تحاول أن تدوس على الحقوق الإنسانية باسم الدفاع عن الحرية الفردية^(١٩) وهي فلسفة تسعى إلى تحقيق ((المصلحة الذاتية والتحلل من قيود المثل العليا، وتضع الأحكام الذاتية بدلاً عن الأحكام المثالية إذ يكون تحقيق الغاية مبرراً لنوع الوسيلة المستخدمة وهي تظهر في مجتمعنا العربي المعرّض لضغوط الغرب ونفوذه))^(٢٠).

لقد انعكس التفكير الأمريكي (الذرائعي) على الصعيد الإعلامي والسياسي عن طريق الترويج (للحلم) الأمريكي بغزو العالم بطريقة تعبر عن فلسفة النجاح والسيطرة والاستحواذ والهيمنة بالاعتماد على برامج نفسية وتربوية وعقائدية تتبع للسلطة الأمريكية غرضها تعبئة المواطن الأمريكي داخلياً لكل معركة تخوضها خارج الحدود تحت ستار حماية مصالح الأمة الأمريكية أو للبحث عن مجالات جديدة للاستثمار وبسط النفوذ وهو ما تحدث عنه بشكل تفصيلي الكاتب (ف. شنسكوف) في كتابه (مصائر الحلم الأمريكي في أدب الولايات المتحدة) معبراً عن طبيعة المشروع الأمريكي للسيطرة وتعميم نموذج وطريقة الحياة الأمريكية على الشعوب

الأخرى، إذ يجري توظيف الفلسفة الذرائعية على صعيد الإعلام والثقافة في إطار ((الغزو الفكري المنظم للتبشير بخط الحياة الأمريكية وفلسفة النجاح والمشروع الأمريكي العالمي (الكوني) لبسط السيطرة والنفوذ بما يحقق أهداف الرأسمالية الأمريكية))^(٢١).

وتستخدم وسائل الإعلام الأمريكية اللغة استخداماً مضللاً فهي تبدأ ((بالحديث أو الإعلان عن سلعة معينة وتنتهي بالحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان مما يعتبر تلاعباً بالجمهور، لذلك فهي تلجأ إلى استخدام رموز خاصة ذات قدرات على استثارة المتلقي))^(٢٢)، وذلك عن طريق:-

١- تحفيز المتلقي من خلال أعطائه معلومات محددة في وضع معين تقود إلى انتهاج سلوك يختلف عن السلوك الذي كان ينتهجه قبل تلقيه للمعلومات ويتم ذلك عن طريق استخدام تحديدي _ وصفي للكلمة.

٢- وبالاتفاق من المعلومات المكتسبة يقوم المتلقي بعلمية انتقاء للموضوعات التي يتوجّه اهتمامه لها عن طريق استخدام تقويمي للكلمة تدفع المتلقي إلى ترجيح أو رفض موضوعات وأوضاع معينة.

٣- فرض معيار محدد للسلوك عن طريق التحريض على إنتاج سلوك معين حيال موضوعات أو أوضاع معينة. إن هذه الرموز اللغوية التي يجري استخدامها على نطاق واسع هي على ثلاثة أنواع رئيسية:-

- أ: رموز تحديديه _ وصفية: تعتمد على وصف لوضع معين (اجتماعي، سياسي، اقتصادي) مثل كلمة مجتمع ديمقراطي، مجتمع ديكتاتوري .. الخ.
- ب: رموز تقويمية: أعطاء تقويم ايجابي أو سلبي لهذا الوضع أو ذاك.
- ج: رموز تحريضية: تحفّز على دعم هذا الوضع أو مكافحته.

ثالثاً: شروط توظيف اللغة في وسائل الإعلام الأمريكية

إن توظيف اللغة كأسلوب من أساليب الدعاية والتضليل الإعلامي في وسائل الإعلام الأمريكية تجري عن طريق تداول الصور والمعلومات ومعالجتها وإحكام السيطرة عليها وإخضاعها للتأثير المتعمد بغية تحقيق استجابات لدى المتلقي تتناسب مع الهدف المحدد، ويقدم لنا عالم النفس الروسي موسكو فيس ثلاثة قواعد يتم بموجبها هذا التحويل هي^(٢٣):-

١- قاعدة الانتقاء:- للكلمة معاني عديدة تلتصق بها ولا بد لنا وفق هذا القاعدة من انتقاء معنى واحد ليكون هو الأساس في الربط فالمعنى العام للمصطلح ما يصبح خاصاً والخاص يأخذ شكل العام، فكلمة (قومية عربية) تأخذ في الدعاية الصهيونية والأمريكية مثلاً معنى خاص هو ((الشوفينية)) أو ((العنوانية)) فكل تواجد لهذه الكلمة (قومية عربية) في الإعلام الغربي والصهيوني يأخذ هذا المعنى.

٢- قاعدة القسر:- إن الكلمة الحاملة معنى تنقلص وتحيل إلى الانصهار بهذا المعنى فقط عن طريق تنظيم دقيق لإطار الحديث، فكلمة (الإسلام) مثلاً تتزامن دائماً مع إطار يميل إلى تقوية المعنى الذي يعطيه الإعلام الأمريكي والغربي لهذه الكلمة إذ ينقلص المعنى إلى الإرهاب، والتخلف، والتعصب. كذلك الحال مع لفظة (إسلامي) التي توحى بالتطرف مقارنة مع لفظة (مسلم) التي تشير إلى الانتماء للدين.

٣- قاعدة الأولوية:- ونعني بذلك إن قيم مجموعة ما تنعكس عن طريق اتساق المعاني تحتل الأولوية. فمثلاً كلمات (يهودي، أرض الميعاد، تحقيق السلام، حقوق الإنسان) لها قيمة إذ أن النسق أو الأولوية أعلى من تلك التي تشتمل عليها كلمات مثل: (الحقوق الفلسطينية، قومية عربية .. الخ) .

وانطلاقاً من إن استخدام اللغة في وسائل الإعلام الأمريكية ما هي إلا عملية تضليل دعائي لها هدف واحد كما هو الحال بالنسبة إلى لغة السياسة، فهو بلا شك التحريض في كل واحد منها، ووظيفتها هي تنظيم المحرّضات بهدف الوصول إلى الموافقة على تنظيم معين للمجتمع وخلق الاعتراض الذي هو وصف لروابط جوهرية داخل المجتمع الرأسمالي يعني ابتعاد الفرد عن جوهره الإنساني، وخلق الإحساس الوهمي بالاستنتاجات الخاصة المبرمجة مسبقاً وليس الوصول إلى القرار الحر فهي تؤم المتلقي عن قصد ولا تجعله يعرف الارتباطات الموجودة للمعلومات فهو يتقبل المعلومات مستسلماً^(٢٤)، فإن الكاتب الأمريكي (ج. مون كراد) يقدم لنا عدّة مبادئ لعمل وسائل الإعلام الأمريكية يجري فيها توظيف اللغة والرموز اللغوية التي تحدثنا عنها آنفاً وهذه المبادئ هي:-

١- مبدأ تعريف العناصر العاملة: ويتم ذلك عن طريق إعطاء صفات سلبية لجماعة أو شعب معين أو لعمل محدث معين: عصابة من إرهابيين/ الخارجين عن القانون/ هجوم وحشي/ مأساة مؤلمة .. الخ. ويجري إلصاق مثل هذه الصفات عادة بمن يقف موقفاً رافضاً أو معادياً للمصالح والأهداف الأمريكية وعلى هذا الصعيد يجري دائماً الترويج عبر وسائل الإعلام الأمريكية لإستراتيجية التهويل وذلك لإقناع الشعب الأمريكي بوجود خطر يهدده من الخارج ولمقاومة هذا الخطر يجب زيادة نفقات التسليح^(٢٥).

٢- مبدأ تحديد العلاقات: استخدام منطق وعظمي - أخلاقي يتم عن طريقه تصوير الولايات المتحدة بأنها قوة كبرى تعتق مبدءاً/ مثالياً/ وهي إذ تحارب فإنما تحارب من أجل نشر الحق والعدالة في العالم وذلك عن طريق إعطاء التبريرات الأخلاقية والمعنوية لعملية توسيع النفوذ الاقتصادي والسياسي ولكن الركائز الأخلاقية لهذه المحاولة ستنتقوض فيما لو اكتشفت أنها ليست موجهة نحو

الحرب العالمية الثانية بإستراتيجية الصدق ! تحاول عن طريق استخدام شعارات بسيطة تشمل عبارات ذات محتوى عاطفي، كالسلام وتقرير المصير ... الخ إلى إحداث تأثير في نفوس المتلقين وإن هذا التأثير يزداد بإزالة المصادر الأخرى للمعلومات أو التشويش عليها.

٤- مبدأ التحويل: أي تحويل مضامين العلاقات الاجتماعية من صعيد حقيقي ومحسوس إلى صعيد وهمي وأسطوري. فوسائل الإعلام الأمريكية تقدّم نموذجاً مصطنعاً زائفاً يتمشى مع محتوياتها الفكرية بدلاً من أن تقدّم نموذجاً حياً من واقع الحياة ((فحين نقنّدي بنموذج مبني على الحقائق المنطقية والمبادئ العامة سوف نصل إلى نتائج محدّدة بما يساعدنا على حل بعض المشاكل وعكس ذلك سيحصل إذا كان النموذج مصطنعاً وزائفاً))^(٢٨) لذلك فإن هذه الوسائل تقدّم للعالم على سبيل المثال إنموذجاً للاستهلاك والتماثل الثقافي شبيهاً بـ American Way Of Life نمط العيش الأمريكي في سبيل خلق التأثير الأمريكي على الثقافة الجماهيرية وأخلاقيات الشباب وطرز الحياة وتطبيق كلمة (الأمركة) أي جعل الأشياء أمريكية أي الأشكال الخارجية للسلوك الأمريكي النموذجي المعاصر إلا أن نشر هذا النموذج الأمريكي والذي يؤدي إلى إمكانية رفاهية اقتصادية أعظم يمزق في الوقت نفسه المؤسسات الاجتماعية القائمة وينسف الأخلاقيات السائدة^(٢٩)، ويرى الكاتب الأمريكي (ب-غلينسون) أن الحلم الأمريكي (نشر الأمركة) قد تحوّل في القرن العشرين إلى وهم وأصبح وسيلة للدعاية الأيديولوجية إذ أن هذا الحلم قد تكيف أكثر لأهداف التنمية الأيديولوجي وارتبط بشكل مباشر بالفلسفة الأخلاقية الأمريكية التقليدية الساعية نحو النجاح والتفوق^(٣٠). إن الخطاب الإنساني الذي تتوجه به هذه الوسائل نحو العالم هو خطاب مليء بالإغراء الاستعماري^(٣١). وهو يعمل حسب قول الكاتب الفرنسي

شعارات مثل، الحرية والتقدّم، حماية حقوق الإنسان، بل باتجاه أهداف أخرى مثل الحصول على المواد الأولية.

إن مروجي الدعاية الأمريكية ينفخون في أسطورة (طهارة) الولايات المتحدة من الاستعمار وقد استخدم الأمريكيان في التكتيك الدعائي بصورة واسعة مخفين وراء أهدافهم الحقيقية، فتحت شعار (الحفاظ على استقلال الدول وحمايتها) يجري إتباع أساليب التمويه الدعائي لتحقيق أهداف الولايات المتحدة الأمريكية^(٣٢).

٣- مبدأ الاستجواب: أي استجواب العناصر الاجتماعية باسم مطلق للإنسان والعالم وتهديد بالقوة لمن لا يستجيب لها مقابل مكافأة الذين يؤمنون بها ومن هذه المنطقات المطلقة: الديمقراطية، العدالة، السلام، حقوق الإنسان ... الخ، وتشكّل تلك مجموعة الشعارات الرئيسية التي ترفعها وسائل الإعلام الأمريكية والإدارة الأمريكية منذ فترة طويلة والتي يجري تحت ستارها تقييم موقف الأنظمة السياسية والشعوب في العالم ولكن الحقيقة هي غير ذلك إذ أن موقف هذه الأنظمة والشعوب من الولايات المتحدة ومصالحها وأهدافها وسياساتها هو الذي يقرّر مبدأ المكافأة أو العقاب. إن وسائل الإعلام الأمريكية وهي تعتمد هذا المبدأ إنما تتحرّك في الواقع في عالم من الوقائع، ولكن علي صعيد مضلل ومخادع لأنها لا تملك الطموح نحو استعمال رموز أساسها مضمون علمي حقيقي بل باستخدام رموز تهديديه فيما تحاول فرضه على المجتمع بواسطة إعلام قوامه الأخبار الموجهة والمنقاة من الكمية الهائلة من الأخبار السياسية والاقتصادية والعسكرية المستجدة يومياً والمرتبّة بطريقة تجعلها تتناسب من جهة مع نوع معيّن من الرمز السياسي وصالحة من جهة أخرى لدفع المتلقين إلى أن يجروا بأنفسهم التركيب الذي توصي به هذه الوسائل ويتقبلوا مضامينها وكأنها معرفة اكتسبوها بجهدهم الخاص^(٣٣). فالولايات المتحدة الأمريكية التي تسمي نشاطاتها الإخبارية منذ

بمقياس القياس الأمريكي الوحيد (البراجماتية) أي قيمة النتيجة الناجحة بغض النظر عن غير ذلك من القيم^(٣٧)، ويرى الكاتب (هريتر ماركوز) بأن الأيديولوجية الخلفية للسيكولوجيا الأمريكية وتطبيقاتها في مجال التربية ووسائل التوجيه الفكري والإعلامي قد ساهمت في تثبيت التكيف مع متطلبات الوجود العمقي ومحاربة الخروج عليه ووصف الخارج عنه بالمخرب الطوبائي ومحاصرة الرافض لهذا الواقع عن طريقين: وسائل التوجيه العقلي والإعلامي وممارسة القمع ضد المجتمعات الأخرى^(٣٨).

إن هذا النشاط هو جزء من إستراتيجية سياسية وإعلامية متكاملة ترمي إلى تدمير المجتمعات الأخرى واحتوائها وإعطائها جرعات تدريجية من فكر مضاد يسمح في المرتبة الأولى بحماية المصالح الأمريكية، وهذا يتطلب في بعض الأحيان ممارسة الضغط على الكيانات التي تكون اهتماماتها الوطنية لا تتسجم مع القيم الأمريكية التقليدية^(٣٩)، ولا شك أن جزءاً كبيراً من مهمة ممارسة الضغط تقع على عاتق وسائل الإعلام الأمريكية. وبشكل عام فإن وسائل الإعلام الأمريكية، عن طريق خطابها الإعلامي وكذلك في السياسة الخارجية الأمريكية، ستار كثيف من الدخان وهنالك الأقنعة التي تغلف بها أمريكا نواياها وأهدافها الحقيقية أو ثوابتها التي هي بسط السيطرة على العالم وتوسيع دائرة النفوذ الأمريكي انسجاماً مع هذه المصالح، أما المتغيرات فهي الأسلوب أو الطريقة لتحقيق هذه الأهداف.

(جان بيرك)، على أن يفرض على العالم طريقة وعي وصياغة مجتمعات وفق فكرة التماثل مع الآخر أي جعل الآخرين متشابهين^(٣٢).
٥- مبدأ العمل: تحفيز العناصر العاملة على العمل أي عرض أهداف عملية ووسائل إستراتيجية وتكتيكية ينبغي الوصول إليها فإن نشر الأمركة مثلاً يتطلب التحريض على الاستهجان لدى الشعوب الأخرى إذ يتركز العمل بشكل مباشر على إبداء التحريض التجديدي^(٣٣). عن طريق استخدام الموز اللغوية فإنه يمكن دفع مجموعة من الناس للسير في الشوارع وإلى تحريض مجموعة أخرى على قذف المجموعة الأولى بالحجارة^(٣٤).

وعموماً فإن الهدف الاستراتيجي الذي تسعى له وسائل الإعلام عن طريق اعتماد هذه المبادئ والرموز هو دفع المخاطب أو المتلقي إلى تبني نمط من السلوك والتفكير يتطابق مع مصالح وأهداف المحرض الذي تمثله هنا وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها.

٦- مبدأ الارتباط والارتكاز: وذلك بالاستناد إلى أيديولوجية الساسة السائدة أو الدين المسيطر في وسط اجتماعي - تاريخي معين، وتعتمد قوة التأثير على إضفاء الشرعية والتعبئة على تماسك هذا الربط والارتكاز. فهي تحاول مثلاً فرض القبول بالنظام الاجتماعي السائد وتدافع عنه على أنه نظام طبيعي وبالتالي تحديد الذين يهاجمونه بأنهم ضد الطبيعة^(٣٥)، ويرى الكاتب (جير لكيرك) بأن الخطاب الإعلامي الأمريكي له ظاهر وباطن الظاهر هو إقامة نمط من التفكير مرتبط به ومنضوي في بنائه الفكري والمنهجي، والباطن تشكيل مضمون أيديولوجي يخدم في المصلحة النهائية الغايات التي تسعى لتحقيقها^(٣٦). فوسائل الإعلام الأمريكية تأخذ من أرض الواقع إلى مختبر الفكر ومن مختبر الفكر إلى أرض الواقع

الخاتمة

تغطي قوّة الإعلام عبر مضامين رسالتها الاتصالية أو قدراتها التكنولوجية التقنية وجه العالم المعاصر وهي بذلك قد أضفت آثاراً واضحة في جميع ميادين ونواحي الحياة المعاصرة وهذه القوّة تتناسب مع الإمكانيات السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى العسكرية لدول العالم فهي تتسم بالفعالية والانتشار والتأثير في هذا الموقع الإعلامي فيما قد يشوبها الضعف في مناطق أخرى تبعاً لقوّة وإمكانيات الدول التي تمتلك هذه الوسائل وتسييرها لحساب تحقيق مصالحها وأهدافها المشروعة أو غير المشروعة وهذه القوة الفاعلة للإعلام تنطلق من ركائز فكرية عقائدية محدّدة تشكل فلسفة الرسالة الإعلامية - الاتصالية وتؤطر أهدافها ومراميها وغاياتها وتتحكّم في أداء العاملين على إصدارها وتشكّل الضوابط التي قد ترسم ملامح حارس البوابة الإعلامية الذي يسيطر على جريان وتدقّق ومسار المادة الإعلامية من مصدرها الأساسي حتى وصولها إلى المتلقي.

و الإعلام أصبح قوّة وركيزة من ركائز السياسة الخارجية للدول أو البناء الداخلي لها ولا يقل أهمية عن الركائز والأسس الأخرى الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وكذلك العسكرية.

الاستنتاجات

- ١- زيادة فعالية وتأثير وسائل الإعلام الجماهيرية خلال النصف الأخير من القرن العشرين لاسيما برامج التلفزيون المنقولة عبر الأقمار الصناعية.
- ٢- هنالك علاقة شديدة الصلة بين السياسات الخارجية للدول وتشكيل الرأي العام الوطني والعالمي عن طريق استثمار وسائل الإعلام في ذلك.
- ٣- إن النشاط الإعلامي لا يتم من فراغ ولكنه يرتبط بالمؤثرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية السائدة داخلياً وعالمياً.
- ٤- أصبحت أدوات الإعلام وسائل يستعين بها الإنسان في الدعاية لفكرة ما أو لمقاومة أنظمة سياسية أو التصدي لأفكار ونظم الآخرين على نحو جعل الصراع بالكلمات تسبق أو تصاحب أو تلاصق قعقة السلاح.
- ٥- هنالك علاقة طردية متينة بين نمو الرأسمالي العالمي ونمو وسائل الإعلام وتطورها.
- ٦- إن الفلسفة الذرائعية التي يعتمد عليها الإعلام الغربي في مبادئه العامة يخلق أنواع متعدّدة من الاغتراب لدى الفرد والمجتمع.
- ٧- يعتبر الإعلام الأمريكي نموذجاً ملائماً لدراسة قوّة وتأثير الإعلام المعاصر على حياتنا المعاصرة عن طريق تميّزه في عدّة محاور أساسية لعلها لغة الخطاب الإعلامي الذي يعتمد إمكانياته التقنيّة المتطورة.

الهوامش

- (١) جيهان أحمد رشتي/ الأسس العلمية لنظريات الاتصال/ دار الفكر/ القاهرة/ ١٩٧٥ ص ٣٠.
- (٢) د. محمد عبد الحميد/ نظريات الإعلام واتجاهات التأثير/ ط٢/ عالم الكتب/ القاهرة/ ٢٠٠٤ ص ٥٦.
- (٣) مجيد هاشم/ الإعلام المعاصر وتقنياته الحديثة/ دار الجليل/ عمان/ ٢٠٠٣ وكذلك د. أسماء حسين حافظ/ تكنولوجيا الاتصال الإعلامي والتفاعلي في عصر الفضاء الإلكتروني/ عالم الكتب/ القاهرة/ ٢٠٠٥.
- (٤) د. جيهان أحمد رشتي/ م.س.ذ/ ص ٥٣.
- (٥) د. صالح أبو إصبع/ سكولوجيا الإعلام/ مجلة شؤون عربية/ بيروت/ ع ١٧/ ١٩٨٢ ص ١٧٣.
- (٦) العياضي نصر الدين/ مدخل منهجي إلى سوسولوجية الإعلام/ مجلة دراسات عربية/ س ٢٣/ ع ٥/ آذار ١٩٨٧/ ص ١٠٠.
- (٧) اسكندر الديك/ الإعلام السلطة الرابعة/ مجلة الفكر العربي المعاصر/ معهد الإنماء القومي/ بيروت/ ع ١/ أيلول ١٩٨٦/ ص ٣٨.
- (٨) هريت شيللر/ المتلاعبون بالعقول/ عالم المعرفة/ الكويت/ رقم ١٠٦/ ص ١٨٧.
- (٩) اليونسكو/ الكتاب السنوي/ باريس/ ٢٠٠٠ ص ٥٨.
- (١٠) المهدي المنجره/ الحرب الحضارية الأولى/ دار عيون/ الرباط/ ١٩٩٢/ ص ٣٧٥.
- (١١) حسام محي الدين الآلوسي/ الفلسفة الذرائعية/ عرض ونقد/ من كتاب الثقافة العربية والتحدي/ مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت/ ١٩٩٥/ ص ٦٣.
- (١٢) المصدر نفسه/ ص ٦٥.

- (١٣) د. قيس النوري/ الاغتراب وتحديات العصرية/ مجلة آفاق عربية/ بغداد/ ع ١١/ ت ٢/ ١٩٩٣/ ص ٢٤.
- (١٤) جاك بريفيير/ العدوانية الأمريكية في الحياة والثقافة/ ترجمة سامي محمد/ مجلة آفاق عربية/ العدد ٢/ نيسان ١٩٩١/ ص ١٣٢.
- (١٥) ديفيد جريز/ حرب الدعاية/ ترجمة مركز البحوث والمعلومات/ بغداد/ ١٩٨٤/ ص ٣٩.
- (١٦) العلاقات النضالية الدولية/ ترجمة بهيج عثمان/ منشورات عويدات/ بيروت/ ١٩٧٤/ ص ١٠٣.
- (١٧) د. حامد ربيع/ فلسفة الدعاية الإسرائيلية/ بيروت/ مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية/ بلا ت/ ص ٧٣.
- (١٨) د. حسام محي الدين الآلوسي/ م س/ ص ١٢٢.
- (١٩) المصدر نفسه/ ص ١٢٤.
- (٢٠) د. سعدون حمادي/ القومية العربية والمثالية/ مركز دراسات الوحدة العربية/ بيروت/ ١٩٩٥/ ص ١٠٥.
- (٢١) ف. شناساكوف/ مصائر الحلم الأمريكي في أحرب الولايات المتحدة/ ترجمة د. ضياء نافع/ بغداد/ ١٩٩٠/ ص ٢٢.
- (٢٢) جورج كلاوس/ لغة السياسة/ ترجمة ميشيل عيلوم دفتنق/ وزارة الثقافة/ ١٩٧٧/ ص ١٢٣.
- (٢٣) د. فريال مهنا/ تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري/ دمشق/ دار طلاس للنشر/ ١٩٨٩/ ص ١٨٤.
- (٢٤) جون كراد/ تحليل اجتماعي للتكيف الاجتماعي بواسطة وسائل الإعلام/ مجلة شؤون فلسطينية/ بيروت/ العدد ١٨/ شباط/ ١٩٧٣/ ص ٥٨.
- (٢٥) بسام طيبي/ الاستعمار الجديد والفاشية الأمريكية/ مجلة دراسات عربية/ بيروت/ العدد ١١/ آب ١٩٧٧/ ص ٢٥.

تكنولوجيا الاتصال

الحديثة ودورها في تطور الصحافة

م. جمال عسكر مضحي

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الإعلام

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤلات التالية

- ١- مامستويات استفادة الصحف من الانترنت.
- ٢- مادور الاعلام الصناعية في تطور تقنيات الاتصال.
- ٣- مادور القمر الصناعي العربي في تطور تقنيات الاتصال ومدى استفادة الصحف منها.
- ٤- مادور تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتقنيات الطباعة في تطور الصحافة.

اهداف البحث

- ١- التعرف على تطور تكنولوجيا الاتصال.
- ٢- التعرف على تطور تكنولوجيا الطباعة.
- ٣- التعرف على مدى استفادة الصحف من ثورة الانترنت.
- ٤- التعرف على التطورات الحديثة في تطور الصحافة.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي للوصول الى أهداف البحث لأنه من انسب المناهج لتحقيق أهداف البحث.

المبحث الأول

تكنولوجيا الاتصال الحديثة

تنشأ مجتمعات العالم الثالث التقدم للحاق بركب الدول الصناعية و أن تتبوأ مركزها المرموق بين الأمم وتحاول الدول العربية اليوم اللحاق بهذا الركب من خلال الاستفادة من مختلف فنون المعرفة والعلوم التي يتميز بها العالم المتقدم.. ومن ابرز تلك العلوم هي التكنولوجيا. والتي يمكن تعريفها بأنها: ((مجموعة من النظم والقواعد التطبيقية وأساليب العمل التي تستقر لتطبيق المعطيات المستحدثة لبحوث أو دراسات مبتكرة في مجالات الإنتاج والخدمات كونها التطبيق المنظم للمعرفة والخبرات المكتسبة والتي تمثل مجموعة الوسائل والأساليب الفنية التي يستخدمها الإنسان في مختلف نواحي حياته العملية وبالتالي فهي مركب قوامه المعدات والمعرفة الإنسانية. وعرفها أسامه ابن الخولي بأنها: (عبارة عن مجموعة من المعارف والخبرات المكتسبة التي تحقق إنتاج سلعة أو تقديم خدمة وفي إطار نظام اجتماعي واقتصادي معيناً ما محمد مرآتي فقد عرفها بأنها (مجموعة من المعارف والخبرات والمهارات اللازمة لتصميم ولتصنيع منتج أو عدة منتجات وإنشاء مشروع لهذا الغرض)^(١) ومن خلال ما تقدم ظهرت لدينا مصطلحات ثلاث هن:-

١- تكنولوجيا الاتصال.

٢- تكنولوجيا المعلومات.

٣- تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

حقيقة الأمر انه برز الاهتمام بالتفاعل الاجتماعي من خلال الحاسب الآلي في سياق تنظيم الحياة اليومية خلال القرن العشرين. حيث عرف البريد الالكتروني وشبكة الانترنت وخلق لنا ظواهر جديدة مثل التسوق عبر الانترنت. والحصول على عمل وأدائه من المنزل وكذلك جماعة الدردشة. لقد خلق بالفعل مجتمع اتصالات أو

ما يسمى المجتمع السبرنطقي وهي تسمية تطلق على شبكة الاتصالات الفضائية التي تتسم بوجود تخيلي افتراضي. وقد كان الناس يشيرون في الماضي إلى إن (تكنولوجيا المعلومات) يقصد بها استخدام الحاسب الآلي أو عملية معينة من عملياته لغرض معين، على نحو ما يحدث في الاستخدام الآلي للمعلومات في ضبط الأعمال الإدارية والسيطرة عليها ميكانيكياً^(٢).

لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطور تكنولوجيا الاتصالات من خلال خمس ثورات أساسية، تمثلت الثورة الأولى في تطور اللغة والثورة الثانية في الكتابة، واقتربت الثورة الثالثة في باختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر، وبدأت معالم ثورة الاتصال الرابعة في القرن التاسع عشر مع اكتشاف الكهرباء والموجات الكهرومغناطسية والتلغراف والتصوير الضوئي والفتوغرافي والسينما والهاتف، ثم ظهور الراديو والتلفزيون في النصف الأول من القرن العشرين. أما ثورة الاتصال الخامسة فقد أتاحتها التكنولوجيا في النصف الثاني من القرن العشرين من خلال اندماج ظاهرة التفجر المعلوماتي وتطور وسائل الاتصال وتعدد أساليبه وأشكاله واستخدام الحاسب الآلي والأقمار الصناعية، ولقد أدى ذلك إلى ظهور خدمات الاتصال الحديثة وأهمها: الإنترنت، والتلفزيون الكابلي والتلفزيون منخفض القوة، والفيديو كاسيت والفيديو تكست، والتلينكس^(٣).

إن تكنولوجيا الاتصال ومنجزاتها المستمرة وسريعة التطور وما يتصل بها من تكنولوجيا المعلومات، إنما يمثلان ثورة أخرى انطلقت مع تصاعد الإحساس بان الواقع الاتصالي القائم لم يعد كافياً للوفاء باحتياجات ذلك المجتمع الجديد، وتلك البيئة الجديدة، وهكذا وجدنا على مدى تاريخ العمليات الاتصالية التي فرضها وجود الإنسان كمخلوق لا يمكنه أن يعيش بدون اتصال بالآخرين والذي تصفه بأنه مخلوق اتصالي، وجدنا أن كل مجتمع جديد، وكل بيئة جديدة إنما تخلق أدواتها الاتصالية التي تعبر

مناطق أخرى بعيدة أو التي تزداد في معظم المناطق في وقت واحد. وكان لهذا الإرسال المباشر بالصوت والصورة على النطاق العالمي.

لقد اقتلع البث التلفزيوني الفضائي الملايين من حياتها التي اعتادت ان تعيشها على الرغم من اعتراض الحكومات على الصور والمعلومات والإيحاءات وكل ما يبيث، إلا أنها لم تعد تستطيع أن تنتشر سيادتها على فضاءها الجوي أو التحكم فيه، فالمراقبة أصبحت مستحيلة عملياً ولم يعد للدول في هذا المجال سوى خيار واحد هو تسهيل الاتصال وسريان الإعلام لفائدة الشبكات العالمية التي يقوم مديروها بوضع أسس التحكم في الصور والمعلومات، وفي عملية تداولها والإشراف على معالجتها وتخزينها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها وتوظيفها لتحقيق الأثر المطلوب في مواقف الإنسان وسلوكه^(٧). ويعتبر روبرت مردوخ ومجموعته (نيوز انترناشيونال) الأوائل في تسويق البرامج التلفزيونية الفضائية، حيث قام في الثمانينيات بشراء مؤسسة تلفزيونية صغيرة تبث عبر الأقمار الصناعية، وهي في بدايتها، وقام بتفعيلها من أجل خلق قناة أوروبية مختصة في التسلية اسمها (سكاي نيوز) لكن التجربة أخفقت، وذلك لعدم اهتمام كبار الأسواق التلفزيونية بها في دول الجوار كفرنسا وبريطانيا. وعلى أثر ذلك تمت عملية إعادة توجيهه سكاي نيوز بحصرها في بريطانيا والدول المتعددة على النقاط برامجها. وقد سرع نظام التلفاز الرقمي عملية تطور البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية^(٨).

ويعرف البث الفضائي المباشر عبر الأقمار الصناعية انه (ذلك الاتصال الذي يتم بصفة آنية من محطة الإرسال مباشرة الى جهاز التلفاز الفردي دون أي وسيط، بواسطة ذلك الجهاز المسمى بالهوائية المقعرة، ويتمثل هذا الإرسال بالاتصال الإذاعي الذي لا يتقيد بحدود المكان والزمان^(٩). إن البث الفضائي هو الإرسال القادم من خلف الحدود عن طريق أقمار البث المباشر، ومن ثم استقباله من قبل الجمهور

عنها، وتوفر لها الممارسات الاتصالية اللازمة التي تتطلبها آليات ذلك المجتمع الجديد، وتلك البيئة الجديدة وعندما نقول تكنولوجيا الاتصال فإنما نعني مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وانتاجها وتخزينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها أي توصيلها الى الأفراد والمجتمع^(٤).

وعلى الرغم من اتجاه المؤسسات الإعلامية العربية الى تحديث بنيتها التكنولوجية عبر الكمبيوتر الذي يتنبأ العلماء بانفجار لم يسبق له مثيل في النشاط العلمي من الآن وحتى العام ٢٠٢٠م^(٥).

وقد تطورت تكنولوجيا الاتصال الحديثة في مجال البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية وخاصة ما يتعلق منها بالنقل التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية بإحدى طريقتين، تعتمد الطريقة الأولى على توصيل الاتصال من موقع الى آخر، وتعتمد الطريقة الثانية على نقل الاتصال من نقطة الى مجموعة من النقاط عبر مساحة شاسعة. وتخشى الإذاعات التقليدية من البث المباشر عبر الأقمار الصناعية وما يسببه من مشكلات عديدة تتعلق بسيطرة الدول العظمى على هذا النوع من الاتصال وتدفق المعلومات. وتستخدم الاتصالات الفضائية في توفير الاتصال في اتجاهين ونقل المحادثات الهاتفية بين الدول والقارات، وعقد المؤتمرات عن بعد وتسهيل الأعمال والخدمات^(٦).

ولقد شهد عقد السبعينيات من القرن الماضي تطوراً ملحوظاً نحو تحقيق البدايات الأولى للبث التلفزيوني الفضائي المباشر، ذلك لان الشبكات التلفزيونية الإقليمية الموجودة في معظم أنحاء القارات الخمس وارتباط هذه الشبكات بعضها ببعض يتيح لأكثر من مليار مشاهد في أكثر من ستين دولة مشاهدة البرامج الحية التي تزداد من

الوافد إليها على الأوضاع السائدة فيها اجتماعياً وثقافياً وسياسياً بل وحتى نفسياً، ذلك أن البث الفضائي الوافد يسعى إلى خلق عقل تابع أو تصدير عقول خاوية إلا من آليات نظام السوق الاستعمارية في رسم علاقة بين المنتج والمستهلك. فالنظر إلى نموذج الإعلان الذي تزدهم به القنوات الفضائية أنه يهدف إلى إثارة شهية غير القادرين على امتلاك مالا يستطيعون ويقودهم إلى الإحباط وإلى إيجاد جيل ليس للمواد المعلنة فقط بل إلى نمط حياة غريبة عن الخصوصية لشعوب العالم الثالث^(١٢). وبشكل خاص يبدو ظاهرياً أن الهدف التقليدي لفكرة الاختراق الثقافي التلفزيوني الفضائي هو التفاعل الحضاري ولكنه في الواقع يمثل السلب الحضاري.

ولا بد من الإشارة إلى أن وجود البث المباشر عبر الأقمار الصناعية في أيدي قلة من الدول قد تساعد على هيمنة إعلامية تهدد الهوية الثقافية والوطنية، ففي الوقت الذي تتيح التكنولوجيا الحديثة آفاقاً جديدة لتطوير وسائل الاتصال فإنها تخلق أيضاً مشكلات وأخطاراً حيث أن هذه التكنولوجيا قد لا تكون دائماً أداة صالحة لجميع الأغراض^(١٣).

وتعد محطة BBC البريطانية التي بدأت البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية عام ١٩٨٦ من أهم القنوات الدولية الوافدة في العالم الثالث وتهيمن هذه المحطة بشكل مطلق على البث التلفزيوني في بريطانيا والعالم الثالث. وفي عام ١٩٩١ ببث برامج عبر المحطة التجارية ولمدة ٢٤ ساعة مغطية آسيا وأوروبا وأمريكا والمنطقة العربية ودول العالم الثالث بهوائيات صغيرة الحجم أو بأسلوب إعادة البث بواسطة محطة وسطية ومن خلال الكابلات^(١٤).

المبحث الثاني

في المنازل أو أي مكان آخر يتم دون تدخل من قبل المسؤولين، طالما كان الجمهور في نطاق المناطق المستهدفة ويستخدم الهوائيات الطبقة الصغيرة المناسبة. والبث الفضائي بهذا المعنى هو: (الرسالة التلفزيونية الدولية الوافدة عبر السوائل متخطية الحدود السياسية والعوائق الجغرافية، وتحول دون إمكانية إخضاع هذا البث الوافد لاختيارات حراس البوابات والرقباء)^(١٥).

ومما تقدم نستطيع القول أن البث الفضائي هو الإرسال التلفزيوني من خلف الحدود عبر السوائل ويصل إلى المتلقي دون أي تدخل من الجهات المعنية بالإعلام في هذه البلدان.

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة تطلق قمراً صناعياً تجريبياً للبث المباشر وهو القمر المتزامن (AST- 6) الذي وضعته وكالة الفضاء الأمريكية NASA تحت تصرفها لتقديم خدمات تلفزيونية مباشرة، ثم تطور الأمر عام ١٩٨٢ عندما أصبحت شركة كومسات الأمريكية في المقدمة في هذا المجال، حيث بدأت النقل التلفزيوني باستخدام الأقمار المباشرة ذات القدرة المتوسطة مع بداية عام ١٩٨٣^(١٦).

لقد شهدت الخريطة العالمية للاتصالات عبر الفضاء تطورات تقنية وإعلامية هائلة فمنذ أن وضع أول قمر للاتصال في منتصف الستينيات في مدار قريب من الأرض وحتى نهاية عقد التسعينيات من القرن الماضي أصبحت تقنية الاتصال عبر الأقمار الصناعية عنصراً ملازماً لكل مظاهر الحياة العصرية كما في البث التلفزيوني المباشر عبر شبكات الأخبار العالمية. إن التطور الهائل في مجال الاتصال عبر الأقمار الصناعية وضع دول العالم الثالث أمام تحديات إعلامية كبيرة يفترض أن تضعها في الحسبان عندما تريد أن تواكب المتغيرات السريعة الهائلة في مجال الاتصالات، أو تريد أن تخفف من حدة الآثار السلبية الناتجة عن البث الفضائي

ظهور شبكة الانترنت

ودور القمر الصناعي العربي في تطور تقنيات الاتصال

يذكر انه في عام ١٩٥٦ نشر مؤلف روايات الخيال العلمي (ايزاك سيمون) روايته الخيالية ((الشمس العارية))، وقد تحدث فيها عن مجتمع يمتاز بسمات تسير أموره بالوسائل والنظم السيبرنطيقية، والغريب انه في ذلك التاريخ كان الحاسب الآلي ما يزال يحبو. وتتكلم هذه الرواية عن عالم يتكلم أفراده مع بعض، ويرى بعضهم البعض دون أن يلتقوا عن طريق الصور ثلاثية الأبعاد^(١٥). وبعد عقد ونيف من تأليف هذه الرواية تحققت نبوءة (ايزاك) عن طريق الانترنت وأصبحت حقيقة واقعة نلمسها يومياً، حيث انه في عام ١٩٦٩ بدأت فكرت اختراع الانترنت كنظام اتصالات أقامته وزارة الدفاع الأمريكية لتمكين العسكريين من متابعة عمل الحكومة^(١٦). بالاشتراك مع عدد كبير من الجامعات التي تعمل على أبحاث ممولة من وزارة الدفاع الأمريكية، وقد أطلق على هذه الشبكة في البداية أريا (ARPA) وهي مختصر للعبارة الإنكليزية (The Advanced Research Project Administration) وكان الهدف من إنشاء هذا المشروع تطوير تقنية تشبيك كمبيوتر يصمد أمام أي هجوم عسكري نووي تشنه روسيا ضد الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الباردة التي كانت دائرة فيما بين البلدين طيلة منتصف القرن الماضي، وقد صممت شبكة أريا عن طريق خاصية إعادة التوجيه الديناميكي (Dynamic Rerouting) وهي عملية تسمح على تشغيل الشبكة بشكل مستمر حتى في حالة انقطاع إحدى الوصلات أو تعطيلها عن العمل في حالة تعرضها إلى أية ضربة.

ونتيجة للزخم الذي حصل عليها بسبب الاستخدام الواسع لها من قبل الجامعات والمعاهد العلمية بالإضافة إلى القنوات العسكرية التي أنشأت بالأساس لها. أصبح من الضروري إنشاء شبكة جديدة، وبذلك ظهرت شبكة مل نت (MILNET)

لتخدم المواقع العسكرية فقط، وبهذا تفرغت (أريا نت) للاتصالات غير العسكرية مع بقائها موصولة مع (مل نت) من خلال برنامج اسمه بروتوكول "انترنت"^(١٧).

وتوسع هذا الربط وشمل أكثر من (٤٠) موقعاً مختلفاً في السبعينات من القرن الماضي ولم تصبح (الاربايت) العمود الفقري للانترنت إلا سنة ١٩٨٣ م حين عزلت وزارة الدفاع الجانب العسكري للشبكة وأدمجت (الاربايت) المدني في شبكة المؤسسات القومية الأمريكية للعلوم (NSF) التي تكفلت بتمويل تنميته حتى أواسط التسعينات تاريخ تعويضه بمجموعة من الشبكات الكبرى المتداخلة والمستغلة من طرف شركات الاتصال الكبرى مثل (MCI net) و (Sprint net) وغيرها وهو ما فتح للانترنت التطور التجاري الواسع^(١٨).

وأصبحت الانترنت عبارة عن بروتوكول تكنولوجي لربط مجموعة من الشبكات التي تتداخل مع بعضها البعض وتتواصل مؤلفة مزيجاً من الشبكات تعمل بنظام مفتوح لكل هذه الشبكات حتى أصبح يطلق عليها شبكة الشبكات^(١٩).

ومثلما فرضت نفسها كشبكة معلومات فإنها فرضت نفسها بالقدر ذاته (وسيط الوسائط) الاتصالية بلا منازع، وتجلّى عظمتها في قدرتها على احتواء الوسائل الأخرى كمصادر للمحتوى. ويمكن لنا أن ندرك قيمة الانترنت، كوسيلة اتصالية، من نظرة الباحثين إليها بكونها حداً فاصلاً في مسيرة الإعلام والاتصال من حيث التقسيم إلى ما قبل الانترنت وما بعدها، ويتوقع أن يكون الانترنت وسيلة اتصالية قائمة بحد ذاتها، وبخصائص تميزها عن ما سواها من جميع وسائل الاتصال، بحيث إن الانصهار المعلوماتي الذي ينتج منها نتيجة اتحادها مع وسائل الإعلام الأخرى، سيؤدي إلى تغيرات جذرية في مفهوم الاتصال والعلاقة ما بين منتج الرسالة الإعلامية وموزعها ومتلقيها. واضح اليوم لدينا ما يعرف بإعلام الانترنت والذي يشمل الصحافة الالكترونية بالإضافة إلى الإشكال الأخرى. ويمكن أن نعرف الإعلام الانترنتي: بأنه

٣- الدراسة عن بعد: وهي عملية تعليمية متطورة حيث يتمكن الطالب من حضور محاضرات تجري في جامعات مختلفة من العالم عبر الانترنت كما تمكنه من الحصول على محاضرات مكتوبة من خلال هذه الشبكة.

٤- الدردشة: عملية اتصال مع شخص أو مجموعة من الأشخاص عبر الانترنت يمكن للشخص الحصول على ثقافات الأمم والأشخاص والتقاليد والعادات من خلالها عن شعوب العالم المختلفة. ونجدها اليوم منتشرة بشكل واسع ما بين الشباب بآلياتها وسلبياتها.

٥- البحث عن رفيق للزواج: ظهرت في بداياتها الأولى بشكل محدود في بعض المواقع الغربية على الانترنت وتطورت تباعاً ونجد لها حضور واسع على موقع مكتوب الخاص باللغة العربية. ورغم ملاحظتنا عن الزواج عبر هذه الوسيلة إلا انه أصبح حقيقة ملموسة.

٦- مصادر والتماس المراجع العلمية: نجد اليوم كثير من مواقع المكتبات على شبكة الانترنت تمكن طالب العلم من الحصول على المصادر المطلوبة لقاء مبالغ بسيطة جداً قياساً بأسعار الكتب الأصلية، ومثال على ذلك مكتبة الإسكندرية^(٢٣).

٧- الخدمات المالية والمصرفية: أصبحت شبكة المعلومات من ابرز روافد اغلب البنوك العالمية لتزويدها بما يجري في البورصات العالمية وأخبار المال والاقتصاد، وفتحت شبكة الانترنت الطريق أمام شركات مختلفة للنشوء أو النهوض منشأ التسوق عبر الانترنت وظهرت العولمة الاقتصادية ونشأت شبكات الاتصال لشركات التمويل والتأمين وعملياً فان النمو الاقتصادي الذي ارتبط بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بدء في الولايات المتحدة الأمريكية بداية عام ١٩٩١ واستمر حتى عام ٢٠٠٠م وزادت من فرص العمل فقد ظهرت ٣٠٠ ألف فرصة عمل عام ١٩٩٩م في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات و ٨٠٠ ألف في

هو كافة أشكال الإعلام الناتج عن عملية الاتصال مع الانترنت ويعتبر نقلة نوعية في الإعلام الجماهيري الذي يبت رسائله إلى الكتل البشرية من المستمعين والمشاهدين. حيث يجمع الانترنت بين الإعلام الجماهيري والإعلام الشخصي - الفردي، فهو يمكن أن يبت الرسالة الإعلامية إلى شخص معين، أو جماعة معينة، أو إتاحتها لجمهور المتعاملين مع الشبكة^(٢٠). ويعد أول استخدام للانترنت في الوطن العربي هو بداية عام ١٩٩٥م. حيث تم استخدامه بشكل تجاري. وفي عام ١٩٩٨ م بلغ عد المشتركين (٧٠٠٠٠٠) سبعمائة ألف مشترك كما زادت المواقع العربية الى (٩٠٠٠) تسعة الاف موقع^(٢١).

مجالات استخدام الانترنت

تتوفر على شبكة الانترنت مجموعة من الخدمات التي يمكن أن نجعلها بالاتي :-
١- خدمات الصحافة الالكترونية (الرقمية).

إن التطور الحاصل في الوسائل الاعلامية الجديدة سيعطي للناس السرعة والحرية في التنقيب عن الموضوعات التي تهمهم إذ من الممكن أن تبحث عن تفاصيل بعينها حول أية شبكة في العالم مما لا يتاح حالياً في الاخبار اليومية بوجه عام لإحتواء الصحيفة الالكترونية على مجموعة أفضل من الاحداث الاخبارية والصفحات الرياضية والاعلانات المبوبة على نحو أكثر تفصيلاً وبذلك تكون وسيلة أكثر شمولاً وتفاعلاً وتنوعاً^(٢٢)

٢- خدمات البريد الالكتروني :وهي من ابرز خدمات انترنت حيث تمكن المستخدم من إرسال رسائله عبر الانترنت إلى كافة بقاع الأرض من الأشخاص المشاركين عليها والذين لديهم بريد الكتروني في هذه الشبكة العنكبوتية.

٣- الاستفادة من الصفحات المتخصصة.

٤- التعرف على الكتب والاصدارات الجديدة.

المستوى الثاني: الانترنت كوسيلة اتصال كونه:

١- وسيلة اتصال خارجية بالمندوبين والمراسلين وتلقي رسائلهم عن طريق البريد الالكتروني.

٢- وسيلة اتصال بالمصادر.

٣- عقد الاجتماعات التحريرية مع المراسلين والمندوبين.

المستوى الثالث: الانترنت كوسيلة اتصال تفاعلي من حيث:

١- توسع فرص مشاركة القراء عن طريق البريد الالكتروني.

المستوى الرابع: الانترنت كوسيلة للنشر الصحفي:

من خلال اصدار نسخ من الجريدة نفسها، او ملخص لها او قواعد للبيانات او ارشيف للصحيفة، او اصدار جرائد ومجلات كاملة.

المستوى الخامس: الانترنت كوسيط اعلاني يضيف دخلا للصحيفة

البرمجيات وتشير الإحصائيات إن السوق الأمريكي يحتاج إلى ٨٠٠ ألف شخص عجز السوق الأمريكي عن توفيرهم^(٢٤).

وقد تكون لهذه التكنولوجيا آثار سلبية أو سيئة اجتماعياً وثقافياً إلى جانب آثارها الايجابية ومن هنا ينبغي أن نعرف ما هي سلبياتها بعد أن عرفنا استخداماتها الايجابية. وتؤكد دراسة أجرتها الدكتورة هناء الجوهري قدمتها إلى الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع عن الشباب التي عقدت في شهر ابريل من عام ٢٠٠٠ م. إن السلبيات يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:-^(٢٥)

- تسهم في خفض الأجور وتقليل العمالة مما تسبب ارتفاع البطالة.
- تعمق الفجوة بين من يملكون المعلومات ومن لا يملكون وتدعم المجتمع العالمي على حساب الهوية القومية.
- يصعب على الدولة جباية بعض أنواع الضرائب في المنتجات الرقمية مثل الصحف الالكترونية.
- تكوين شبكات اجتماعية جديدة وفك شبكات اجتماعية قديمة.
- ظهور مجتمع المخاطر الذي لديه حالة من عدم اليقين.
- ربما يؤدي تطور تكنولوجيا الاتصال وظهور الانترنت إلى قيام الشباب المتحمس لها إلى عدم استلام الرسائل الآتية لهم من المصادر الاجتماعية التقليدية (الاسرة، المدرسة، وسائل الاتصال الجماهيري، ... الخ). وظهور مجتمع انعزالي انطوائي

مستويات افادة الصحف من الانترنت:

هناك سبعة مستويات لافادة صحافة الانترنت تتمثل بالاتي:^(٢٦)

المستوى الاول: الانترنت كمصدر للمعلومات كونه:

- ١- اداة مساعدة للتغطية الاخبارية او مصدراً اساسياً لملاحداث العاجلة.
- ٢- استكمال المعلومات والتفاصيل والخلفيات عن الاحداث المهمة.

وقد تحققت هذه النبوءة على يد مجموعة من العلماء السوفيت في تشرين أول من عام ١٩٥٧ م بإطلاق قمر سبوتنيك (Sputnik) وان لم يكن مخصصاً للاتصالات ثم في العام التالي أطلق الأمريكان اكس بلور-١ (Explore) وتبعه عدة أقمار حتى جاء القمر الثامن ويطلق عليه سكور (Score) في عام ١٩٥٨ وكان مخصصاً للاتصالات وهو أمريكي وكان يحمل شريط تهنئة من الرئيس إيزنهاور - حينذاك بمناسبة أعياد الميلاد^(٢٨).

وتتميز وسائل الاتصال عبر الأقمار الصناعية عن غيرها من الاتصالات (السلكية واللاسلكية) بالميزات الآتية :-^(٢٩)

- ١- قدرتها على نقل المعلومات وتوفير الترابط على المستوى العالمي بكفاءة عالية.
 - ٢- ملائمة ومثالية للربط بين الشبكات المتشابهة والرقمية.
 - ٣- توفر الوصول المتزامن في (نفس الوقت).
 - ٤- إمكانية بناء شبكات إقليمية للاتصالات والمعلومات.
 - ٥- تقليص تكاليف ونفقات الاتصال.
 - ٦- الأقمار الصناعية تؤمن نقل المعلومات بأشكالها المختلفة، مثل النصوص والأرقام والرسوم والأشكال والأصوات والصور والموسيقى وغير ذلك من الأوعية والوسائط وهي وسيلة جيدة للصحافة الرقمية وانتشارها.
 - ٧- كمية المعلومات في الثانية الواحدة كبيراً جداً قياساً لأي وسيلة اتصال أخرى.
- من هذا يتضح إن ثورة الأقمار الصناعية واكتشافها كانت لها اليد الطولى في تطور الاتصالات وقدرتها على نقل المعلومات من مختلف بقاع الأرض وإيصالها إلى أي نقطة في المعمور وبلحظات قصيرة.

المستوى السادس: الانترنت كاداة لتسويق الخدمات التي تقدمها المؤسسة الصحفية:

من خلال انشاء موقع او اكثر يقدم معلومات اساسية عن تطوراتها وانجازاتها.

المستوى السابع: تقدم خدمات معلوماتية:

من خلال تحول المؤسسة الصحفية الى مزود خدمات للمشاركين، وتقديم خدمات التصميم واصدار الصحف والنشرات لحساب الغير .

الأقمار الصناعية ودور القمر الصناعي العربي في تطور تقنيات الاتصال:

يعرف القمر الصناعي بأنه مركبة فضائية تدور حول الكرة الأرضية لها أجهزة لنقل إشارات الراديو والبرق والهاتف والتلفاز ، وترسل محطات على سطح الأرض (المحطات الأرضية) الإشارات إلى القمر الصناعي الذي يبث الإشارات بعد ذلك إلى محطات أرضية أخرى، ويعرف أيضاً بأنه محطة صغيرة في جسم متحرك وعائم في الفضاء. تعمل على موجات متناهية في الصغر (Microwave) وتقوم المحطة باستقبال وإعادة إرسال الموجات الدقيقة التي تحمل الرسائل والمعلومات من وإلى الأرض عبر المحطات الأرضية الموزعة في مناطق المشاركين، ويتم استقبال وإرسال الموجات عن طريق هوائيات مثبتة على سطح القمر الصناعي العلوي الموجة لسطح الأرض.

ويذكر انه بدأت عمليات تطوير الأقمار الفضائية أو الصناعية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة شهور. وقد تنبأ بها العالم الايطاني (آرثر كلارك) في مقال له حيث تخيل إطلاق قمر صناعي في مدار ثابت في الفضاء يقوم بعكس الإشارات من أي مكان في الأرض إلى آخر ..^(٣٧)

القمر الصناعي العربي

في عام ١٩٧٦م أنشأت المؤسسة العامة للاتصالات الفضائية العربية والتي تعرف اختصاراً تحت اسم Arab sat عرب سات المنظمة العربية لأقمار الاتصالات ومقرها الرياض وهي تتبع الجامعة العربية وتعمل على توفير خدمات الاتصالات والبت التلغرافي الفضائي للدول العربية المشاركة فيها وهي التي تمتلك وتدير أسطول أقمار عرب سات الموجود في المدارين ٢٦ و ٣٠ درجة شرق (٣٠).

(عربسات) كان من أبرز أهدافها :-

١- توفير الخدمات العامة المتخصصة في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية لجميع الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية وفقاً للمعايير الفنية والاقتصادية المعمول بها عربياً ودولياً.

٢- مساعدة الدول العربية فنياً ومادياً في تصميم وتنفيذ المحطات الأرضية في الدول العربية.

٣- التشجيع على إنشاء الصناعات اللازمة لتجهيز القطاع الفضائي والمحطات الأرضية في الدول العربية.

٤- التشجيع على إجراء البحوث والدراسات الخاصة بعلوم وتكنولوجيا الفضاء.

٥- الاستفادة من النقل الإذاعي والتلفازي بين الأقطار العربية عبر الشبكة الفضائية لتحقيق المطالب المحلية والجماعية للدول العربية.

كانت الأولوية للاتصالات عبر الهاتف والتلكس ثم تطورت إلى المعلوماتية وخدمات البث الإذاعي والتلفازي. وأعتقد أن عربسات لعبت دوراً في إيصال المعلومات وتعميم التغطية الإذاعية والتلفازية المحلية بما في ذلك في البلدان العربية ذات الصحارى والمناطق النائية مثل الجزائر وليبيا والمملكة العربية السعودية، وفي التسعينات جاءت تجربة البث التلفزيوني للفضائيات .. (٣١)

يذكر إن الفكرة العربية لإقامة مشروع القمر الصناعي العربي في مدينة بنزرت بتونس خلال اجتماع مجلس وزراء الإعلام العرب عام ١٩٦٧م وقامت عدد من المنظمات والاتحادات العربية المتخصصة بالعديد من الدراسات وحلقات البحث بما يتعلق بالفوائد الإعلامية والترفيهية والإنمائية للقمر الصناعي العربي.

وفي عام ١٩٨١ وقع الاختيار، بعد مناقصة دولية، على شركة أيروسباسيال الفرنسية التي تعاونت مع شركة فورد أيروسبيس في تصنيع ثلاثة أقمار صناعية (٣٢). للاتصالات حيث يطلق اثنان منها في الفضاء ويبقى الثالث احتياطياً مخزوناً في الأرض. وقد أطلق القمر الأول بواسطة صاروخ الايريان الأوربي في منتصف عام ١٩٨٤م أما الثاني فتم إطلاقه في نهاية عام ١٩٨٤م بواسطة مكوك الفضاء الأمريكي. وعمر القمر الصناعي العربي سبع سنوات. إلا إن القمر العربي (عربسات / ١ أي) و (عربسات / ١ بي) قد أطلق في شباط وحزيران من عام ١٩٨٥م وانتهت مدتهما في عام ١٩٩١م وفي عام ١٩٩٢م تم إطلاق (عربسات/اس) وعمل حتى عام ١٩٩٥م (٣٣).

ثم أطلق القمر الصناعي الثالث من الجيل الأول وهو A3 والذي استمر لمدة سبع سنوات وبالتحديد في عام ١٩٩٩م وكانت الأطباق التي تستقبل بث هذه الأقمار قطر الواحد منها ٣م. وتم إطلاق أقمار أكثر تطوراً عام ١٩٩٩م بعد انتهاء مدة القمر A3 من الجيل الأول حاملة معها محطة تلفزيونية واحدة، ويسمى بالجيل الثاني، ويستخدم هذا الجيل موجة تسمى (KU) وهو موجه ويستخدم للبث المباشر للمنازل ويستطيع المواطن العربي استقبال بث هذا القمر بطبق لايزيد قطره ٢٥ سم وبهذا أصبح ينافس منظمة الانترنات والمنظمات الدولية الأخرى التي تجري اتصالاتها من خلال منظمة انترنات (٣٤).

المبحث الثالث

دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تطور الصحافة

يعجب الإنسان العادي إلى ما وصلت إليه الصحافة من تطور بعد ظهور الانترنت ويدفع الباحث والمنتبع للصحافة على إعادة ترتيب الإستراتيجية الإعلامية وفق معطيات العصر. وظهور الصحافة الالكترونية، فهي قد جمعت مابين وسائل الإعلام كافة، فان أردتها صحافة ورقية مطبوعة ظهرت لك ذلك وان أردتها صحافة تلفازية كانت لك ما أردت أو ان رغبت بقراءتها على حالتها الرقمية. وللتطورات الكبيرة في وسائل الاتصال الحديثة أثرها الكبير في تطور وسائل الإعلام.

وبهذا يجب علينا الاعتراف بان الصحف التي تصدر في المجتمعات المتقدمة قد توسعت في استخدام النظم الالكترونية الحديثة، مثل نظم إرسال النصوص المرئية وهي منظومات تجمع مابين شاشات التلفزة من جهة والكمبيوتر والتلفون والأقمار الصناعية من جهة أخرى، وهذه النظم تقوم على الإرسال في اتجاهين في الإرسال وفي الاستقبال. وهذا التطور التكنولوجي مكن الصحفي من كتابة الحدث في وقت وقوعه وفي نفس مكان الحادث إرساله إلى مقر المؤسسة الإعلامية. كما انه يمكنه من الاتصال بينك المعلومات الالكتروني في مقر المؤسسة للحصول على المعلومات الخفية عن الحدث الذي يكتب عنه المحرر الميداني^(٣٨).

وتعد الصحافة المطبوعة من أقدم وسائل الإعلام على الإطلاق، وهي سبقت الإذاعة والتلفاز بعدة قرون، ورغم قدمها إلا إن لها سلبيات ارتبطت بها منذ ظهورها حتى يومنا هذا وهي عدم قدرتها على نقل الأخبار بالسرعة التي تنقلها الإذاعة ولا يمكنها رسم صورة واضحة وقريبة من الواقع كما يفعله التلفاز، ومع ذلك فهي تقوم بعمل رائع جعلها جزءاً لا يتجزء من حياة الفرد المتعلم^(٣٩).

ومن عيوب القمر الصناعي الأول. هو إن إشارته لايمكن التقاطها مباشرة عن طريق جهاز الاستقبال ألتلفازي العادي وإنما يجب أن تمر على محطات أرضية خاصة بالقمر العربي تلتقط إشارته وتوصلها إلى شبكة التلفاز الوطنية التي تقوم بدورها في البث والتحكم بالمواد الاعلامية التي يبثها القمر الصناعي العربي. حيث بإمكانها نقل هذه المواد مباشرة الى مواطني دولها او تقوم بعملية التسجيل وتعيد بثها في الوقت الذي تراه مناسباً. بالنسبة للجيل الاول .. اما الجيل الثاني فلاتوجد فيه هذه العيوب وقد تم تخطيها. وبهذا يمكن ان نميز بين نوعين أو جيلين من التتابع الصناعية وهما التتابع الصناعية للبث غير المباشر والتتابع الصناعية للبث المباشر. ويكمن معيار التفرقة بينهما في وجود محطة أرضية تستقبل الإرسال من التابع الصناعي ثم تعيد بثه للجمهور في النوع الأول، وعدم وجود هذه المحطة في النوع الثاني^(٣٥)، فقد بلغ عدد القنوات الفضائية العربية ١٢٠ قناة يتم بثها بواسطة القمر الصناعي العربي "عربسات" والقمر الصناعي المصري "نايلسات". وحسب تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ الذي يصدر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، فإن ٧٠% من هذه القنوات تابعة رسمياً لحكومات عربية^(٣٦). من هذا نصل إلى إن تطور تكنولوجيا الاتصال أفاد بشكل كبير وسائل الإعلام المختلفة ومنها تحديداً الصحافة المرئية بنوعها التلفازية والالكترونية.

حيث استخدم القمر الصناعي كوسيلة لبث الرسائل الاعلامية بسرعة ودقة فائقتين من مكان لآخر على سطح الكرة الارضية^(٣٧).

- ٥- انشاء وكالات الانباء العالمية التي تقدم خدماتها الى الصحف هافاس عام ١٨٣٥، اسوشيتدبرس عام ١٨٤٨ وروريترز عام ١٨٥١.
- ٦- تحسين شبكات الطرق والمواصلات لتأمين توزيع الصحف.
- ٧- انشاء مؤسسات مختصة لتوزيع الصحف.
- ٨- ظهور الاعلان في الصحافة الذي امن مصدرا تمويليا هاما لها.
- ٩- التقدم الهائل في تقنيات الاعلام وذلك بتطور وسائل الاعلام الالكترونية والطباعة والاقمار الصناعية والكمبيوتر عام ١٩٤٦ ومارافق ذلك من قدرة على بث المواد الاتصالية.
- ١٠- انتشار الهواتف المحمولة واجهزة الاتصال الكفية التي اصبحت ذات استخدامات متعددة تتجاوز حدود الاتصال الشخصي او الوسيط لتصبح الان وسيلة اتصال جماهيرية واستقبال الرسائل وبثها.
- ونستطيع أن نلخص إن من ابرز مميزات الصحافة المطبوعة هي^(٤٤):-
- ١- تساعد القارئ على التكيف معها ومطالعتها في الوقت المناسب له.
- ٢- قدرته على إعادة القراءة كلما أراد ذلك.
- ٣- من الوسائل المناسبة لمخاطبة الجماعات والشرائح الاجتماعية الصغيرة والمتخصصة.
- ٤- جميع القراء للصحف يعرفون القراءة والكتابة وهم من المثقفين الذين يسهل معهم الحجة والمنطق^(٤٥).
- ٥- تساعد في اثارة اهتمام القاريء بالمضمون.
- ٦- تمكن الصحيفة القاريء من السيطرة على ظروف التعرض .. بالتعرض لأكثر من مرة للرسالة والتعرض في اي وقت وفي اي مكان مما يتيح فرصة كافية لاستيعاب معناها واعادة النظر في تفاصيلها^(٤٦).

والصحافة إحدى مراحل تطورات المجتمعات وتعد ظاهرة اجتماعية لتلبية حاجات إعلامية اتصالية على مستوى الفرد والمجتمع وهي تعكس واقع المجتمع الذي توجد فيه وهذا الانعكاس كان دائماً يعود ليتطابق مع الحاجات الإعلامية للفرد والمجتمع تلك الحاجات التي تعكس وتعبّر عن مستوى التطور العام الحاصل في الحياة المادية والفكرية للفرد، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية للمجتمع أي تعكس المستوى الحضاري للفرد والمجتمع^(٤٠). وأصبحت الصحف حارس الديمقراطية وحقوق المجتمع واثابة الفرصة للمرشحين والناخبين بالتعرف على بعضهما البعض دون اتصال مباشر وانما عن طريق أفكار كل منهما المنشورة على واجهات الصحف ثم ساعدت على نشر وتصريف السلع وايجاد فرص العمل^(٤١). ويعتبر اختراع الطباعة على يد جوتنبرغ عام ١٤٥٣ البداية الحقيقية للاتصال الجماهيري حيث اصبح بالامكان طباعة نسخ عديدة من الصحف^(٤٢).

- وكذلك نجد بعض الخدمات الاساسية المساندة للصحافة قد نشأت وتطورت في القرن التاسع عشر حيث توفرت الخدمات التالية^(٤٣):
- ١- تطوير طريقة تقنيات الطباعة (اختراع فريدريك كوبنغ للمطبعة المدارة بالطاقة عام ١٨١١ واختراع المطبعة الدوارة عام ١٨٤٨)
 - ٢- اكتشاف البرق ١٨٣٧-١٨٩٩ ثم وسائل المواصلات السلكية ١٨٧٦ التي اسهمت في تطوير صناعة الخبر.
 - ٣- تطوير طريقة تصنيع الورق من معجون الخشب مما ادى الى رخص اسعار الورق وتقليل تكاليف الطباعة.
 - ٤- اختراع التصوير عام ١٨٢٤-١٨٣٠ واستخدامه في الصحافة عام ١٨٨٤

٣- إنتاج ومعالجة المواد الصحفية.

٤- تغطية المواد الصحفية. نشر المواد والمعلومات الصحفية ونقلها أو تبادلها ويترتب على هذه الامكانية فوائد اهمها:-

- توفير الزمن الذي يستغرقه نقل الصحف من مركزها الرئيسي الى أماكن توزيعها (محليا او اقليميا)
- سرعة وصول الاخبار المطبوعة الى القاريء في اى جهة
- تنشيط الصحافة الاقليمية وزيادة انتشارها.
- وصول طباعات الصحف الى القراء في الوقت المحدد دون تأخير
- التقليل من نسبة المرتجعات من الصحف من خلال تحديد كميات التوزيع من النسخ تبعا لاحتياجات التوزيع.
- امكانية اخراج الطباعات بالشكل والمضمون الذي يناسب اذواق القراء.
- تقليل تكاليف الطباعة ونقلها مباشرة عن طريق الاستقبال عن بعد
- الحصول على صحيفة جاهزة من حيث المحتوى والاخراج والمونتاج من المطابع الفرعية.

٥- توصلت شركات الكمبيوتر العالمية الى تطوير نظام النشر الصحفي في اوائل التسعينات بحيث يعمل على توظيف عدة برامج لمعالجة المتن والصورة والرسوم ومن اهمها برنامج معالجة الصورة الفوتو شوب (وسائل الاتصال-محمد منير) ان مصطلح النشر المكتبي يشير بصفة اساسية الى تكنولوجيا الحاسب الالى التي تسمح للمستخدم بان تصبح لديه ملفات تضم النصوص والاطارات والصور والرسوم في مستند واحد يتميز بجودة عالية^(٥١).

ان التطور العلمي والتكنولوجي في صناعة وانتاج الصحف اصبح ضرورة وله فوائد من حيث المواجهة والتحديات^(٥٢):

٧- تحتاج الصحافة من القاريء مشاركة خلاقة وجهد ايجابي لانتقلبه بعض وسائل الاعلام الاخرى وبذلك يجد امامه حرية كبيرة في التخيل وتصور المعاني وفهم التلميحات اللبقة والرموز والتفسيرات المتعددة وقراءة ما بين السطور^(٥٧).

لقد اتاحت ثورة الاتصالات التي حدثت بعد منتصف القرن العشرين وتكنولوجيا الاتصال، الفرصة لنقلة واسعة لوسائل الاتصال نقلة واسعة مثل استخدام الاقمار الصناعية وهندسة الطباعة الحديثة والطبع ونقل الصورة والصفحات وقد اصبحت الاقمار الصناعية تستخدم بشكل واسع في صناعة الصحف ونقل النسخ الى محطات بعيدة وفي الواقع فان نقل الصحيفة من مدينة الى اخرى ومن دولة الى اخرى، بالرغم من الفوائد الاتصالية التي تبني على استخدام عامل الزمن الا انها في الوقت نفسه توفر تكاليف الطباعة التي تصرف في المكان الجديد^(٥٨). ثم شهدت بداية الستينات تحول نحو استخدام انظمة الجمع الالكتروني والانظمة الرقمية ودخول الحاسبات في مجال المعالجة الصحفية للاخبار والموضوعات، ومنذ بداية التسعينات بدأت تدخل اجهزة الكمبيوتر بشكل مكثف الى صالات الاخبار والتحرير في الصحف الامريكية والكندية ولحقت بهم بعض دول اخرى. وتحولت بعض الصحف للالية الكاملة في عملية انتاج الصحيفة من خلال الاستعانة بالحاسبات الالكترونية ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية والتحول من الملفات الورقية الى الملفات الالكترونية للتوثيق والتخزين وأطلق علماء الصحافة على صحافة التسعينات الصحافة الالكترونية او الصحافة الرقمية^(٥٩).

وان اهم اوجه الاستفادة من المبتكرات التكنولوجية واستخداماتها المتطورة وذلك لمختلف الجوانب والمراحل التي يمر بها النشاط الصحفي تمثل في كل من^(٥٠).

١- جمع وأستسقاء المعلومات الصحفية وتراسلها مع الصحيفة.

٢- حفظ وتخزين المعلومات الصحفية واسترجاعها.

مصادر البحث:

- (١) محمد مرآتي: نحو اكتساب التكنولوجيا في الوطن العربي مع تغيرات بداية القرن الواحد والعشرين، بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع: www.arabcin.net/arabiaall/studies/nahowa.htm، ٣١/٨/٢٠٠٦، ص ٥.
- (٢) فاطمة القليني و (آخرون): علم الاجتماع الإعلام، التعليم الجامعي المفتوح لجامعة سانت كليمنتس العالمية، ص ٢٧٠.
- (٣) حسن عماد مكاي: تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات، دار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص ٢١.
- (٤) عبد المجيد شكري: تكنولوجيا الاتصال . الجديد في إنتاج البرامج في الراديو والتلفزيون، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦، ص ١١.
- (٥) ميتشيو كاكو: رؤى مستقبلية . كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين، ترجمة د. سعد الدين خرفان، الكويت، سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٧٠)، ٢٠٠١، ص ٢٥٠.
- (٦) حسن عماد مكاي، (مصدر سبق ذكره)، ص ١١٦.
- (٧) السيد احمد مصطفى عمر: إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي العدد (٢٥٦) حزيران ٢٠٠٠، ص ٧٥. ٧٦.
- (٨) الصادق رابح: وسائل الإعلام والعولمة: بحث منشور في مجلة المستقبل العربي العدد (٢٤٣) أيار ١٩٩٩، ص ٣٠. ٣١.
- (٩) نصير بو علي: الباربول والجمهور في الجزائر . دراسة في عادات المشاهدة وأنماطها والتأثيرات على قيم المجتمع وثقافته، مجلة علوم الاتصال (الجزائر) العددان (٨. ٧)، معهد الإعلام والاتصال، ١٩٩٥، ص ١٥٦.

- ١- مواجهة التحديات الحالية والمستقبلية في مجال الاعلام.
 - ٢- مواجهة عصر ثورة المعلومات والاتصالات
 - ٣- تطوير العملية الانتاجية للصحف وغيرها من المطبوعات لتحقيق الفائدة المثلى لصناعة الصحافة والطباعة والنشر .
 - ٤- الموازنة الاقتصادية بين تكلفة الانتاج والعائد المحقق.
 - ٥- اعادة تخطيط المهام والمسؤوليات في الحقل الصحفي بما يتناسب وروح العصر .
 - ٦- مواجهة المنافسة بين التلفزيون والصحافة.
- لقد استطاعت الصحافة مجابهة الوسائل الاعلامية الاخرى التي توالى ظهورها تباعا وتعالى الصيحات بان هذه الوسائل سوف تحدث تأثيرا سلبيا كبيرا على الصحافة الا ان الصحافة استطاعت ان تطور نفسها وتغير محتواها لتصبح متفاعلة مع الجماهير وتاريخ الصحافة تاريخ لعناصر ومكونات كثيرة فالصحف ليست اشياء فحسب بل هي اشخاص وعمليات وتأثيرات وتأثر ووظائف وانجازات وغيرها من التحولات والتغيرات التي ادخلتها الصحافة على نفسها من كافة الجوانب^(٥٣).

- (١٠) هادي نعمان الهيتي: مدى تأثير القنوات الفضائية الوافدة على المجتمع العربي، مجلة الإذاعات العربية العدد (٣) لسنة ١٩٩٤، ص ٣١.
- (١١) انشراح الشال: الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال في مجال التلفاز، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ص ٢٠٠.
- (١٢) سعد سلمان المشهداني: التأثيرات المباشرة لبرامج الفضائيات الوافدة على الأطفال في الدول النامية، بحث مقدم الى المؤتمر العالمي بشأن انتهاكات حقوق الطفل في العالم الذي انعقد ببغداد للمدة من ٦ . ٨ تشرين الثاني ٢٠٠١، ص ٤.
- (١٣) بلسم محمود شاكر: البث الفضائي الوافد وتأثيره على الأمن القومي العربي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى الجامعة المستنصرية معهد الدراسات القومية والاشتراكية. قسم الدراسات الدولية عام ٢٠٠٠، ص ٣٤.
- (١٤) أياد شاكر البكري: البث التلفزيوني الفضائي المباشر . دراسة في واقع المحطات الفضائية الدولية الواصلة الى الوطن العربي واحتمالات تأثيرها . رسالة ماجستير قدمت الى جامعة بغداد / كلية الآداب . قسم الإعلام عام ١٩٩٩ ص ١٧١ . ١٧٢.
- (١٥) فاطمة القليني و آخرون: (مصدر سبق ذكره)، ص ٢٦٩.
- (١٦) منى كمال: الانترنت في المكتبات المدرسية والعامية والجامعات ومراكز التوثيق، بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع:
- www.arabcin.net/arbic/5adueh/print/pivot
- (١٧) جابر خليل: تأريخ شبكة المعلومات العالمية، بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع الاتي :

www.openarab.net/faq/2006/henet.shtml

- (١٨) عباس جاور كفاحي، الاعلام الدولي وعلاقته بالنظم الإعلامية الاقليمية "النظام الاعلامي العربي نموذجاً"، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى قسم الاعلام كلية الاداب جامعة بغداد عام، ٢٠٠١ ص ٤٣.
- (١٩) يحيى اليحياوي: العولمة أية عولمة؟، الدار البيضاء: افريقيا الشرق، ١٩٩٩ ص ١٤١.
- (٢٠) نبيل علي: الصفر والواحد- ثنائية العصر، بحث منشور في مجلة (القاهرة) وجهات نظرة، العدد ٤٤، السنة الرابعة، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ٣٤.
- (٢١) عبد الباسط محمد عبد الوهاب: استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني (دراسة تطبيقية ميدانية)، اليمن، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥ م، ص ١٧٠.
- (٢٢) عبدالامير الفيصل: الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٥، ص ١١٤.
- (٢٣) مكتبة الإسكندرية: بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع الاتي :
<http://informatics.gov.sa/magazine>
- (٢٤) الكساد القادم: بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع الاتي: ٢٠٠٦ / ٥ / ١٧
<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/8FD54E7F-56C5-49A0-B60A-89A67426F3B3.htm>
- (٢٥) فاطمة القليني و آخرون: (مصدر سبق ذكره) ص ٢٦٧ - ٢٧٩.
- (٢٦) عبدالامير الفيصل: (مصدر سبق ذكره)، ص ٤١ - ٤٢.
- (٢٧) حمدي قنديل: ((اتصالات الفضاء))، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ ص ٤١.
- (٢٨) عبد الباسط محمد عبد الوهاب: (مصدر سبق ذكره)، ص ٩٧.

(٤٣) صالح خليل ابو اصبع (مصدر سبق ذكره) ص ٥٧-٦١.

(٤٤) صابر فلحوط و د. محمد البخاري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨.

(٤٥) محمد منير حجاب: (مصدر سبق ذكره) ص ٥٩.

(٤٦) عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد: مدخل الى الاتصال، مفاهيمه، مجالاته، انواعه، وسائله، تأريخه، وتأثيراته، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٢٢.

(٤٧) عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد (مصدر سبق ذكره) ص ١٢٣.

(٤٨) مجد الهاشمي: تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري عمان، دار اسامة للنشر، ٢٠٠٤، ص ١٠٨.

(٤٩) اسما حسين حافظ: تكنولوجيا الاتصال الاعلامي والتفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني المعلوماتي والرقمي، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ١١.

(٥٠) اسما حسين حافظ (مصدر سبق ذكره)، ص ١٠٤.

(٥١) عبدالامير الفيصل (مصدر سبق ذكره)، ص ٥١.

(٥٢) عبدالامير الفيصل (مصدر سبق ذكره)، ص ٣٣.

(٥٣) عبدالامير الفيصل (مصدر سبق ذكره)، ص ٣٠.

(٢٩) ربحي مصطفى عليان ومحمد عبدا لدبس: وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، ط ٢، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ ص ١١٠-١١١.

(30) <http://forum.sh3bwah.com/t18239.htm>

(31) <http://news.bbc.co.uk/go/pr/fr>

(32) <http://www.wikipedi>

(٣٣) ياس خضر ألبياتي، (الإعلام الدولي العربي)، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٣ ص ٤٧٧-٥٧٦.

(٣٤) عبد الباسط محمد عبد الوهاب (مصدر سبق ذكره)، ص ١١٦.

(35) http://www.tashreaat.com/view_studies2.asp?id=383&std_i36.d=63

(٣٦) معتز بالله عبد الفتاح، التحول الديمقراطي العربي، في طور تسلطية تنافسية، (ملف - تجميع من إسلام أون لاين). على الرابط:

<http://sharkiaonline.com/images/%D8%A7%D9%84%D8%A%D8%AD%D9%88%D9>

(٣٧) محمد منير حجاب: وسائل الاتصال. نشأتها وتطورها، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨ ص ٢٤٦.

(٣٨) فاروق أبو زيد: الصحافة المتخصصة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨، ص ١٢.

(٣٩) صابر فلحوط و د. محمد البخاري: العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، ط ١، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ١٩٩٩، ص ٧.

(٤٠) أديب خضور: الإعلام الرياضي، دمشق، ط ١، المكتبة الإعلامية، ١٩٩٤ ص ٧٨.

(٤١) صابر فلحوط و د. محمد البخاري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨.

(٤٢) صالح خليل ابو اصبع: الاتصال والاعلام في المجتمعات المعاصرة، عمان، دار مجدلوي، ٢٠٠٤ ص ٥٥.